(ما) في القرآن الكريم
دراسة نحوية

هذا الكتاب هو في الأصل
الأطروحة التي حصلتُ بها على شهادة الدكتوراه بدرجة امتياز ١٩٩٧م

تأليف الدكتور
عبد الجبار فتحي زيدان ذنون صوفي علي الحمداني
أستاذ اللغة العربية والنحو القرآني

الطبعة الثانية
الموصل
١٤٣٨هـ=٢٠١٨م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
٨٠٧ لسنة ٢٠٠٩م

مقدمة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، والْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله ، وخاتَمِ النَّبيين ، وعَلَى آلِهِ وأصْحابِهِ أجْمَعِين ، من الأنصارِ والمهاجرين ، والذين اتبعوهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين

وبعد ، فهذا كتابي : (ما) في القرآن الكريم /دراسة نحوية ، أسأل الله ، جلَّ شأنه ، أن ينفع به الباحثين والدارسين ، وأسأله سبحانه ، أن يتقبَّله منِّي عملًا خالصًا لوجهه الكريم ، اللهمَّ آمين .

دفعتني إلى الكتابة فيه رغبتي في خدمة كتاب الله بموضوع يتعلق بالنحو القرآني، وبعد أن عقدت النية على ذلك تحريت أنْ تكون دراستي في موضوع لا تشغلني طول مادته بجمع شتاتها فيكون بحثي أقرب إلى الجمع منه إلى الدراسة ، ولذلك رغبت في أنْ أقتصر على دراسة أداة واحدةٍ من الأدوات فاخترت الأداة (ما) لكثرة ورودها وتعدد معانيها في القرآن الكريم.

لقد دُرِسَتْ (ما) في كتب النحو واللغة وعلم المعاني في أبوابٍ متفرقةٍ، وجمعت معانيها المختلفة الكتب التي اختصت بدراسة الأدوات، وفصّل أبو علي النحوي مسائلها المشكلة في كتابه (المسائل المشكلة) المعروفة بالبغداديات، ومن الكتب الحديثة التي تناولت هذه الأداة بالدراسة كتاب (دراسات لأُسلوب القرآن) لمحمد عبد الخالق عضيمة. إلّا أنّ هذه الدراسات القديمة والحديثة على كثرتها تكررت فيها المعلومات أو تشابهت ، كما أنّها أظهرت أنّ في (ما) مسائل مشكلةً، وجدت أنّها ما تزال تحتاج إلى دراسةٍ ؛ لذلك كان منهجي العام في هذا البحث مبنيًّا على ثلاثة أُسس.

أحدها: العناية بدراسة المسائل المشكلة في (ما) والفرق بينها وبين الأدوات والألفاظ التي شابهتها في الدلالة أو جُعلتْ بمنزلتها.

والثاني: التعرف إلى أصل (ما) الذي يجمع بين معانيها المختلفة.

والثالث: دراسة معاني (ما) الواردة في القرآن الكريم وتقسيمها وتسميتها كما قسِّمتْ وسُميتْ في كتب النحو.

لذلك تألف هذا البحث من بابين جعلت الأول في معاني (ما) الاسمية، وبدأت بالموصولة التي تُعدُّ معرفة عند النحاة، وهي أكثر معاني (ما) ورودًا في اللغة والقرآن الكريم، ثم بالنكرة المجردة من معنى الحرف، تلتها النكرة المتضمنة معناه وجعلت كلّ قسم من هذه الأقسام فصلًا فتألف هذا الباب من ثلاثة فصول ضمنت الفصل الأول ثلاثة مباحث:

أحدها (ما) الموصولة بين التعريف والتنكير.

والثاني (ما) الموصولة بين جواز عودها على العاقل وامتناعه.

والثالث معنى (ما) الموصولة ومعاني (ما) الأُخَر[1].

وتضمن الفصل الثاني مبحثين: الأول: في النكرة الموصوفة والثاني في التعجبية.

وتضمن الفصل الثالث مبحثين أيضًا: الأول في الاستفهامية والثاني في الشرطية.

وجعلت الباب الثاني في معاني (ما) الحرفية، وبدأت بالمصدرية لاختلاف النحاة فيها، فهناك من ذهب إلى أنّها اسم ، ثم تلتها (ما) النافية التي لا اختلاف في حرفيتها ، وجعلت الزائدة آخر معاني هذا الباب ؛ لأنّها عُدت عند النحاة ، كما هو ظاهر من تسميتها ، زائدةً ليس لها معنى أساسي وكذلك جعلتُ كلّ قسم من هذه الأقسام الثلاثة فصلًا ، تألف الفصل الأول

---

(١) جاء لفظ (أُخَر) في القرآن الكريم في الجمع المعلوم والمحدد عدده ، كقوله تعالى :(سَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يابساتٍ){يوسف : ٤٣} وجاء لفظ (أُخْرَى) في الجمع غير المعلوم وغير المحدد عدده ، كقوله تعالى : (وليَ فيها مآربُ أُخْرَى){طه : ١٨} ولفظ (أُخْرَى) في الموضع الثاني ينتهي بألف مفتوحة ؛ ليكون تعبيرًا عن عدد مفتوح غير محدد ، بخلاف (أُخَرَ) في الموضع الأول .

من مبحثين: أحدهما بعنوان (ما) المصدرية والموصولات الحرفية والثاني بعنوان: معنى (ما) المصدرية ومعاني (ما) الأُخَر.

وقد قسم النحاة (ما) النافية على قسمين: عاملة وهي الداخلة على الجملة الاسمية وغير عاملة : وهي الداخلة على الجملة الفعلية ؛ لذا كان هذان الموضوعان مبحثي الفصل الثاني.

أما الفصل الثالث فيتعلق بـ(ما) الزائدة وله ثلاثة مباحث.

أحدها: (ما) التي بمعنى صلتها.

والثاني: (ما) المحذوفة الصلة.

والثالث: (ما) المفردة الصلة.

أمّا المصادر الأساسية التي اعتمدتُ عليها فقد كانت كتب النحو مبتدئةً بكتاب سيبويه وكتب معاني الحروف كحروف المعاني للزجاجي ورصف المباني للمالقي، وكتب معاني القرآن كمعاني القرآن للفرّاء ومجاز القرآن لأبي عبيدة، وكذلك كتب الإعراب كإعراب القرآن للنحّاس ومشكل إعراب القرآن لمكّي القيسي ، وأفدتُ من كتب التفسير كجامع البيان للطبري والكشّاف للزمخشري ومن كتب القراءات ككتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد والمحتسب لابن جنّي، ومن كتب البلاغة كدلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني والإيضاح للقزويني.

وكان كتابا التعبير القرآني ومعاني النحو أكثر المصادر الحديثة رفدًا للبحث ؛ إذْ بسط الدكتور فاضل السامرائي في كتابيه هذين آراءه وأفكاره في مسائل كثيرة تتعلق بـ(ما) ومعانيها واستعمالاتها في القرآن الكريم فوافقناه في مسائل وكان لنا رأيٌ آخر في مسائل أُخَر.

وقد وردت (ما) في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ويكاد لا يخلو موضعٌ منها إلاّ ومن النحاة أو المفسرين من أجاز فيه أكثر من وجه وقد حددنا معانيها بترجيح بعضها على بعض بقرائن لفظية أو معنوية أو بهما معًا.

هذا ما آتانيه ربي من العلم ولا يكلف الله نفسًا إلّا ما آتاها له الحمد أولًا وآخرًا ، وهو أهل التقوى وأهل المغفرة وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الباب الأول : (ما) الاسمية

الفصل الأول : (ما) الموصولة

المبحث الأول : (ما) الموصولة بين التعريف والتنكير

عُدّت (ما) من الأسماء الموصولة وعُرِّف الموصول بأنّه لا يتمّ بنفسه ، ويحتاج إلى كلام بعده ، تصله به. ليتمّ به اسمًا ، فإذا تمَّ بما بعده كان حكمه حكم سائر الأسماء التامّة[١] وقد سُميت الأسماء الموصولة، أو أسماء الصلات ؛ لأنها تفتقر إلى صلات توضحها[٢] وتعرب حسب موقعها من الجملة ونُسب إلى الأخفش قوله: ((إنَّ الأسماء الموصولة تعرفت بالألف واللام، أمّا (ما) و(مَن) فهما في معنى ما فيه الألف واللام[٣]، وذهب جمهور النحاة إلى أنّها تعرفت بالعهد الذي في الصلة واستدلوا على ذلك بـ(ما) و(مَن) المجردتين من(ال)، فالاسم الموصول يُعدُّ عندهم معرفة ؛ لأنَّ الصلة تبيّنه وتزيل إبهامه وتنكيره ؛ ولهذا قالوا عن (الذي) و(التي): إنَّ الألف واللام فيهما زائدتان وليستا فيهما للتعريف ؛ لأنَّ التعريف بصلتهما، وهي الجملة

---

(١) الكتاب لسيبويه ٣/ ٦٩ وشرح المفصّل لابن يعيش ٣/ ١٣٨ ، وشرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية لابن هشام ١/ ٣١٤ والكنّاش في النحو والصرف لأبي الفداء عماد الدين ص١٣٦، وكاشف الخصاصة عن ألفاظ الخلاصة لابن الجزري ص٣٩، والمشكاة الفتحية عن الشمعة المضيّة للسيوطي ص١٠٥، وشرح الحدود النحوية للفاكهي ص٧٤.

(٢) أسرار العربية لأبي البركات بن الأنباري ص ٣٧٩- ٣٨٠.

(٣) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٢/١٣٥.

التي بعدهما، فلو كانتا فيهما للتعريف لأدَّى ذلك إلى أن يجتمع فيهما تعريفان، وذلك لا يجوز[١].

وبين النحاة الغرض من استعمال (الذي) وفروعها في الكلام ، مما هو مبدوء بـ(ال) فذكروا أنَّ في العربية أدوات استعملت للوصل ، من ذلك (أيَّها) فقد ذكر سيبويه (ت١٨٠هـ) أنَّه لا يجوز أن تنادي اسمًا فيه الألف واللام بياء النداء بل تستعمل (أيّها) لنداء ما فيه (ال) وعلل ذلك بأنَّهم جاؤوا بـ(أيّها) ليصلوا إلى نداء الذي فيه (ال) وكذلك (مَن) و(ما) إنّما يذكران لحشوهما[٢] ويعني بالحشو الصلة.

وذكر أبو بكر بن السراج (ت ٣١٦هـ) أنَّ ((الذي) اجتلبت في الكلام لتكون وصلة لوصف المعارف بالجمل، كما جاؤوا بـ(أيّ) متوصلين بها إلى نداء ما فيه (ال) فقالوا: يا أيّها الرجل ، والمقصود نداء الرجل و(أيّ) وصلة[٣])).

وأوضح ابن جني (ت ٣٩٢هـ) هذا الغرض بقوله: ((إنّ (الذي) إنّما وقع في الكلام توصلًا إلى وصف المعارف بالجمل، وذلك أنّ الجمل نكرات[٤] ألا تراها تجري أوصافًا على النكرات، في نحو: مررتُ برجل أبوه قائم، ونظرتُ إلى غلام قامت أُختُه ، فلما أُريد مثل هذا في المعرفة، لم يمكن أن تقول : مررت بزيد أبوه قائم، على أن تكون الجملة (أبوه قائم) وصفًا لزيد ؛ لأنَّه قد ثبت أنَّ الجملة نكرة ومحال أن توصف المعرفة بالنكرة فجرى هذا في الامتناع مجرى امتناعهم أنّ يقولوا : مررتُ بزيد كريم، على الوصف، فإذا كان الوصف جملة نحو: مررتُ برجل أبوه قائم ، لم يمكن إذا أرادوا وصف

---

(١) المقتضب ١٩٧/٣ وشرح المفصل لابن يعيش ١٤١/٢.

(٢) الكتاب ٢/ ١٠٦.

(٣) الأصول في النحو ٢/ ٢٧٢.

(٤) تعد الجملة عند النحاة نكرة ، ينظر دلائل الإعجاز ص١٥٤.

المعرفة بنحو ذلك أن يدخلوا (اللام)[١] لأنَّ اللام من خواص الأسماء، فجاؤوا بـ(الذي) متوصلين به إلى وصف المعارف بالجمل، وجعلوا الجملة التي كانت صفة للنكرة صلة لـ(الذي) فقالوا: مررت بزيد الذي أبوه منطلق وبهند التي قام ابوها ، ونظير هذا أنّهم لمّا أرادوا نداء ما فيه لام المعرفة ولم يمكنهم أن يباشروه بـ(يا) لِما فيها من التعريف والإشارة توصلوا إلى ندائها بإدخال (أيّ) فيها فقالوا: يا أيّها الرجل، فالمقصود بالنداء هو الرجل و(أيّ) وصلة إليه، كما أنّ المقصود في قولك: مررت بالرجل الذي قام أخوه، أن يوصف الرجل بقيام أخيه، فلما لم يمكنهم ذلك لِما ذكرناه توصلوا إليه بـ(الذي))) [٢]

وأكّد أبو حيان الأندلسي أنّ الغرض من استعمال الاسم الموصول (الذي) أنْ يكون ((وصلة إلى وصف كل معرفةٍ بصلته)) [٣] سواء أكانت هذه الصلة جملة أم شبه جملة أم مفردًا أم محذوفةً.

وقد أشار إلى هذا الغرض نحاة آخرون منهم: عبد القاهر الجرجاني[٤] (ت٤٧٤هـ) والزمخشري [٥] (ت٥٣٨هـ) وأبو البركات بن الأنباري [٦] (ت٥٧٧هـ) وابن يعيش[٧] (ت٦٤٣هـ) وغيرهم[٨] ومما تقدم من كلام النحاة نستنتج الحقائق الآتية:

---

(١) يعني بـ (اللام) (ال) التعريف.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/ ٣٥٣ -٣٥٤.

(٣) البحر المحيط ١/ ٧٧.

(٤) دلائل الإعجاز ١٥٤.

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ١/ ٧٣.

(٦) أسرار العربية ص٣٨٠- ٣٨١.

(٧) شرح المفصل ٣/ ١٤١.

(٨) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١/ ١٢٩.

أنّ النحاة راعوا في إعراب الاسم الموصول وصلته الجانب اللفظي، وهو ظهور علامة الإعراب عليه كظهورها على (أيّ) وظهورها عليه في التثنية نحو: أقبل اللذان فازا[١] وقد صرّح ابن جني بأنّ المقصود في نحو، مررت بالرجل الذي قام أخوه ، أن يوصف الرجل بقيام أخيه ، وهذا يعني أنّ جملة: قام أخوه، لها محلٌ من الإعراب ، وهو الجرّ في هذا المثال، ذلك أنّها صفة للرجل، أمّا (الذي) فليست إلاّ أداة تُوصِّل بها إلى هذا الوصف، وما ذكره ابن جني هو الذي عليه النحاة ، كما تبين سالفًا ، وقد مرّ تعريفهم للاسم الموصول بأنّه لا تتم اسميته ولا يكمل معناه إلّا بصلته فهو جزءٌ منها، بل صرحوا بأنّهما كالاسم الواحد[٢] لذلك ذهب بعضهم إلى توحيد إعرابهما[٣]، ففي قولنا مثلًا: أقبل الذي فاز، كان ينبغي أن يعرب (الذي فاز) في محل رفع فاعلًا كأنّه قال: أقبل الفائز[٤] واستقلال الموصول بهذا الإعراب هو الذي أدّى إلى أن تُترك الصلة من غير أن يكون لها محلٌ من الإعراب ، وكذلك نعامل (ما) الموصولة مع صلتها، هذا إذا استندنا في الإعراب إلى المعنى والتعريف الذي ذكروه والغرض الذي بينوه.

لكون الجملة نكرة جاز أن توصف النكرات من الأسماء بالجملة دون وساطة أداةٍ ، نحو: أقبل طالبٌ فاز في السباقِ ، فإذا عرّفنا الفاعل في هذا المثال وجب استعمال (الذي) فيه وأن نقول: أقبلَ الطالبُ الذي فاز ؛ ذلك أنّ (الذي) استعملت لتعريف الجملة كما استعملت (ال) لتعريف المفرد فكلاهما للتعريف، إلّا أنّ (الذي) تزيد في بنائها على (ال) لأنّها خُصصت بتعريف

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ٢/ ٤٠٩.

(٢) المقتضب ٣/ ١٩٧.

(٣) وهذا رأي نسبه ابن هشام إلى بعض النحاة، مغني اللبيب ٤٠٩/٢.

(٤) وقد جعل سيبويه (((الذي ضرب) بمنزلة (الضارب))) الكتاب ٤/ ٢٢٨.

الجملة والجملة تحتاج إلى أداة أقوى في البناء وأدلّ على التعريف مما يحتاج إليه المفرد.

صرح النحاة بأنّ (الذي) اجتلبت في الكلام لتكون وصلة لوصف المعارف بالجمل وهذا يعني أنّ الأسماء الموصولة (الذي) وفروعها لا بدّ أن يكون لها موصوف إمّا ظاهر وإمّا محذوفٌ مقدرٌ قامت الأسماء الموصولة مقامه، فإذا كانت هذه هي الحقيقة فإنّ الضمير العائد في جملة الصلة يكون عائدًا على هذا الموصوف لا على الأسماء الموصولة كما يعرب المعربون.

عندما صرح النحاة بأنّ الأسماء الموصولة المبدوءة بـ(ال) تُعدّ وصلة لوصف المعارف بالجمل، لم يعنوا بذلك إخراج الأسماء الموصولة غير المبدوءة بـ(ال) مثل (ما) و(مَنْ) من هذا الغرض بصفةٍ عامةٍ، فالاسم الموصول استعمل أداة لربط الموصوف بصفته ؛ لذلك عُرِّف بأنّه ((اسمٌ مفعولٌ من وصل الشيء بغيره)) [1] وفي هذا يقول أبو البركات بن الأنباري: ((إنّ أسماء الصلات إنّما أدخلوها في الكلام توصلًا إلى الوصف بالجمل)) [2] ويريد بأسماء الصلات: الأسماء الموصولة.

وقد ذكر النحاة أنّه لا يوصف من بين الموصولات إلّا بـ(الذي) وفروعها[3] ولهذا ذكروا أنّ (ما) الموصولة لا تقع صفةً[4] ذلك أنّ الاسم الموصول لا يعرب صفة إلاّ عند ظهور موصوفه ، فإنّ (الذي) التي أكّد

---

(١) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ١/ ٧٠، وشرح التصريح على التوضيح لخالد الأزهري ١/ ١٣٠.

(٢) أسرار العربية ص٣٨١– ٣٨٢.

(٣) الكشاف ٤/ ٣٨٩– ٣٩٠ وينظر دراسات لأُسلوب القرآن، عبد الخالق عضيمة، القسم الأول ٣/ ٥٣٣.

(٤) لباب الإعراب للفاضل الإسفراييني ص٩٥، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢/ ٢٣١، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ٤/ ٣٩٩.

النحاة أنّها تستعمل وصلة لوصف المعرفة بالجملة، لا تعرب صفة إذا حذف موصوفها ؛ لأنها تقوم عندئذ مقامة، فنحو: أقبل الطالب الذي فاز، يعرب (الطالب) فاعلًا و(الذي) صفة له، لكن عند حذف الفاعل وقولنا: أقبل الذي فاز، لا تعرب (الذي) عند النحاة صفة للفاعل المحذوف، بل تعرب عندهم فاعلًا ؛ فلأنّ الموصوف بـ(الذي) غالبًا ما يحذف لشيوعه ومعرفته، تقوم الصفة (الذي) مقامه فتأخذ حكمه وإعرابه.

و(ما) و(مَنْ) مثل (الذي) في هذا الباب إلّا أنّهما يختلفان عنها بأنّ موصوفيهما لا يصحّ إظهارهما ، وقد أشار أبو حيان (ت ٧٥٤هـ) إلى هذه المسألة عندما عرض لإعراب (ما) في قوله تعالى (مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ) [الأنعام: ٦] فمنع أنْ تكون (ما) في هذه الآية بمنزلة (الذي) لأنّها تكون ((بتقدير: التمكين الذي لم نمكنكم فيه، فحُذِفَ المنعوت وأقيمَ النعت مقامه، وهذا لا يجوز ؛ لأنّ (ما) لا تكون نعتًا للمعارف، لو قلت: ضَرَبَ الضَرْبَ ما ضَرَبَهُ زيدٌ، تريد: الذي ضَرَبَهُ زيدٌ، لم يجز، ولو قلت: الضَرْبَ الذي ضَرَبَهُ زيدٌ، جاز))[١]

وهو في كلامه هذا يؤكد مسألتين: إحداهما أنّ (الذي) لا بدّ من أنْ تكون نعتًا لمنعوتٍ، إن لم يكن ظاهرًا وجب تقديره ، والثانية: قوله ((إنّ (ما) لا تكون نعتًا للمعارف)) يعني أنّها تكون نعتًا للنكرات العامّة ؛ فلكون موصوفها لا يصحّ إظهاره ، ذكر النحاة أنّ (ما) الموصولة لا تقع صفةً ، وهم لا يعنون من ذلك أنّها لا موصوف لها ، بل هي مثل (الذي) لا بد لها من موصوف إلّا أنّه يلزم حذفه فتقوم (ما) دائمًا مقامه ، ولهذا يقول ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ) في (ما) هذه : إنّها وُضِعت ((للموصوف والصفة

---

(١) البحر الميط ٤/ ٧٦ وينظر دراسات لأسلوب القرآن ، القسم الثالث، ٣/ ٥٣٣.

جميعًا))[١] وإنّها تتضمنهما معًا ((فإذا قلت: أعجَبني ما صَنَعَتَهُ، معناه أعجبني الشيء الذي صنعتَه ، فإنّ (الشيء) موصوفٌ و(الذي صنعته) صفته)) [٢].

وما قلناه في (الذي) نقوله هنا في (ما) وهو أنّ الضمير العائد في صلتها لا يعود عليها ، بل يعود على موصوفها المحذوف وهذا الموصوف المحذوف ليس معرفة، بل نكرة عامة ؛ لأنّ (ما) ليست مثل (الذي) وصلةً لوصف المعرفة بالجملة، بل هي وصلةٌ لوصف ما هو مبهمٌ عامٌ غير محددٍ بالجملة.

تبيّن من كلام النحاة أنّ (ما) ليست أداةً للتعريف، و(الذي) وفروعها مثل (ال) أداةٌ للتعريف ، ويُقسِّم النحاة (ال) التعريف على قسمين: عهدية ويراد بها فردٌ معينٌ معهودٌ، وجنسية : ويراد بها أفرادُ الجنس أو هي لاستغراق الأفراد[٣]، ولهذا شاع في كتب النحو أنّ المفرد المُحلّى بـ(ال) الجنسية معرفة لفظًا ونكرة معنًى ، والحق أنّ كلتيهما معرفةٌ لفظًا ومعنًى وأنّ (ال) الجنسية لا يراد بها أفرادَ الجنس بل الجنس بعينه ؛ لذلك ذُكِرَ (أنّها لتعريف العهد فإنّ الأجناس معهودةٌ في الأذهان متميزٌ بعضها من بعضٍ ويُقسِّم المعهود إلى شخصٍ وجنسٍ)) [٤] فلا فرق بينهما سوى أنّ التعريف بـ(ال) العهدية يراد به تعيين فردٍ من أفرادٍ، والتعريف بـ(ال) الجنسية يراد به أيضًا تعيين شيءٍ واحدٍ إلّا أنّ هذا الشيء إنّما هو جنسٌ من الأجناس لا فردٌ من الأفراد.

---

(١) الأمالي النحوية، ص٣١٨.

(٢) الكناش ص١٤١.

(٣) الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ص٢١٧.

(٤) مغني اللبيب ١/ ٥٠.

وكذلك (الذي) فإنّها ترد لما يناظر هذين المعنيين[١] فالاسم الموصول وإن قيل عنه بصفةٍ عامةٍ: إنّه اسم مبهمٌ لا يتضح إلّا بالصلة، إلّا أنّ (الذي) وفروعها فُرِّقت عن (ما) و(مَنْ) ((بأنّها تتناول قومًا بأعيانهم))[٢] إمّا أن تتناول فردًا بعينه، كقوله تعالى (تبارك الذي بيده الملك) [الملك: ١] أو جنسًا بعينه، كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ) [البقرة: ٢٦٤].

ويؤكد النحاة هذه الحقيقة عندما يؤكدون أنّ (ما) الموصولة نفسها ، وليست النكرة الموصوفة أشد إبهامًا وإعمامًا من (الذي) فهي عندهم اسمٌ مبهمٌ دائمًا في غاية الإبهام، حتى إنّها تقع على كل شيء وتقع على ما ليس بشيء، لذلك نقول: إنّ الله يعلم ما كان وما لم يكن، وما هو كائنٌ[٣].

وهنالك مسألة جديرة بالذكر، وهي أنّ جمهور النحاة، كما مر قبل قليل ذهبوا إلى أنّ الاسم الموصول لم يتعرف بـ(ال) بل بجملة الصلة التي عرفته وأزالت إبهامه ولكن كيف يصح هذا والجملة عندهم لا تكون إلاّ نكرةً؟!

وقد بيّن ابن جني وغيره أنّ (الذي) وفروعها تستعمل في الكلام أداةً لتعريف الجملة، لوصف المعرفة بها، لأنّ من شروط الصفة أنْ تتبع الموصوف في التعريف والتنكير، فيكون الاسم الموصول (الذي) هو الذي عرّف الصلة وليست الصلة هي التي عرّفته ، وقد جعل النحاة والمعربون (الذي) تنوب مناب موصوفها المعرفة في الإعراب فاكتسبت دلالته الاسمية والمعرفية ، فعُدّتْ عندهم اسمًا معرفةً ، وقد تبيّن أنّ (ما) التي عُدّتْ موصولة تدخل ضمن هذا الغرض إلّا أنّها لم تستعمل وصلة لوصف

---

(١) شرح الرضي على الكافية ٤/ ٢٥٢.

(٢) التبيان في إعراب القرآن للعكبري ١/ ٢٤.

(٣) كتاب سيبويه ٤/ ٢٢٨، ومغني اللبيب ١/ ٣٢٧، وبدائع الفوائد ١/ ١٣١، والبرهان في علوم القرآن ٤/ ٣٩٨.

المعرفة بالجملة، بل استعملت في الكلام وصلة لوصف ما هو مبهمٌ غير معرفة بالجملة ، فتكون العلة التي أدت الى عدّ (الذي) معرفةً غير موجودة في (ما) الموصولة ؛ لأنّه كما نابت (الذي) مناب موصوفها المعرفة فأكتسبت دلالته في التعريف نابت (ما) مناب موصوفها النكرة العامة فاكتسبت دلالته في التنكير والعموم.

يتبين مما تقدم ذكره أنّ (ما) تستعمل فيما هو عام غير محدد وتستعمل (الذي) فيما هو معرفة وأمرٌ معيَنٌ، وعلى هذا الأساس يفسر استعمال إحداهما دون الأخرى في القرآن الكريم.

ذكر الإسكافي[١] (ت ٤٢٠هـ) والكرماني[٢] (ت٥٠٥هـ) والفيروز آبادي[٣] (ت ٨١٧هـ) أنّه استعمل (الذي) في قوله تعالى(وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ) [البقرة: ١٢٠] لأنّه قصد بالعلم علم الدين كلّه، واستعمل (ما) في قوله تعالى: (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ) [البقرة: ١٤٥] لأنّه قصد بالعلم ، علم القبلة، وهو جزء من علم الدين ، وزيدت (مِنْ) في (ما) لأنّ تقديره : من الوقت الذي جاءك فيه العلم بالقبلة ، وليس الأول مؤقتًا بوقتٍ . انتهى كلام الإسكافي والكرماني.

والظاهر أنّ (الذي) وردت في الآية الأولى ؛ لأنّه أريد بالعلم ، علم الإسلام، فكانت تعبيرًا عن معرفة ، أمّا (ما) في الآية الثانية فلم تكن عائدةً على العلم بالقبلة ، فلو أُريد ذلك لوردت (الذي) أيضًا للتعبير عما هو معرفة وإنّما أريد بها علمٌ عامٌ ؛ ذلك أنّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) أُعطِيَ علمًا

---

(١) درة التأويل وغرة التنزيل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ص٢٥-٢٩.

(٢) أسرار التكرار في القرآن الكريم ص ٣٣- ٣٤.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ١٤٦- ١٤٧.

مجملًا وهو الإسلام، ثم أُعطِيَ العلم بهذا الدين مفصلًا فكان المقصود من (ما) هذا العلم غير المحدد ، الذي كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، يتزوّد منه حتى التحاقه بالرفيق الأعلى، ووردت (مِنْ) مع (ما) لابتداء الغاية، ذلك أنّ الشيء المكتسب الذي يستمرّ اكتسابه ، ويتدرج نموّه ، يحسن أنْ تكون له بدايةٌ، أمّا الشيء الذي يُكْتسَبُ جملة واحدة فلا يحسن له ذلك ، والتدرج في حصول الشيء إنما يكون، فيما يتعلق بتفصيلاته ، و(مِنْ) كما يذكر الكرماني تثبت قبل (بعد) إذا وردت بعد كلام فيه تفصيلٌ ، وتحذف بعد كلام فيه إجمالٌ[١].

ولأنّ (ما) يراد بها معنى النكرة العامة فقد وردت في قوله تعالى: (وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ) [النحل: ٤٩] فهي في هذه الآية ونحوها لا يصحّ أنْ يكون المقصود منها فردًا مُعيّنًا ، ولو أُريد هذا المعنى لاستعملت (الذي) العهدية ، وفي هذا الوجه لا يكون ثمّةَ التباس بينها وبين (ما) ولكنّ الالتباس يحصل اذا أُريد بـ(الذي) المعرفة الجنسية ؛ لأنّ المقصود بكلتيهما شمول المستقرين في السموات والأرض جميعًا بحكم سجودهم لله ، ويكون الفرق بينهما أنّ الآية باستعمال (ما) تعني الخلق فردًا فردًا، على وجه الإعمام والتفصيل، ولو استعمل (الذي) لكان المراد جنس الخلق على وجه التعيين والإجمال، فوصف الشيء بـ(الذي) لا يكون إلّا على نيّة جعله ، قبل ذلك جنسًا من الأجناس من أجل تمييزه وتخصيصه من بينها ، مما يشعر المخاطب بمعنى حصر الحكم أو الصفة مع أنّه ما أُريد ذلك بل أُريد اشعاره بمعنى الشمول والتفصيل ، وهذا المعنى يتحقق باستعمال (ما) لا باستعمال (الذي) لِما بيناه آنفًا ولأمرين:

---

(١) أسرار التكرار ص١٢٤– ١٢٥.

أحدهما: أنّ (الذي) اسم موصول خُصّ بالمفرد المذكر، فلو استعمله، لعبّرت الآية عن هذا النوع ، ولم تشمل الأنواع الأخرى المتصفة بالتأنيث والتثنية والجمع، إلاّ على سبيل التغليب، في حين أنّ (ما) اسم موصول غير مختص، يتناول أنواع المخلوقات تناولًا مباشرًا، فهو من هذه الناحية أشدّ من (الذي) توغلاً بين الأفراد للتعبير عنهم ، أو هو أدلّ على استقصاء الأنواع واستغراقهم ، والحقّ أنّ (الذي) الجنسية ما أُريد بها أفراد الجنس بل الجنس بعينه الدالّ على الإفراد والتذكير.

وثانيهما: أن معنى الجنس في (الذي) لا يشمل أفراد الجنس من دون استثناء، وهذا ما يصرح به النحاة ، فقولنا مثلًا: الرجل أقوى من المرأة، لا يعني أنّ كلّ رجلٍ أقوى من كلّ امرأة ؛ ذلك أنّه محمولٌ على الأعم الأغلب[1] فاذا قلنا مثلًا: قرأتُ الذي في المكتبة ، كان المعنى: قرأتُ أغلب كتبها، أي: جاز أن يكون عددٌ قليلٌ منها غير مشمولٍ بحكم القراءة ، أمّا إذا قلنا : قرأتُ ما في المكتبة ، لزم أنْ يكون المراد كتب المكتبة جميعها كتابًا كتابًا وأنّه لم يُترَكْ واحد منها لم يُقرأْ ، فالآية باستعمال (الذي) تعني: ولله يسجد الشيء الذي في السموات والشيء الذي في الأرض، وباستعمال (ما) تعني: ولله يسجد كل شيء في السموات وكل شيء في الأرض ، فهي بهذا المعنى لا تغادر شيئًا إلا وتناولته بالحكم الذي تضمنته، وهذا هو المراد نفسه في إشعار المخاطبين، مثلًا في قوله تعالى: (له ما في السموات وما في الأرض) [البقرة: ٢٥٥] بأنّه جل شأنه يُهيمن على كل فردٍ بالقوة نفسها التي يُهيمن بها على نظيره من المخلوقات، وأنّه لا تُوهن هيمنته وامتلاكه لكل شيء كثرة مخلوقاته وسعتها فيستوي لديه الواحد وما لا يحصيه إلّا هو ، كما قال تعالى: (مَّا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ)[لقمان: ٢٨].

---

(١) قطر الندى وبلّ الصدى لابن هشام ص١١٣.

وذكر النحاة أنّ (ما) اسم مبهم يقع معناها على المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، تقول مثلًا ، لمن اشترى جملًا أو ناقةً أو جملين أو ناقتين أو جمالاً أو نياقًا : أعجَبَني ما اشتريتَهُ (للمفرد المذكر) وما اشْتَرَيتَها (للمفرد المؤنث) وما أشتَرَيتَهما (للمثنى المذكر والمؤنث) وما اشْتَرَيتَها (للجمع المذكر والمؤنث) وتقول أعجبَني ما رُكبا وما رُكِبتا ، وما رُكبن ، وكذلك قالوا في أختها (مَنْ) إذ أجازوا أنْ يقال: جاءني مَنْ قام ومَنْ قاما ومَنْ قامتا ومَنْ قاموا ومَنْ قُمْنَ ، وأعجَبَني مَنْ جاءتاكَ ومَنْ جاءَاكَ ومَنْ جاؤوكَ ومَنْ جِئْنكَ[١].

وهذا الكلام يوهم أنّ (ما) إذا وقع معناها على مفرد لزم إفراد الضمير العائد عليها ، وإذا وقع على مثنى، لزم تثنيته ، وإذا وقع على جمع لزم جمعه وإذا وقع على مذكر لزم تذكيره ، وإذا وقع على مؤنث لزم تأنيثه.

وليس الأمر كذلك وهو خلاف ما أجمعوا عليه، فإنّه يلزم إفراد الضمير سواءٌ وقع معنى (ما) على مفردٍ أم مثنى أم جمعٍ، فهي تستعمل دائمًا بمعنى النكرة العامة، فاذا أمَرْنا مثلًا رجلًا حاملًا حقيبةً أنْ يخرج منها كلّ شيء فيها، فلم يخرج منها إلّا كتابًا واحدًا ؛ لأنّه لم يكن يوجد فيها شيءٌ غيره ، فإذا أردنا أن نعبر عن هذه الحالة بمعنى الإفراد قلنا : أخرجَ الرجلُ كتابًا مِنْ حقيبتهِ وإذا أردنا أن نعبّر عنها بمعنى العموم قلنا : أخرج الرجل ما في حقيبته ؛ لأنّها تكون بمعنى: أخرج جميع ما فيها ، وجميع ما فيها لم يكن غير هذا الكتاب.

ولإفادة (ما) هذا المعنى المبهم العامّ استعملت للتفخيم والتهويل كقوله تعالى: (فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ) [طه: ٧٨] وقوله تعالى: (فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى) [النجم: ١٠] وقوله تعالى: (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا

(١) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٢٤، وقطر الندى ص١٠٢، وشرح ابن عقيل ١/ ١٤٧.

صَنَعُوا) [طه: ٦٩] ((كأنّه قال: ألقِ هذا الأمر الهائل الذي في يمينك فإنّه يبطل ما أتوا به من سحرهم العظيم)) [١].

فإنّ (ما) في هذه الاية وإن بدت عائدة على (العصا) إلّا أُنه ما أُريد بها معنى الإفراد، بل أُريد بها معنى الجمع، كأنّه ليس في يمينه شيءٌ واحدٌ فيكون سببًا لانتصاره ، بل أسباب النصر كلها ، فلم يقل سبحانه : وألق التي في يمينك ، بل قال: ((وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ) فعبَّر عن العصا بمعنى التنكير والعموم تهويلًا وتفخيمًا لشأنها من جهةٍ ؛ ولأنّها ما زالت نكرة لا يعلم المخاطبُ حقيقتها من جهة أخرى، وعلى أيّة حال لو كان في يمينه العصا وأشياء سواها لشملهنّ الخطاب جميعًا ؛ لأنّ الآية باستعمال (ما) تعني : وألق كل شيء في يمينك كائنًا ما كان.

فلفظ (ما) هو بمعنى الفاظ الجمع (جميع) و (كلّ) و (كافة) أو عبارة (كل شيءٍ) أو (أيّ شيء كان) أو نحو ذلك. فهذه الأداة تستعمل في الكلام لإعمام ما عادت عليه بغضّ النظر عن عدده ؛ لأنه بالإشارة إلى عدده يزول معنى إبهام (ما) وعمومها ؛ فلأنّها اسمٌ مبهمٌ تصلح أنْ تقع على كل نوع وعددٍ فلا يلزم فيها لتعبّر عن المؤنث أو الجمع تأنيث العائد عليها أو جمعه، بل هي تعبّر عن ذلك كله بإفراد الضمير، ولم أجد في كتب النحو التي رجعت إليها شواهد من كلام العرب أو أشعارهم ورد فيها العائد مؤنثًا أو جمعًا، وإنّما اقتصر النحاة في هذا الباب على الأمثلة المصنوعة التي وضعوها للتمرين وقلّما نجد في القرآن الكريم تأنيث العائد أو جمعه في صلة (ما) وربّما وجدنا هذا في توابعها من ذلك قوله تعالى: (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا) [طه: ٦٩] ففي (تلقف) ضمير مستتر تقديره: (هي) عائد

---

(١) معترك الأقران ٢/ ٣٥٠، ونتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل المرابط الدلائي ٢/ ٧٨٦. والطراز للعلوي ص٧٨- ٨١.

على (ما) حملاً على المعنى ؛ لأنّ المراد (العصا) وهي مؤنثة. وقيل (تلقفْ) للخطاب، بمعنى تلقف أنت[١] والصحيح الوجه الأول بدلالة قوله تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ) [الأعراف: ١١٧] وقوله تعالى: (فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ) [الشعراء: ٤٥] ومن ذلك قوله تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ) [يونس: ١٨] فأفرد العائد على (ما) في (ما لا يضرّهم ولا ينفعهم) وجمع في (هؤلاء شفعاؤنا)[٢].

ولم يرد الضمير جمعًا في صلتها في القرآن الكريم، إلّا في موضعٍ واحدٍ هو قوله تعالى: (وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ) [النحل: ٥٦] فعبّر بـ(ما) عن الأصنام وجمع الضمير العائد عليها في (يعلمون)، أي: يجعلون الأصنام التي لا تعلم شيئًا، نصيبًا مما رزقناهم[٣].

ولم يرد هذا أيضًا في أختها (مَنْ) إلّا في موضعين في قوله تعالى: (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ) [يونس: ٤٢] وفي قوله تعالى: (وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ) [الأنبياء: ٨١].

ويبدو أنّ السر في مجيء العائد جمعًا لا مفردًا في سورة النحل ، كان ليؤكّد أنّ الأصنام جميعها، صغيرها وكبيرها لا تعلم شيئًا ، وكذلك الحال في سورة يونس ورد جمعًا ليؤكّد أنّ المستمعين من المشركين سرًّا من غير علم مَن يتبعونهم لقراءة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليلًا[٤] كانوا في الأقل جمعًا

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ١٤٨.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٣٩٩، والإتقان في علوم القرآن ٢/ ٢٨٧.

(٣) الكشف في نكت المعاني والإعراب وعلل القراءات لابن ضرير، الجامعي النحوي ١/ ٢٠.

(٤) عن البهيقي عن الحاكم بسنده الى الزهري أنّ أبا جهلٍ وأبا سفيان والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يصلي بالليل

؛ ذلك أنّ الآية تحدثت عن حالة غريبةٍ، نادرة الوقوع، الأمر الذي يجعل السامع يحمل (مَن) على أقلّ عدد ممكن، وهو المستمع الواحد، فاقتضى هذا المقام جمع العائد للإخبار بأنّ المستمعين كانوا ثلاثة فأكثر. ومدّ الفعل (يستمعون) بالواو يعبّر عن طول استماعهم له، فقد كانوا يصغون لتلاوة القرآن تحت جنح الظلام ساعات طويلة وهو لا يعلم بهم ، ووردت (يستمع) بإفراد الضمير العائد في قوله تعالى: (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) [الأنعام: ٢٥]، ولعله أُريد في هذه الآية استماع المشركين للرسول(صلى الله عليه وسلم) جهرًا في النهار وهو بينهم يدعوهم إلى الإسلام استماعًا من غير تدبر وإصغاء ؛ فلم يقتض هذا المقام جمع العائد.

ولصلاح (ما) و (مَن) للتعبير عن الجمع بإفراد الضمير في صلتهما ، صار جعله بصيغة الجمع لا فائدة منه ؛ لذلك لم يرد منه في القرآن الكريم، إلاّ لوجه بلاغي احتاج إليه السياق كالوجه الذي بيّناه في الآيتين المذكورتين ، أما عود الضمير مثنى على (ما) فنادرٌ، بل يكاد لا يصح وقوعه ؛ إذ يتعيّن في حالة التثنية معرفة العدد، وقد ذكرنا قبل قليلٍ أنّ الإشارة إلى العدد تزيل إبهام (ما) وهو خلاف الغرض الذي وضعت له ، لذلك يبدو أنّه لا يصحّ أن يقال : أعجبني ما اشتريتهما أو أعجبني ما رُكبا ، أو ما رُكبتا ، ولا

فأخذ كل رجل منهم مجلسًا ليستمع منه، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئًا ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا، فلمّا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقالوا: لا نبرح حتى نتعاهد ألاّ نعود، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا، سيرة ابن هشام ١/ ٢٥٠.

يصحّ كذلك أن يقال : جاءني مَن قاما أو مَن قامتا ، وأعجبني مَنْ جاءاك، أو جاءتاك كما مثل النحاة فلا يجوز استعمال (ما) أو (مَن) في التثنية إلّا إذا بقيا على وضعهما يفيدان التنكير والإعمام ؛ لذلك لم يرد في القرآن الكريم تثنية الضمير العائد على (ما) ولا على (مَن) لا في صلتهما ولا في توابعهما ، بل مثل هذا لم يرد في اللغة ، على الرغم من أنّ كتب النحو أجازت ذلك ، ومثّلتْ له بل جعله ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) خارجًا عن كلام العرب ؛ إذ ذكر أنّه ليس في كلامهم (مَن) وقعت على اثنين إلّا في بيت الفرزدق[١].

تعال فإن عاهَدتَني لا تَخونُني   نَكُنْ مثلَ مَنْ يا ذِئبُ يصطحبانِ[٢]

والشاعر في هذا البيت لا يعني من المثنى (يصطحبان) نفسه والذئب الذي يخاطبه، بل جعله مثلًا ينطبق عليه ، وعلى الذئب، وعلى كل من كان حالهما مثل حالهما فإذا قلنا مثلًا: هَنّاتُ مَن تزَوّجا، عنينا : أي متزوجين كانا ، ولا يصحّ أنْ يكون المراد رجلًا بعينه وامرأةً بعينها ، فإذا أردنا هذا المعنى لزم استعمال (اللذين) العهدية وأنْ نقول : هَنّأتُ اللّذين تزوجا ، فقد صلحت التثنية هنا مع (مَن) لأنّها جُعلتْ بهذا المعنى العامّ المبهم ، و(ما) مثل (مَنْ) في هذه المسألة، لا فرق بينهما في الأحكام ، سوى وضع (ما) لغير العاقل، واختصاص (مَن) بالعقلاء

---

(١) ليس في كلام العرب ص٢١٨.

(٢) البيت في ديوانه:

تعشَّ فإنْ وافقتني لا تخونني   نكن مثل من يا ذئب يصطحبانِ

شرح ديوان الفرزدق ٢/ ٥٩٠.

المبحث الثاني : (ما) الموصولة بين جواز عودها على العاقل وامتناعه

يقول النحاة : إنّ الأصل والأكثر في (ما) أن تجيء لغير العاقل، وقد جاءت للعاقل في كلام العرب كقولهم إذا سمعوا صوت الرعد : سبحان ما سخركنّ لنا ، وسبحان ما سبّح الرعد بحمده[١].

وهذا ما أجازه النحاة والمفسرون في القرآن الكريم، فقد أجازوا أن تكون (ما) موصولة عائدة على العاقل في قوله تعالى: (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ){النساء :٣} بتقدير : أو ما ملكته أيمانكم أو مصدرية بتقدير : ملك أيمانكم[٢] وكذلك أجازوا أن تكون موصولة في قوله تعالى: (وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء) [النساء ٢٢] بتقدير: ولا تنكحوا من نكحهنّ آباؤكم، والمراد تحريم نكاح نساء الآباء أو مصدرية بتقدير: ولا تنكحوا نكاح آبائكم، والمراد تحريم طرق النكاح التي كان يتبعها الآباء[٣] من الجاهليين.

---

(١) الكتاب ٢/ ٢٨٦ وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص٥٣٣ والمقتضب، ٤٢/١، ٢٩٦/٢ وإعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ٩٢٢/٣ والصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لابن فارس ص١٧١. والأزهية في علم الحروف للهروي، ص٩٥ والاستغناء في أحكام الاستثناء للقرافي ص١١٢ والفوائد العجيبة ضمن كتاب: نصوص محققة ، ص٧٧٥.

(٢) معاني القران للفرّاء ٢٥٤/٢ وجامع البيان في تفسير القرآن للطبري ٥٤٢/٧. وإعراب القرآن للنحاس ٤١٤/٢ ومشكل إعراب القرآن ١٩٠/١، ١٩٥، ٥٨٠/٢.

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢٦٣/٣-٢٦٤ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١٢٠/١ وجامع البيان في تفسير القرآن ٥٤٢/٧، ٢٠٠/٢٣، ٢٠٩/٣٠ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٢/٢ والتبيان في تفسير القرآن ١٥٤/٣ ومفاتيح الغيب للرازي ١٧/٩ والجامع لأحكام القرآن ١٠٣/٥ وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود ٣٢٨/١ وفتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من التفسير للشوكاني ٤٤١/٢.

وكذلك أجازوا هذين الوجهين في قوله تعالى: (لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ) [البلد ١-٤] والمراد القسم بالوالد وبالذي ولده او بالوالد وولادته[١]. وفي قوله تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ) [الكافرون ٣-٥] يكون المعنى: ولا انتم عابدون من أعبده ، وهو الله سبحانه ، أو : ولا أنتم عابدون عبادتي[٢].

فجاز في (ما) في هذه الآيات الموصولية والمصدرية ؛ لأنّ في صلتها ضميرًا محذوفًا يمكن تقديره أو عدم تقديره.

وأجازو كذلك أن تكون (ما) موصولة عائدة على العاقل في قوله تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً) [النساء ٣] وجعلوا التقدير: فانكحوا مَن طاب لكم ، وأجازوا أن تكون مصدرية ظرفية بتقدير: فانكحوا مدة طيب النكاح لكم ، أو مصدرية مقدرة باسم الفاعل والمعنى: فانكحوا النكاح الذي طاب[٣] غير أنّ النكاح مصدر (نكح) وليس مصدر (طاب)، فعند جعل (ما) مصدرية بمعنى الفاعل يلزم أن يكون التقدير: فانكحوا الطيّب

---

(١) معاني القرآن للفرّاء ٣/٢٦٣-٢٦٤ وجامع البيان في تفسير القرآن ٣٠/٢٠٩ والتبيان في إعراب القرآن ٢/١٢٨٨ وتفسير القرآن لابن كثير ٤/٥١٢ وارشاد العقل السليم ٥/٢٦٤.

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٣/٢٦٣-٢٦٤ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٣٤٦ ورصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي ص٣١٤ وإرشاد العقل السليم ٥/٢٨٨.

(٣) معاني القرآن للفراء ١/٢٥٣-٢٥٤، ٢/٢٨، ٣/٢٦٣-٢٦٤ وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ٧/٥٤٢، ٣٠/٢٠٩ وأحكام القرآن لابن العربي ١/٣١٢، ومجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ٣/٥، ومفاتيح الغيب ٩/١٧٢ والجامع لآحكام القرآن للقرطبي ٥/٣٤، والبحر المحيط ٣/١٦٢.

، وعيّن النحاس الموصولية واستبعد المصدرية[١]، وأجاز اغلب النحاة والمفسرين الوجهين ومن بينهم أبو حيان الأندلسي[٢] وآثروا معنى المصدرية ، لأنّ جعل (ما) موصولة عائدة على العاقل مخالف للأكثر والأصل : وهذا ما صرّح به المبرد (ت:٢٨٥هـ) إذ أشار إلى أنّ جعل (ما) مصدرية ((أقيس في العربية)) [٣] وذكر أنّ هذا هو الوجه ((الذي عليه النحويون))[٤] وقد تبيّن في المبحث السابق أنّ (ما) بإجماع النحاة[٥] تتعيّن أن تكون موصولة ، وتمتنع أن تكون مصدرية ، إذا عاد عليها الضمير، فكيف جاز عندهم أن تكون في هذه الآية مصدرية، وقد عاد عليها الضمير المستتر في (طاب)؟! مع أنّ هذا الضمير لا يصحّ إلغاؤه ؛ لأنّه فاعل، ولا يصح ردّه إلى غير (ما) إلّا بتاويل لا يخلو من تكلف ظاهر ، يستلزم ذكره عند القول بجواز المصدرية، ولم أجد أحدًا منهم جاء بأيّ تأويل كان ليسوغ به هذا الوجه ، وهذه قاعدة نحوية ، فقد استند إليها مثلًا ابن هشام في تخطئته مَن قبله فقال: ((وللزمخشري غلطة .. فإنّه جوز مصدرية (ما) في (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ) [هود ١١٦] مع أنّه قد عاد عليها الضمير)) [٦] وما قاله

---

(١)إعراب القرآن ٣٩٣/١.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٩٠/١، ١٨٩، ١٩٥ ومفاتيح الغيب ١٧٢/٩ والتبيان في إعراب القرآن ٣٢٨/١ والجامع لأحكام القرآن ١٢/٥-١٣ والبحر المحيط ١٦٢/٣ والتدريب في تمثيل التقريب ص٧٠ وإرشاد العقل السليم ٣١٤/١ وفتح القدير ٤٢٠/٢.

(٣) المقتضب ١٨٥/٤، ٢١٨.

(٤) المقتضب ٥٢/٢.

(٥) (ما) المصدرية لا يصحّ أن يعود عليها الضمير عند النحاة سواء جمهورهم الذين قالوا بحرفيتها ام القلة منهم الذين قالوا باسميتها إلّا انّ الفريق الثاني أوجب ذلك فقط في التقدير.

(٦) الكشاف ٤٣٧/٢، ومغني اللبيب ٣٠٦/١.

الزمخشري في هذه الآية قاله جمهور النحاة والمفسرين في قوله تعالى (فانكحوا ما طاب لكم).

وكذلك أجازوا أن تكون (ما) موصولة عائدة على العاقل في قوله تعالى: (وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا * وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) [الشمس: ٥-٨] والتقدير والسماء والله الذي بناها ، والأرض والله الذي طحاها ، ونفس والله الذي سواها ، أو مصدرية ، والتقدير: والسماء وبنائها والأرض وطحوها ، ونفس وتسويتها[1].

وضعّف بعضهم الوجه الأول ، لأنّه به يتقدم ذكر المخلوق على الخالق[2] وقال الزمخشري : ((جعلت (ما) مصدرية في قوله : (وَمَا بَنَاهَا) (وَمَا طَحَاهَا) (وَمَا سَوَّاهَا) وليس بالوجه لقوله (فَأَلْهَمَهَا) وما يؤدي إليه من فساد النظم ، والوجه أن تكون موصولة)) [3]، وردّ عليه أبو حيان بقوله : ((ولا يلزم ذلك لأنّا إذا جعلناها مصدرية عاد الضمير على ما يفهم من سياق الكلام ، ففي (بناها) ضمير عائد على الله تعالى ، أي: وبناها هو، أي: الله تعالى ، كما إذا رايت زيدًا قد ضرب عمرًا ، فقلت : عجبت مما ضرب عمرًا، تقديره : عجبت من ضرب عمرو هو، فصيحًا جائزًا، وعود الضمير على ما يفهم من سياق الكلام كثير)) [4] ويعني أنّها لا تكون مصدرية إلّا إذا جعلنا الآية بتقدير: والسماء وما بناها الله ، فتتجرد (ما) من

---

(1) معاني القرآن للفراء ٤١٦/٢، ٢٦٣/٣-٢٦٤ ومعاني القرآن للأخفش ٥٣٩/٢، وإعراب ثلاثين سورة ص٩٨ والأُزهية في علم الحروف ص٨١ والتبيان في تفسير القرآن ٣٥٧/١-٣٥٨ والكشاف ٧٥٩/٤ والتبيان في إعراب القرآن ١٢٩٠/٢ وتفسير القرآن لابن كثير ٥١٥/٤ وإرشاد العقل السليم ٢٦٦/٥.

(2) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ٢٠٢/٤.

(3) الكشاف ٧٥٩/٤.

(4) البحر المحيط ٤٧٨/٨-٤٧٩ وفتح القدير ٤٤٨/٥-٤٤٩.

عود الضمير المستتر عليها ، ولا يلزم ذلك أيضا لجواز جعل (ما) موصولة بعود الضمير الظاهر عليها ، والقسم بالمخلوق بتقدير: والسماء والكائنات التي بناها الله ، وما استدل به الزمخشري لا يُحتاج إليه ؛ لأنّ عود الضمير على (ما) قد ثبت وتعيّنت به الموصولية قبل ذكر (فَأَلْهَمَهَا).

وصحّ كلام أبي حيان الذي يدل على أنّ المصدرية لا تجوز إلّا بالتأويل الذي أشار اليه ، وكان ينبغي أن يشير إليه أيضًا عندما نقل القول بجوازها في قوله تعالى: (فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم) والنحاة والمفسرون لم يجيزوا المصدرية بهذا التأويل، إذ لم يلتفتوا إلى مسألة عود الضمير على (ما) والدليل على ذلك أنّي لم أجد أحدًا منهم غيره ذكره ، وذِكْرُه لا بدّ منه أيضًا لأنّ المصدرية في هذه الآيات لا تسوغ إلّا به ، والدليل الآخر تقديرهم : والسماء وبنائها ، فلو أردنا جعله من باب إضافة المصدر إلى فاعله لأسندنا معنى الفاعلية إلى السماء ، وهذا لا يصحّ لأنّ المراد إسنادها إلى البارئ عزّ وجل، ويكون مِن (وما بنته) أو من (وما بنتها) والآية : (وَمَا بَنَاهَا) ولو أردنا جعله من باب إضافة المصدر إلى مفعوله لما صحّ أيضًا ؛ لأنّه لا يكون إلّا من الفعل (بنى) من دون فاعله ، وكذلك يقال الكلام نفسه في قوله تعالى : (وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا) وهذا ما نبّه عليه البيضاوي (ت٦٨٥هـ) في هذه الآيات بقوله : ((وجعل (ما) مصدرية يجرّد الفعل عن الفاعل)) [١] فإذا أُريد هذا الفعل مع فاعله الذي هو الله سبحانه حسب التأويل الذي أشار اليه أبو حيان، للزم إظهار ضميره ، إمّا بإضافة المصدر إليه نحو: والسماء وبنائه إياها، أو بإبرازه منفصلا عنه نحو: والسماء وبنائها هو.

وكذلك أجازوا أن تكون (ما) موصولة عائدة على العاقل في قوله تعالى: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأنثَى* إِنَّ

([١]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص٨٠٠.

سَعْيَكُمْ لَشَتَّى) [الليل: ١- ٤] بتقدير: والله الذي خلق الذكر والأنثى أو مصدرية بتقدير: وخلقه الذكر والأنثى[١] ولم يشيروا في هذه الآية أيضًا إلى مسالة عود الضمير المستتر في (خلق) على (ما) الذي بمقتضاه تمتنع المصدرية.

ويصحّ تقدير المصدرية المذكور لو قال سبحانه : وما خلق الله الذكر والأنثى، ولا يصحّ للذي ورد في نصّ القرآن إلاّ على تأويل جعل الضمير المستتر عائدًا على الله سبحانه المفهوم من السياق لا على (ما) وهو ما لم يشر إليه النحاة والمفسرون وأبو حيان نفسه الذي أجاز المصدرية في هذه الاية وقدمها على الموصولية[٢] دون أن يشير إلى هذا التأويل الذي أكّد الأخذ به في الآيات التي تقدمتها في سورة (الشمس).

ونسب الزمخشري إلى الكسائي أنّه جعل (ما خلق) ((بمعنى وما خلقه الله أي: ومخلوق الله، الذكر والأنثى ، وجاز إضمار اسم الله ؛ لأنّه معلوم لانفراده بالخلق إذ لا خالق سواه)) [٣] وتعرب (الذكر والانثى) بدلا، والقسم بالمخلوق بتقدير: والشيء الذي خلقه الله.

---

(١) معاني القرآن للفرّاء ٣/٢٦٣-٢٦٤ ومجاز القرآن ٣٠١/٢ وجامع البيان ٢٠٩/٣٠ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٣٥/٥، وإعراب ثلاثين سورة ص١٠٧ ومفاتيح الغيب ١٩٧/٣١ والتبيان في إعراب القرآن ١٢٩١/٢ وفتح القدير ٤٥٢/٥.

(٢) البحر المحيط ٤٨٣/٨.

(٣) الكشاف ٧٦٢/٤.

وأجازوا مجيء (ما) للعاقل في آيات أُخَر، كقوله تعالى: (خالِدِينَ فِيهَا إِلّا مَا شَاء اللّهُ) [الأنعام: ١٢٨] وقوله تعالى، (إلّا ما شاءَ رَبُّكَ) [هود: ١٠٧–١٠٨]. والراجح أنّ (ما) هنا عائدة على الزمان[١].

وكذلك قوله تعالى: (وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ) [الزمر: ٨] فقد أجازوا أن تكون (ما) في هذه الاية موصولة عائدة على العاقل بتقدير: نسي الله الذي كان يدعوه ، أو مصدرية بتقدير: نسي دعاءه إلى الله[٢] وقيل : تمّ الكلام عند (نسي) و (ما) نافية ، أي: نفى أن يكون دعاء هذا الكافر خالصًا لوجه الله سبحانه[٣] والراجح، فيما يبدو ما ذهب اليه الزمخشري[٤]، وهو أنّ (ما) عائدة على الضرّ والتقدير: ونسي الضرَّ الذي كان يدعو اللهَ إليه، يؤيد ذلك ، قوله تعالى: ((وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ)) [يونس:١٢] وكذلك أجازوا عودها على العاقل في قوله تعالى: ((قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا)) [الفرقان:٦٠] والتقدير: أنسجدُ للذي تأمرنا[٥]؟.

---

(١) جامع البيان ٤٨٤/١٥–٤٨٧ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٩٢/٢، والكشاف ٦٥/٢ والتبيان في إعراب القرآن ٢٧٠/١، ٥٣٩، ٧١٤/٢–٧١٥ وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن الجوزية ص٢٧١–٢٧٣ وتفسير القرآن لابن كثير ٤٦٠/٢.

(٢) معاني القرآن للفراء ٤١٦/٢ وجامع البيان ٢٠٠/٢٣ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٤٦/٤ والتبيان في تفسير القرآن ١٢/٩.

(٣) البحر المحيط ٤١٨/٧ وينظر دراسات لأسلوب القرآن، عبد الخالق عضيمة القسم الأول ١٤٠/٣.

(٤) الكشاف ١١٦/٤.

(٥) البيان في غريب إعراب القرآن٢٠٧/٢ والتبيان في إعراب القرآن٩٩٠/٢.

ولأنّ مجي(ما) للعاقل مخالف للأصل، انقسم النحاة في هذه القضية فمنهم من أجاز وقوع (ما) على آحاد مَن يعقل مطلقًا ، ومنهم من لم يجز وقوعها على عاقل إلّا بقرينة أو مسوغ[١] ومن هذه المسوغات ما قيل في (ما) في قوله تعالى: ((فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم)) وقوله تعالى: ((أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ)) أنّها وردت للعاقل ؛ لأن الإناث يجرينَ مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ، ونقل هذا القول من دون أن يعلّق عليه الزمخشري[٢] والرازي[٣] (ت٦٠٦هـ)، والنسفي[٤] (ت٧١٠هـ) وابن جزي الكلبي[٥](ت٧٤١هـ) وأبو حيان الأندلسي[٦] وأبو السعود [٧] (ت٩٥١هـ) وهو قول بعيد ، ولا يصحّ نقله نقله دون الردّ على قائله ؛ لأنّ (ما) كما وردت للعاقل المؤنث ، وردت للعاقل المذكر، بل عادت على الله ، سبحانه في مواضع.

وقيل: إنّ (ما) في قوله تعالى: ((وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ)) وردت للعاقل لمطابقة ما قبلها وما بعدها لتكون معهما على نسق واحد[٨] ؛ لأنّها وقعت بين قوله تعالى: ((لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ)) [الكافرون:٢] وقوله تعالى: ((وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ)) [الكافرون:٤] وذكر ابن قيّم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) هذا الوجه وعدّه من ازدواج الكلام في البلاغة والفصاحة[٩]: مثل قوله تعالى:

---

(١) البحر المحيط ٤٧٨/٨ وهمع الهوامع١/٣١٤-٣١٥.

(٢) الكشاف١/٤١٧.

(٣) مفاتيح الغيب ١٧٢/٩.

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تفسيره ٢٠٥/١.

(٥) التسهيل لعلوم التأويل-تفسيره ١٢٩/١.

(٦) البحر المحيط ١٦٢/٣.

(٧) إرشاد العقل السليم ١٤١/٢.

(٨) البيان في غريب إعراب القرآن ٥٤٢/٢ ومجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ٥٥١/١.

(٩) التفسير القيّم لابن قيّم الجوزية ص٥٢٥-٥٢٦.

تعالى: ((فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ)) [البقرة: ١٩٤] وقوله تعالى: ((نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ)) [التوبة:٦٧].

إلّا أنّ المسوغ الذي شاع ، هو أنّ ورود (ما) للعاقل في القرآن الكريم ((كان على وضع النعت موضع المنعوت ؛ لأنّ (ما) تكون لغير الآدميين ولصفات الآدميين وأجناسهم وأنواعهم)) [١] وذكر الزركشي (ت٧٩٤هـ) أنّ (ما) الموصولة ((لا تكون لأشخاص ما يعقل على الصحيح ؛ لأنّها اسم مبهم يقع على جميع الأجناس فلا يصحّ دخولها إلاّ على الجنس)) [٢] وجعل وجعل من ذلك قوله تعالى: (فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم) ((والمعنى: انكحوا الموصوفة بايّ صفة أردتم من البكارة والثيوبة ونحوها)) [٣] وكذلك قوله تعالى: (وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم) والمعنى: ولا تنكحوا المنكوحة من قبل الآباء، أو بمعنى: ولا تنكحوا النوع الذي نكحه آباؤكم[٤]، وتناول ابن قيّم الجوزية هذا الوجه، وصرّح بأنّه أحسن الوجوه عنده، ففصّل القول فيه ، وجعل إطلاق (ما) على صفة ما يعقل أبلغ من استعمال (من) الدالّة ((على الذات فقط))[٥].

(ما) ومعنى الجنس

تبيّن مما تقدم ذكره أنّ النحاة والمفسرين استندوا في تفسير مجيء (ما) للعاقل في القران الكريم إلى أساسين:

الأول: أنّ (ما) وُضعت لذات ما لا يعقل ، ولصفة من يعقل.

---

(١) المقتضب ٤٨/١،ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٨/٢ وإعراب القرآن للنحاس ٣٩٣/١ والكشاف ٧٥٩/٤، ٧٦١، ٨٠٩ ومفاتيح الغيب ١٧٢/٩.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣٩٩/٤.

(٣) حاشية الخضري على ابن عقيل، لمحمد الخضري ٧٣/١.

(٤) البحر المحيط ١٦٢/٣، ٢٠٨.

(٥) التفسير القيّم ص ٥٢٥–٥٢٦ وبدائع الفوائد ١٣١/١–١٣٤.

والثاني: ان (من) وُضعت لذات العاقل.

غير أنّ الذي يُلحظ ، هو أنّ العرب إذا أرادوا التعبير عن صفة الموصوف استعملوا (ما) و(مَن) وجعلوا الأولى لغير العاقل ، أو لِما هو عام ، وخصّوا الثانية بالعاقل ، وإذا أرادوا التعبير عن ذات الموصوف ، عاقلًا كان أم غير عاقل ، استعملوا (الذي) وفروعها ، مما هو مبدوء بـ(ال) ولمّا كان المراد من (الذي) الذات ، اقتضى تعيين هذه الذات في الكلام، إمّا عهدًا وإمّا جنسًا، ظاهرة أو مقدرة ؛ ذلك أنّ التعبير عنها لا يتحقق إلّا بتعيينها.

أمّا (ما) فعلى العكس من ذلك ؛ إذ أنّها لمّا لم يكن المراد من وضعها الذات ، بل المراد صفتها، فقد اقتضى ذلك عدم تعيين هذه الذات ؛ لذلك لزم حذفها، أي: حذف الموصوف ، وإذا أُريدت الصفة لزم إعمامها ؛ لأنّه يلزم أن يراد منها كلّ من اتصف بها.

وقد ذكر النحاة والمفسرون في الآيات التي مر ذكرها، كقوله تعالى: (فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء) أنّه استعمل (ما) ؛ لأنّه أراد صفة من يعقل ، ولو أراد الذات لاستعمل (مَن) وقيل : فانكحوا مَن طاب لكم ، والحقيقة هي أنّه لو أراد صفة من يعقل لاستعمل (من) لا (ما) ؛ لأنّ (ما) لا تجيء إلاّ لصفة غير العاقل ، وكيف يصحّ في (مَن) إرادة الذات، وهذه الذات لا يصحّ إظهارها مع (مَن) ولا تقديرها؟ إذ لا يصحّ أن يكون التقدير: فانكحوا المرأة من طابت.

ويمكن استعمال غير (ما) من الموصولات الاسمية في الكلام ولكنَّ كُلاًّ منها تؤدي معنى لا تؤديه الأخرى. فلو أراد صفة الفرد لاستعمل (مَن) وقيل: فانكحوا من طاب ؛ لان الفرد هنا مما يعقل ، ولكان المراد بالصفة كلّ فرد موصوف بها من غير تحديد ، وفي ذلك معنى الجميع والعموم والتقدير: فانكحوا أي امراة كانت طابت لكم ، ولأفرد العائد ؛ لأنه هو الأصل والأكثر كما تبين هذا في المبحث السابق ، ولجاز التانيث والأغلب التذكير، كما

جاز ذلك في (مَن) الشرطية في مثل قوله تعالى: (وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ) [الأحزاب: ٣١] فالخطاب موجه إلى نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعهنّ إلّا أنّه أفرد العائد وذكره في (يقنت) وأنّثه في (تعمل).

ولو أراد ذات الفرد بمعنى العهدية أو الجنسية لاستعمل (التي) وقال: فانكحوا التي طابت ، وفي كلا الوجهين معنى الإفراد والتعيين ؛ لأنّ الوجه الأول يعني امراة بعينها والثاني يعني جنسًا بعينه وأنّث ؛ لأنه عبّر عن هذا الجنس المعين بالذات المؤنثة إذ التقدير: فانكحوا المراة التي طابت.

ولو أراد ذات الجنس لاستعمل (الذي) وقال: فانكحوا الذي طاب ، وأفرد وذكّر ؛ لأنّه أراد معنى الجنس المفرد المذكر ، والتقدير: فانكحوا الجنس الذي طاب ، أمّا (ما) فقد استعملت في الآية لتعبّر عن صفة الجنس ؛ لذلك ذكّر الضمير العائد ولم يؤنّثه ؛ لأنّه لم يعد على آحاد مَن يعقل من الإناث ، وهذا ما صرح به الطبري من أنّه استعمل (ما) ولم يستعمل (مَن) ((لأنه لم يرد أعيان النساء وأشخاصهن)) [١].

وتبدو هذه القضية واضحة لاخلاف فيها حتى إنّ من النحاة من استند اليها لتفسير مسألةٍ مِن مسائل الإعراب فقد قُرئ قوله تعالى: (حافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ) [النساء: ٣٤] بنصب لفظ الجلالة (الله) [٢] فمن نصب جعل (ما) موصولة ، وفي (حفظ) ضمير مستتر عائد عليها ، والمعنى: حافظات للغيب بالشيء الذي حفظ اللهَ ؛ أي: حفظ أمره أو طاعته أو دينه.

وأجاز الزجاج[٣] ومكي القيسي[١] أن تكون (ما) مصدرية ، ولا يصح هذا الوجه ؛ لأن (ما) لا تكون مصدرية إلّا إذا تجردت من الضمير المستتر

---

(١) جامع البيان٧/٥٤٢.

(٢) وهي قراءة يزيد ابن القعقاع، معجم القراءات ٢/١٣٠.

(٣) معاني القرآن ٢/٤٧.

العائد عليها، وهذا الضمير لا يصحّ إلغاؤه ؛ لأنّه فاعل ، كما أنه لا يصحّ عوده على (النساء) ؛ لانه مفرد، و(النساء) جمع مؤنث للعاقل، فإذا أريد عوده عليهنّ وجب إظهاره ، وقيل: حافظات للغيب بما حفظنَ اللهَ[2] إلّا أنّ العكبري أجاز ذلك في حالة واحدة ، وهي أن يكون هذا الضمير عائدًا على جنس النساء ، فيجوز عندئذ أن يكون مفردًا مذكّرًا مستترًا ؛ لأنّ معنى الجنس يعامل معاملة المفرد المذكر غير العاقل[3].

واستعمل (ما) دون (الذي) أي : في قوله تعالى (فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء) لأنّه أراد بها كل جنس موصوف بالطيب من غير تحديد أي إذا كانت (الذي) تعني ذات الجنس فإنّ (ما) تعني الأجناس جميعها المتفرعة منه على وجه الاستقصاء فهناك الأبكار والمطلقات والأرامل وذوات القربى والأجنبيات، فالمراد إعمام الأجناس التي أحلّ الله نكاحها لإشعار المخاطب باتساع دائرة الحلال والمعنى: فانكحوا أي جنس كان طاب لكم.

وكذلك يقال الكلام نفسه في قوله تعالى: (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) والمعنى: أيّ جنس كان ملكته أيمانكم ، وقوله تعالى: (وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء) والمعنى: ولا تنكحوا أيّ جنس كان نكحه آباؤكم ، فقد عبّر عن هذا المعنى بـ(ما) الدالّة على العموم ، لإشعار المخاطب بعظم إثم هذا النكاح، ولحمله على استبشاعه، والدليل على ذلك، أنّه سبحانه، جعله أبشع من الزنى، فقد قال عز وجل في الزنى : (وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً) [الإسراء: ٣٢] على حين قال في نكاح امرأة الأب (وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاء

---

(1) مشكل إعراب القرآن ١/١٩٧.

(2) البيان في غريب إعراب القرآن ١/٢٥٢.

(3) التبيان في إعراب القرآن ١/٣٥٤.

سَبِيلاً) [النساء: ٢٢] فوصفه بما وصف به الزنى وأضاف إليه صفة المقت، وهو الكره الشديد.

فهذا هو المراد من (ما) في هذه الآيات والتي على نحوها ، وما يمكن ان يفسر بمعنى الجنس العام، فتكون (ما) عندئذ على بابها ، عائدة على غير العاقل.[٣]

(ما) ومعنى الشيء

جعل النحاة والمفسرون (ما) عائدة في مواضع على الله، سبحانه، وقد تقدم ذكر شواهدهم في هذا الباب وهي: قول العرب : سبحان ما سخركنّ لنا ، وسبحان ما سبّح الرعد بحمده، وكقوله تعالى: (وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا) وقوله، تعالى: (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأنثَى) وقوله تعالى: (وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ) إلّا أنّهم قدّروها مرة بمنزلة (الذي) ومرة بمنزلة (مَن) ولم يفرقوا في المعنى بين هذين التقديرين[١] فيذكر الزجاج مثلًا في قوله تعالى : (وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا) ((وقيل معنى (ما) ههنا معنى (مَن)، والمعنى: والسماء والذي بناها)) [٢]، وقرأ عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه): والذي خلق الذكر والأنثى ، فرجّح الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)[٣] والزمخشري[٤] وأبو أن تكون (ما) عائدة على الله بدلالة هذه القراءة ، ولا يتعيّن هذا الوجه ؛ لأنّ (الذي) اسم موصول ، يستعمل للعاقل ، نحو: أحسن إلى الذي أحسن اليك ، ولغير العاقل، نحو: اقرأ الكتاب الذي ينفعك ، بخلاف (مَن) التي اختصت بالعاقل. وكثير من الذين جعلوها بتقدير (الذي) لم يوضحوا أو

---

(١) ينظر مثلا مجاز القرآن ٢٤١/١، ٣٠٦/٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٣٢/٥.

(٣) التبيان في تفسير القرآن ٣٦٣/١٠.

(٤) الكشاف ٧٦١/٤.

(٥) إرشاد العقل السليم ١٦٦/٩.

يعينوا المراد من هذا التقدير، للعاقل المعيّن أم لغير العاقل المبهم؟ ولهذا أجاز مكي وأبو البركات بن الأنباري في (ما) في قوله تعالى : (وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا) وقوله تعالى: (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأنثَى) ثلاثة أوجه.

الأول: أن تكون مصدرية ، والتقدير: والسماء وبنائها ، وخلْقه الذكر والأنثى.

والثاني: أن تكون بمنزلة (مَن) والتقدير: والسماء ومَن بناها ومَن خلق الذكر والأنثى.

والثالث: أن تكون بمنزلة (الذي) والتقدير: والسماء والذي بناها والذي خلق الذكر والانثى ، وهذا ما ينطبق على قوله تعالى: (وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ) [1].

إلّا أنّهما لم يشيرا إلى المقصود من الوجهين: الثاني والثالث ولا إلى الفرق بينهما ، ومن الواضح أنّهما كانا يعنيان بجعل (ما) بمنزلة (من)، عودها على الله، عز وجل، والتقدير: والسماء والله الذي بناها ، وكان يعنيان بجعل (ما) بمنزلة (الذي) عودها على الشيء لا على الله سبحانه ، والتقدير: والسماء والشيء الذي بناها ؛ لذلك جعلهما العكبري وجهين مختلفين في قوله تعالى: (وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ) [النساء: ٣٤] فأجاز أن تكون (ما) بمنزلة (مَن) عائدة على النساء اللآتي أُحِلّ نكاحهنّ بالمهور، وأجاز أن تكون بمنزلة (الذي) عائدة على فعل الشيء غير المحرم، أي (وأُحلّ لكم تحصيل ما وراء ذلك الفعل المحرم) [2].

وعود (ما) على (الشيء) يؤكده النحاة والمفسرون من خلال تفسيراتهم الآتية :

---

(1) مشكل إعراب القرآن ٨٢٢/٢، والبيان في غريب إعراب القرآن ٥١٦/٢، ٥١٨.

(2) التبيان في إعراب القرآن ٣٤٦/١-٣٤٧.

١–في قوله تعالى: (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) [ص: ٧٥] بيّن السهيلي (ت : ٥٨١هـ) أنّه جاز عود (ما) على العاقل ؛ لأنّ الله، سبحانه، ما أراد أن يأمر إبليس بالسجود لذات آدم ، بل للسجود لشيء خلقه الله، كائنا ما كان هذا الشيء ، آدم أم غيره، فيكون هذا السجود تعظيمًا لله الخالق، لا لآدم المخلوق، ويكون عدم السجود تكبّرًا على الله، عز وجل، لا على آدم، عليه السلام[١].

وهذا يعني أنّ (ما) وردت لغير العاقل ؛ لأنّه أريد بها التعبير عن شيء عام مبهم ، وبهذا التفسير وجهوا الشواهد الأخرى.

٢–ذكر الزركشي في البرهان أنّ مجيء (ما) من دون(مَنْ) في قوله تعالى: (وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ) كان لجهل الكفار بهذا المعبود . وجاء فيه أيضًا أنّه استعمل (ما) دون (مَنْ) في هذه الآية ((لانّ الكفار كانوا يحسدون النبي (صلى الله عليه وسلم) كائنا ما كان معبوده ، فليس ذلك كراهية لذات المعبود ، ولكن أَنَفَة وكراهية لاتّباعه (صلى الله عليه وسلم) إذ التقدير: ولا أنتم عابدون أيّ شيء كان أعبده ، فلا يصحّ لأداء هذا المعنى إلاّ لفظ (ما) لإبهامها)) [٢].

٣–ذكر المبرد أنّ (ما) لا تكون للعاقل ، لكنه جاز ((أن تقع على الآدميين لإبهامها)) [٣] وجعل من ذلك قوله تعالى: (رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا) [آل عمران: ٣٥] [٤].

---

(١) الروض الأُنف ٣/٣٢٣–٣٢٥، وبدائع الفوائد ١/١٣٢.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٤/ ٤٠٠ والتفسير القيّم ص٥٢٥–٥٢٦.

(٣) المقتضب ١/ ٤٢.

(٤) البيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٢٠٠ وشفاء العليل في إيضاح التسهيل لأبي عبد الله السلسبيلي ١/ ٢٤٠.

٤-وأجاز ابن يعيش[١] وابن الحاجب[٢] إطلاق (ما) على البارئ عز وجل في مثل قول العرب: سبحان ما سخركنّ لنا ، وسبحان ما سبح الرعد بحمده، وقوله تعالى: (وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ)، ((لأنّ ذات البارئ غير معلومة الحقيقة، لذلك صارت مبهمة بهذا الاعتبار)) فالعرب اذا أرادت الشي مبهما أو أرادوا أن يبهموه ، أتوا فيه بلفظ (ما) ألا ترى أنّك تقول لشبح رفع لك من بعيد لا تشعر به : ما ذاك؟ والمعنى: أيّ شي ذاك؟ فإذا شعرت أنّه إنسان قلت: مَن ذاك؟ والمعنى أيّ إنسان ذاك؟.

٥-ذهب الزمخشري إلى أنّ (ما) في قوله تعالى: (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) بمنزلة (مَن) ؛ لأنّه أريد بذلك التعظيم ، كقوله تعالى: (وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ) [ال عمران: ٣٦]، (أي: أيّ شيء وضعت؟ يعني موضوعًا عظيم الشأن) [٣].

٦-قال السهيلي في (ما) في قوله تعالى: (وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ): إنّها عادت على الله ، عز وجل (لأنّ مَن جلّت عظمته حتى خرجت عن الحصر، وعجزت الأفهام عن كنه ذاته ، وجب أن يقال فيه : هو ما هو: كقول العرب: سبحان ما سبّح الرعد بحمده، ومنه قوله تعالى: (وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا) فكأن المعنى: أنّ شيئا بناها لعظيم ، وما أعظمه من شيء، فلفظ (ما) في هذا الموضع يؤذن بالتعجب من عظمته كائنا ما كان هذا الفاعل)[٤].

فالعربي بقوله : سبحان ما سخركنّ لنا ، وسبحان ما سبّح الرعد بحمده يعني، أنّ الشيء الذي سخّر السحاب ، وسبّح له الرعد ، يستحق أن يُمجّد ويُوحّد، ويقال فيه (سبحانه) كائنًا ما كان هذا الشيء ، والمتكلم يعلم أنّه ما

([١]) شرح المفصّل٤/٥.

([٢]) الأمالي النحوية ص٣١٥-٣١٦.

([٣]) الكشاف ٤/٧٥٤ وينظر مفاتيح الغيب ٣١/١٨٠ والتسهيل لعلوم التنزيل ٤/٢٠٠.

([٤]) الروض الأُنف ٣/٣٢٣-٣٢٥.

من شـيء وما من أحد يتصف بهذه الصفة إلّا الله ، سبحانه ، فهذا الشـيء الـذي عبّـر عنـه بـالمعنى العـام، لا بـدّ أن يعـود علـى البـارئ، عـز وجـل، وينحصر فيه وهذا التعيين لم يجئ من (ما) إذ هي اسم مبهم عام ، ولكن جاء من مقتضى الحال والأمر الحاصل فهو أسلوب فيه معنى العموم والنكرة المبهمة ولكن عند ربطه بالواقع تنتهي نتيجة هذا المعنى الى الإفراد والعلَم والمعرفة.

وكذلك كان قوله تعالى: (وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا) فهي بمعنى: والسماء وأيّ شيء كان بناها ، فإنّه يستحق التعظيم والقسم به كائنًا ما كان ، إلّا أنّ هذا الكائن لا يمكن أن يكون إلاّ أمرًا عائدًا على الله سبحانه ، وهو قدرته أو حكمته أو تدبيره أو قوله للشيء : كن فيكون ، وقد عبّر السهيلي عن هذا المعنى بقوله: (كائنا ما كان هذا الفاعل) وهذا الفاعل لا يكون إلّا الله.

وخلاصة ما تقدم أنّ العرب كانوا إذا أرادوا تعظيم الله ، تعالى، بصفة من الصفات، لم يستعملوا (الذي) لتدل عليه ولا (مَن) التي اختصت بالعقلاء، وإنمّا أطلقوا المعنى وأعمّوه باستعمال (ما) التي تقع على كلّ شيء، عاقلًا كان أم غير عاقل ، ثم يتخصّص هذا المعنى العام المطلق ، فيعود دالًّا على الله سبحانه وتعالى، ويقتصر عليه من دون غيره بحكم الواقع والحال لا بحكم الأداة.

وقد استعمل القران هذا الاسلوب الذي يبدو أنّه من أبلغ اساليب التعظيم وأقواها.

يتبين مما تقدم ذكره أنّه لا يصح استعمال (ما) إلّا إذا قصد عودها على معنى مما يعامل معاملة غير العاقل كمعنى الجنس أو الشيء أو النفس

كقوله تعالى: (وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ) [يوسف ٥٣] إذ التقدير : إلاّ نفسًا رحمها الله بالعصمة[١].

والمشهور في كتب النحو أنّ (ما) اختصت بغير العاقل، والحقّ أنّها لم تكن مثل (مَن) مختصّة بجنس معيّن ، بل هي كما قالوا : تقع على كل شيء ، على ما كان وما لم يكن، والعاقل شيء وعنصر مما هو كائن ، لكن الذي قاد إلى الظنّ باختصاصها بغير العاقل، استعمال (مَن) مختصّة بالعاقل. فسدّت بذلك جزءًا من وظيفة (ما) العامّة ؛ لأنّه حين يراد التعبير عما هو عاقل فحسب ، يؤتى بالأداة المختصّة به ، لا بالأداة العامة التي تعنيه وتعني الجنس الآخر ؛ لذلك أصبحت (ما) تطلق على معنيين:

الأول: على ما لا يعقل لعدم وجود أداة اختصت به.

والثاني: على كل جمع عمّ وضمّ جنس العاقلين وغير العاقلين.

ومن أمثلة ذلك في القران الكريم، قوله تعالى: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) [الأنبياء: ٩٨] وقد ذكر الزركشي[٢] أنّ (ما) هنا استعملت للعاقل لاختلاطه بغير العاقل، ثم استثنى الله ، سبحانه، من ذلك الملائكة والأنبياء بالآية التي بعدها: (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ) [الأنبياء: ١٠١].

فالأداة (ما) لا تجيء مختصة بالآدميين ، ولكن تعود عليهم عند اختلاطهم بغيرهم، وهي في هذه الآية ونحوها عادت على جنس العقلاء وغير العقلاء جميعًا، ولم تشمل الجنس الأول على سبيل التغليب بل شملته بحكم معناها الدالّ على العموم بخلاف (مَن) فإنّها إذا عادت على غير

---

(١) الكشاف ٢/٤٨٠-٤٨١.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٤/٣٩٩.

العاقل لاختلاطه بالعاقل، عادت عليه على سبيل التغليب كقوله تعالى: (أَلا إِنَّ لِلّهِ مَن فِي السَّمَاوَات وَمَن فِي الأَرْضِ) [يونس:٦٦].

المبحث الثالث : معنى (ما) الموصولة ومعاني (ما) الأُخَر

تحتمل (ما) الموصولة لمعان أُخَرَ في آيات من القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى: (وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ) [البقرة: ١٠٢].

فمن ذهب إلى إنزال السحر أو الشرع على الملكين جعل (ما) موصولة في قوله تعالى: (وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ) وإلّا جعلها نافية[١] واختار الطبري (ت ٣١٠هـ) [٢] والزجاج (ت ٣١١هـ) [٣] ومكي القيسي (٤٣٧هـ) [٤] والزمخشري[٥] أن تكون (ما) موصولة، ومنع الطبري ان تكون نافية، وقال: ((لو كانت نافية لما كان في قوله تعالى: (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ) معنى)) [٦] لأنّ الملكين كانا يعلّمان الناس السحر، وهذا هو الوجه، وعند جعل (ما) موصولة جاز أن تكون معطوفة على (ما) الأولى أو على السحر والمعنى: أنّ الملكين كانا يعلّمان الناس السحر من

---

(١) المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، ٣٥٤، ومفاتيح الغيب، تفسير الرازي ٢١٨/٣، والتبيان في إعراب القرآن ٩٩/١، والجامع لأحكام القرآن / تفسير القرطبي ٥٠/٢-٥١.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤٢٤/٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٨٣/١-١٨٤.

(٤) مشكل إعراب القرآن ١٠٦/١.

(٥) الكشاف ١٧٢/١.

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤٢٤/٢.

أجل اجتنابه وأنّ الله جعلهما فتنة للناس فمن اتبعهما كفر ومن اجتنبهما نجا[١].

وذهب الفرّاء (ت٢٠٧هـ) [٢] والطبري[٣] والنحّاس (ت ٣٣٧هـ) [٤] والرازي[٥] إلى أنّ (ما) الثانية في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران:٣٠] موصولة، معطوفة على (ما) الأولى و(تودُّ) حال لها أو مرفوعة على الابتداء و(تودّ) خبرها ، وذكروا أنّهم لم يعلموا أحدًا قرأ (تودّ) بالجزم ، وإن كان هذا جائزًا في النحو ، وأجاز مكي القيسي[٦] والزمخشري[٧] وجهًا ثانيا وهو الشرطية ، وعلى تقدير (فاء) محذوفة في الجواب، أي: فهي تودّ ، وأجاز العكبري (ت٦١٦هـ) رفع (تودّ) من غير تقدير (فاء) محذوفة ؛ لأنّ الشرط هنا ماض وإذا لم يظهر لفظ الجزم في الشرط جاز في الجواب الجزم والرفع[٨] وأثبت أبو حيان الأندلسي مجيء جواب (ما) الشرطية مرفوعًا كثيرًا مستشهدا بالفصيح من كلام العرب[٩]. ويقوّي هذا الوجه عندهم قراءة عبد الله بن مسعود (ودّت) بالماضي.

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ١/١٢٢-١٢٣.

(٢) معاني القرآن ١/٢٠٧.

(٣) جامع البيان ٦/٣١٩-٣٢٠.

(٤) إعراب القرآن ١/٣٢١.

(٥) مفاتيح الغيب للرازي (تفسيره) ٨/١٦.

(٦) مشكل إعراب القرآن ١/١٥٥.

(٧) الكشاف ١/٣٥٢.

(٨) التبيان في إعراب القرآن ١/٢٥٣.

(٩) البحر المحيط ٢/٤٢٦-٤٣٠.

والوجه أنّ (ما) موصولة لكون (تودّ) مرفوعة ، ورفع جواب (ما) الشرطية إن جاز في كلام العرب فإنّه لم يرد في القرآن الكريم.

ومن النحاة والمفسرين من أجاز أن تكون (ما) استفهامية في قوله قولع تعالى : (مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ) [يونس: ٨١] وهو عندهم استفهام يراد به التوبيخ والتحقير أو التقرير، وليس هو باستخبار حقيقي ؛ لأنّ موسى (عليه السلام) قد علم أنّه سحر وإنّما وبّخهم بما فعلوا ولم يستخبر عن شيء لم يعلمه[1] وتكون (ما) بهذا الوجه في موضع رفع مبتدأ و(جئتم به) خبره و(السحر) مرفوعة على أنّها خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هو السحر، أو مبتدأ والخبر محذوف، تقديره: السحر هو ، أو تكون مرفوعة على البدلية من (ما) [2].

وأجاز الفرّاء[3] أن تكون (ما) شرطية و(جئتم به) في موضع جزم وفاء وفاء جواب الشرط محذوفة، بتقدير: ما جئتم به السحر فإنّ الله سيبطله على أنّ حذف فاء الشرطية لا يجيزه الكثير من النحاة إلّا في ضرورة الشعر ومنهم من أجازه[4].

---

(1) معاني القرآن وإعرابه ٣٠/٢ والتبيان في تفسير القرآن تفسير الطوسي ٤١٧/٤، ومجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ١٢٦/٥٠.

(2) إعراب القرآن للنحاس ٧٠/٢ ومشكل إعراب القرآن ٣٥١/١-٣٥٢ والأمالي الشجرية ٢٣٤/٢-٢٣٥ ومغني اللبيب ٢٩٨/١.

(3) معاني القرآن ٤٧٥/١.

(4) مشكل إعراب القرآن ٣٥١/١.

والوجه أنّ (ما) موصولة بتقدير: الذي جئتم به السحر ، يعضّد ذلك قراءة عبد الله بن مسعود: ما جئتم به سحر ، وقراءة أُبَي بن كعب : ما أتيتم به سحر[1].

وقرأ أبو عمرو ومجاهد وأصحابه (آلسحر) بالمدّ أي: على الاستفهام فعلى هذه القراءة تكون (ما) استفهامية ولا يجوز أن تكون بمنزلة (الذي) إذ لا خبر لها[2].

وأجاز الفراء[3]والزمخشري[4] أن تكون (ما) موصولة في قوله تعالى: (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلّا اللَّهَ) [الكهف: ١٦] بتقدير: وإذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم من الآلهة إلّا الله ، أو أن تكون نافية وهو كلام معترض إخبار من الله تعالى عن الفتية المؤمنة أنّهم لم يعبدوا إلّا الله بتقدير: وإذ اعتزلتموهم غير عابدين إلّا الله ، فيكون هناك التفات من الخطاب إلى الغيبة واقتصر الزجاج[5] على ذكر الوجه الأول ، وأجاز الأنباري[6] والعكبري[7] وجهًا ثالثًا، وهو أن تكون مصدرية بتقدير: واذا اعتزلتموهم وعبادتهم إلّا الله إو بتقدير: وإذ اعتزلتموهم وعبادتهم إلّا عبادة الله ، والوجه أن تكون (ما)

---

(١) معاني القرآن للفرّاء ٤٧٥/١، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٨٠/١ وجامع البيان ١٦٢/١٥ والمحلّى لابن شقير ص ٢٨٩، والأُزهية للهروي ص٧٣ والكشف عن وجوه القراءات لمكي القيسي ٥٢٢/١، والكشاف ٣٦٢/٢-٣٦٣.

(٢) معاني القرآن للأخفش ٣٤٧/٢ والقراءات السبع لابن مجاهد ص ٣٢٨ والبيان في غريب إعراب القرآن ٤١٨/١-٤١٩.

(٣) معاني القرآن ٢/ ١٣٦.

(٤) الكشاف ٢/ ٧٠٧.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٣/٣.

(٦) البيان في غريب إعراب القرآن ١٠٢/٢.

(٧) والتبيان في إعراب القرآن ٢/ ٨٤٠.

موصولة ؛ لأنّ المراد اعتزال الآلهة من المعبودين بدلالة استثناء الله منهم فيكون الاستثناء متصلًا.

وتحتمل (ما) في قوله تعالى: (وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ) [الكهف: ٣٩] أن تكون موصولة في موضع رفع خبرًا لمبتدأ محذوف بتقدير: هو ما شاء الله ، أو: الأمر ما شاء الله ، أو مبتدأ والخبر محذوف بتقدير: الذي شاءه الله كائن، أو أن تكون شرطية بتقدير: ما شاء الله كان وجاز حذف الجواب لكونه معروفًا[1] .

وجاز أن تكون (ما) مصدرية في قوله تعالى: (إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ) [طه: ٧٣] بتقدير: ليغفر لنا خطايانا وإكراهك إيانا على السحر ، وقيل : إنّها نافية بتقدير: ليغفر لنا خطايانا من السحر ولم تكرهنا عليه[2]، ولا يخفى تكلف هذا الوجه ، والصحيح أنّها موصولة والمعنى: ليغفر لنا خطايانا وخطيئة السحر الذي أكرهتنا على تعلّمه لإضلال الناس[3].

وقُرئ قوله تعالى: (لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ)[يس: ٣٥] وما عملت أيديهم، فعلى القراءة الأولى أجاز الفرّاء أن تكون (ما) موصولة بتقدير: والذي عملته أيديهم ، وأجاز ان تكون نافية بتقدير: ولم تعمله أيديهم، وكذلك أجاز الوجهين في القراءة الثانية ثم رجّح الموصولية ؛ لأنّه عند جعلها

---

(1) معاني القرآن للفرّاء٢/ ١٤٥، وجامع البيان ١٥/ ٢٤٨. ومعاني القرآن وإعرابه ٣/٢٨٨. وإعراب القرآن للنحّاس ١/ ٢٧٦ ومشكل إعراب القرآن ١/ ٤٤١. والكشاف ٢/ ٧٢٣. والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ١٠٨.

(2) معاني القران للفرّاء ٢/ ١٨٧ معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٦٩.

(3) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٥٠-٣٥١، ومشكل إعراب القرآن ٢/٤٧٠ والتبيان في إعراب القرآن ٢/٨٩٨.

نافية تحتاج إلى تقدير مفعول محذوف لـ(عملت) في حين أن حذف العائد من الصلة مستساغ[١].

واشار إلى جواز هذين الوجهين الطبري[٢] والزجّاج[٣] والنحّاس[٤] ومكّي القيسي[٥] والزمخشري[٦] وفسّر الأخير معنى الموصولية بقوله: ((من الغرس والسقي والإبار[٧] وغير ذلك من الأعمال، يعني أنّ الثمر نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كدّ بني آدم ، وهذا هو الوجه والمعنى المراد من الآية ، فنحن مما خلق الله من الزرع والأثمار نصنع بأيدينا ما لذّ وطاب من الأشربة والأطعمة.

والوجه في (ما) أن تكون موصولة إذا دخلت على أداة من أدوات النفي ، كدخولها على (لا) في قوله تعالى: (قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) [البقرة: ٣٠] و(ليس) في قوله تعالى: (وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) [الإسراء : ٣٦] و(إن) في قوله تعالى: (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ) [الأحقاف: ٢٦] و(إن) هنا نافية والمعنى : أنّ الله أعطى القوم من قبلكم ما لم يعطكم ، هذا ما قال به الفرّاء[٨] والطبري[٩] والأخفش[١٠] وغيرهم[١].

---

(١) معاني القرآن ٣٧٧/٢ وما عملت أيديهم: قراءة حمزة والكسائي وعاصم . معجم القراءات ٢٠٧/٥.

(٢) جامع البيان ٢٣/ ٤.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٦/٤.

(٤) إعراب القرآن ٧٢٠/٢.

(٥) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٠٣.

(٦) الكشاف ١٥/٤ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٧١/٣.

(٧) أبَرَ النخل إبرًا وإبارًا وإبارة: أصلحه ولقحه. المعجم الوسيط ٢/١ .

(٨) معاني القرآن ٣/ ٥٦.

(٩) جامع البيان٢٦/ ٢٨.

(١٠) معاني القرآن ١/ ١١٢.

وذكر الزجاج أنّ(إن) في النفي مع (ما) التي في معنى (الذي) أحسن في اللفظ من (ما) ألا ترى أنّك لو قلت: رغبتُ فيما ما رغبت فيه ، لكان الأحسن أن تقول : رغبت فيما إن رغبت فيه ، لاختلاف اللفظين[٢] ومثل قال الزمخشري: إنّه استعمل (إن) دون (ما) مخالفة ما قبلها في التكرير المستبشع وقال ((ولقد أغثّ أبو الطيب بقوله :

لعمرك ما ما بان منك لضارب

وما ضر لو اقتدى بعذوبة التنزيل فقال :

لعمرك ما إن بان منك لضارب))[٣]

فقد جعل الزمخشري (ما) الأولى موصولة والثانية نافية في بيت المتنبي على حين أنّهما على العكس من ذلك. وهذا البيت في ديوانه

يرى أنَّ ما ما بان منك لضارب   بأقتلَ ممَّا بان منك لعائب

وذُكر في شرحه أنّ اسم (إن) ضمير الشأن محذوف ، وإنّ (ما) الأولى نافية والثانية بمعنى (الذي) والتقدير : يرى أنّه ليس الذي ظهر منك للضارب يعني السيف أو السنان ، بأقتل ، أي: بأسرع من الذي ظهر منك للعائب ، يعني اللسان بل هما سواء في الحدّة ، أي: لا يرى القتل أشدّ من العيب[٤] .

وقيل : إن(إن) في الآية زائدة وأشار العكبري إلى هذا الوجه بالتضعيف[٥] وقال به الرضي[٦] والصحيح أنّها نافية وقد دلّت عليه غير آية

---

(١) تفسير القرآن لابن كثير ٤/٦٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٤٤٦ والبرهان في علوم القرآن ٣/ ٧٦ ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٦٨.

(٣) الكشاف ٤/ ٣٠٨-٣٠٩.

(٤) ديوان المتنبي، شرح الواحدي ص٣٣٣، وشرح البرقوقي ١/ ٢٨٥.

(٥) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١١٥٨.

(٦) شرح الرضي ٤/٤٣٤.

كقوله تعالى: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا) [مريم: ٧٤] وقوله تعالى: (أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ) [الانعام: ٦]((وهو أبلغ فى التوبيخ وأدخل في الحثّ على الاعتبار)) [١].

وأجازوا أن تكون استفهامية إذا وقعت بعد (علم) و(درى) و(نظر) كقوله تعالى: (وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ) [البقرة: ٣٣] وقوله تعالى: (وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ) [الأحقاف: ٩] وقوله تعالى: (وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) [الحشر: ١٨] [٢].

وأجازوا كذلك لها هذا المعنى بعد أفعال أُخَرَ كقوله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) [الأنعام: ١٥١][٣] والوجه أنّها موصولة في هذه المواضع كلّها.

وكثيرًا ما تحتمل (ما) الموصولة معنى المصدرية ويلزم أن تعرب موصولة إذا كانت صلتها جملة فعلية فيها ضمير يعود على (ما) ؛ لأنّ المصدرية لا يصحّ أن يعود عليها الضمير ، ويكون فاعلًا مستترًا كما في قوله تعالى: (وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) [الأنعام: ١٣] ويكون ظاهرًا كقوله تعالى: (وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ) [البقرة: ٢٧].

وتلزم الموصولية كذلك إذا كانت صلتها شبه جملة ظرفًا، كقوله تعالى: (وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ) [البقرة: ٩١] أو جارًّا ومجرورًا، كقوله تعالى: (وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي

([١]) الكشاف ٤/ ٣٠٨-٣٠٩.

([٢]) البرهان في علوم القرآن ٤/ ٤٠١ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/٢٩٠ ومعترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي ٢/٥٥٣.

([٣]) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٣٠٣ والكشاف ٢/ ٧٨ والأمالي الشجرية ١/٤٧ والبيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٣٤٩ ومغني اللبيب ١/٢٥٠.

قُلُوبِكُمْ) [آل عمران: ١٥٤] ذلك أنّ شبه الجملة متعلقة بعامل يقدّره النحاة بـ(استقر) وفي هذا الفعل ضمير مستتر يعود على (ما).

وكذلك إذا كانت صلتها جملة اسمية، كقوله تعالى: (فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ)[طه: ٧٢] لأنّ المصدرية لا تدخل على الجملة الاسمية عند جمهور النحاة[١].

ومن ذلك دخولها على (إنّ) ومعموليها في قوله تعالى: (وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ)[القصص: ٧٦].

وتلزم كذلك الموصولية عند فساد المعنى بالمصدرية، كقوله تعالى: (يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ)[النور: ٤٥] فإنّ (ما) هنا موصولة، ولا يصحّ أن تكون مصدرية ؛ لأنّه لا يصحّ أن يكون التقدير: يخلق الله مشيئته.

وإذا كانت صلة (ما) جملة فعلية ، فيها ضمير محذوف ، يصح عوده عليها ، جاز أن تكون موصولة عند تقدير هذا العائد ، وجاز أن تكون مصدرية عند عدم تقديره ، وكثر احتمال (ما) لهذين الوجهين في القرآن الكريم ، إذ كثيرًا ما يحذف الضمير العائد عليها ، كما في قوله تعالى: (وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ)[آل عمران: ٤٩] فجاز أن تكون (ما) موصولة، بتقدير: وأنبئكم بالذي تأكلونه وتدخرونه ، أو مصدرية بتقدير: وأنبئكم بأكلكم وادخاركم[٢] ونظيره قوله، تعالى: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ)[الحجر: ٩٤] فـ(ما) موصولة عند تقدير (به) أي: فاصدع بالذي تؤمر به، ومصدرية عند عدم تقديره، والمعنى: فاصدع بالأمر[٣].

---

(١) ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب ٤٣٨/٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤١٤/١.

(٣) معاني القرآن للأخفش ٩٣/٢-٩٤ والبغداديات ص٢٨١-٢٨٣، والكشاف ٥٩٠/٢-٥٩١ والأمالي الشجرية ٢٣٩/٢ والبيان في غريب إعراب القرآن ٩٢/١، ٧٢/٢-٧٣.

وإذا جاز الوجهان، فلا بد من أن يكون المراد أحدهما ، ويترجح من خلال السياق، كما في قوله تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)[الصافّات: ٩٦] فمن النحاة من حمل (ما) على المصدرية، وردّ بشدة على من قال بأنّها موصولة، فقد نسب مكّي القيسي إلى المعتزلة أنّهم لم يعربوا (ما) مصدرية لأنّ الآية بهذا الإعراب تفيد خلق الله للأعمال شرّها وخيرها وهو خلاف ما يعتقدون به بأنّ الله خلق الخير ولم يخلق الشرّ ؛ لذلك جعلوها بمنزلة (((الذي) فرارًا من أن يقرّوا بعموم الخلق لله)) ونسب إلى شيخهم عمرو بن عبيد أبي عثمان البصري (ت١٤٤هـ) أنّه قرأ قوله تعالى: (مِن شَرٍّ مَا خَلَقَ) [الفلق: ٢] بالتنوين وهي قراءة شاذة لجعل الآية بمعنى: من شرٍّ لم يخلقه الله[1].

وإذا كان إعراب (ما) هنا مصدرية يثبت خلق الله للاعمال جميعها فإعرابها موصولة لا ينفي ذلك ، بل هذا هو الوجه الذي يقتضيه المعنى والسياق ؛ ذلك لتكون على نسق ما قبلها ، وهو قوله تعالى: (قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ)[الصافات: ٩٥] الذي فيه (ما) موصولة بلا خلاف والمعنى : أتعبدون الأصنام التي تنحتونها؟ ولكون الآية في سياق توبيخ الله للمشركين ، في أنّه كيف يصح أن يعبدوا الأصنام التي صنعوها بأيديهم ، ولا يصحّ أن تكون مصدرية لأنّه لا يصحّ أن يوبّخهم الله على عبادتهم للأصنام ، ثم يبيّن لهم أنّه قد خلق عبادتهم هذه ، فالآية بهذا المعنى تكون حجة لهم لا عليهم ، والمراد من خلق الأصنام خلق جواهرها لا أشكالها، فخالق جوهرها هو الله وصانعو أشكالها هم الذين يشكلونها بنحتهم وعمل أيديهم ، فالوجه أن تكون

---

(١) مشكل إعراب القرآن ٢/٦١٥-٦١٦.

الآية بمعنى: والله خلقكم وخلق ما تعملونه من الأصنام، وليست بمعنى: والله خلقكم وخلق عملكم[١].

ومما يرجح موصولية (ما) التي حذف فيها الضمير العائد عليها، عود هذا الضمير على نظيرها ، كما في قوله تعالى: (يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ)[المؤمنون: ٣٣].

فقد ذهب الفرّاء إلى أنّ (ما) الثانية في هذه الآية موصولة ، والعائد محذوف، والتقدير: ويشرب مما تشربون منه[٢] ورد النحّاس عليه ، بأنّه لا يجوز حذف (منه) وأنّ (ما) مصدرية ، لا تحتاج إلى عائد[٣] والوجه أنّها موصولة فهو أدلّ على نسق النظم.

وفيما يتعلق بالضمير العائد على (ما) فإنّ النحاة قد وضعوا شروطًا لحذفه ، إلّا أنّه يمكن جمعها بمسوغ عام ، وهو أنّه يجوز حذف الضمير، إذا دلّ عليه دليل، ولم يلتبس حذفه بغيره[٤]

والغرض من حذف الضمير إعمام معناه، كقوله تعالى: (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ)[فصلت: ٣١]، ولا يذكر إلّا عند تخصيص معناه، لوجه بلاغي ، فالمؤمن يجد في الجنة ، جعلنا الله من أهلها ، كل ما تشتهي نفسه ، وما لم يعهده من قبل ، إلّا أنّ نفس الإنسان تشتهي أحيانًا شيئًا بعينه ، بأوصاف معيّنة ، فإذا طلب أهل الجنة مثل هذا الشيء كائنًا ما كان ، فإنّ الله ، سبحانه ، يعطيهم إياه بلا زيادة أو نقصان ، فالصورة الذهنية التي تستحضرها النفس، يجعلها الله ماثلة في الواقع، وهذا ما

---

(١) الكشاف ٤/٥١-٥٢ وبدائع الفوائد ١/١٤٨-١٤٩.

(٢) معاني القرآن ٢/٢٣٤ وينظر جامع البيان ١٨/١٩ والكشاف ٣/١٨٦.

(٣) إعراب القرآن ٢/٤١٧، ومشكل إعراب القرآن ٢/٥٠٠.

(٤) الأمالي الشجرية ١/٧٥، ٢/٢٣٥ وشرح المفصل لابن يعيش ٢/١٥٢ وتسهيل الفوائد ص ٣٥، وشرح الرضي ٣/٤٠ ومغني اللبيب ٢/٥٦٦.

عناه ذكر الضمير العائد في قوله تعالى: (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ)[الزخرف: ٧١].

إلّا أنّ الله ، سبحانه ، أعدّ لأهل الجنة أسمى مما يتمنونه مما لم تستطع أنفسهم إدراك أوصافه ؛ لذلك كثر حذف الضمير ولم يذكر في مادة الاشتهاء والادعاء إلّا في هذه الآية، وذكره هنا يرجح موصولية (ما) في الآية التي سبقتها.

الفصل الثاني : (ما) النكرة المجردة

المقصود بالنكرة المجردة ، المجردة من معنى الحرف وتشمل: النكرة الناقصة الموصوفة ، والنكرة التامة (التعجبية).

المبحث الأول : النكرة الناقصة الموصوفة

أمثلة النكرة الموصوفة في القرآن الكريم

فرّق النحاة بين (ما) الموصولة و(ما) الموصوفة من حيث التسمية والموقع الإعرابي فسميت الجملة بعد الأولى صلة لا محلّ لها من الإعراب، وسميت بعد الثانية صفة، ولها محل من الإعراب[1].

وقد تبيّن في الفصل الأول أنّ (ما) تستعمل في الكلام وصلة لوصف ما هو مبهم عام بالجملة ، فلأنّ موصوفها الواجب حذفه غير محدد. جاز في الذهن تقديره بالنكرة أو بالمعرفة ، فإذا قُدّر بالأول صارت (ما) نكرة موصوفة ، وإذا قُدّر بالثاني صارت موصولة ، فهما (ما) واحدة ؛ لذلك كثر احتمالها لهذين الوجهين في كتب الإعراب، ففي قولنا : يعجبني ما صنعته ، يحتمل ان تكون الجملة بتقدير: يعجبني الشيء الذي صنعته، فتكون (ما) أداة وصل لوصف المعرفة (الشيء) المقدر بجملة (صنعته) ويصحّ أن تكون

---

(1) البغداديات ص٢٦١ وشرح المفصل لابن يعيش ٣٠٢/٤ وشرح الرضي على الكافية ٨/٣.

(ما) أداة وصل لوصف نكرة مقدرة بشيء بجملة (صنعته)، أي: تقوم بالغرض نفسه إلّا أنّ هذا الموصوف لا يصحّ تقديره مع الذي ؛ لأنّه نكرة ، ولا مع (ما) ؛ لأنّه لا يصح إظهار موصوفها ، لذلك جعلت (ما) بتقديره ومعناه ، فبدلًا من أن تجعل هي وصلتها صفة للنكرة ، جعلت هي النكرة نفسها وصلتها صفتها. فصارت موصوفة ، والمعروف عند النحاة أنّ (ما) وصلتها يعدّان كالاسم الواحد ، لا يجوز الفصل بينهما ؛ لذلك أنكر بعضهم أن تقع (ما) نكرة موصوفة بصلتها(١).

ويجمع النحاة والمفسرون على جواز مجيء (ما) نكرة موصوفة بمنزلة (شيء) من ذلك ما ذهبوا إليه في إعراب (ما) المتصلة بـ(نعم وبئس) التي صلتها جملة فعلية ، فقد نُسِب إلى الكسائي أنّه جعل نحو: بئس ما صنعت، بتقدير: بئسما ما صنعت، فأضمر (ما) لجعل هذا المثال ونحوه بمنزلة بئس الرجل عبد الله ، وذهب الفراء إلى أنّ (نعما) و (بئسما) كلمة واحدة بمنزلة (كلّما) و (حبّذا) وقيلت أوجه أخرى(٢).

إلّا أنّ الشائع بين النحاة جعل (ما) نكرة موصوفة منصوبة على التمييز بتقدير: بئس شيئا ، ونعم شيئا ، ومنهم من أجاز ان تكون معرفة بمنزلة (الشيء) (٣).

---

(١) الأمالي النحوية لابن الحاجب ص ٣١٨ وهمع الهوامع ٣١٦/١.

(٢) معاني القرآن للفرّاء ٥٦/١-٥٨ وإعراب القرآن للنحّاس ١٩٧/١-١٩٨ ومشكل إعراب القرآن ١٠٤/١، والحلل في إصلاح الخلل ص٣٥١.

(٣) الكتاب ١٥٥/٣-١٥٦ ومعاني القرآن للأخفش ٣٧/١-٣٨، ١٣٩ ومعاني القرآن وإعرابه ١٧٢/١ والبغداديات ص٢٥٢-٢٥٣ ومشكل إعراب القرآن ١٤١/١، ٢٣٥ والكشاف ٥٢٣/١، ولباب الإعراب للإسفراييني ص٩٦، والبرهان في علوم القرآن ٤٠٨/٤.

ولا يجيز أكثر النحاة أن يكون فاعل (نعم) و (بئس) (الذي) أو (ما) الموصولتين ، لأنّ كلتيهما عندهم معرفة تقع على شيء بعينه ، وسبب ذلك كما يذكر ابن عصفور ((أنّهم عزموا على أن لا يكون فاعلهما إلّا الجنس أو ما يفهم منه الجنس)) [١].

وأشار ابن الأثير الحلبي (ت : ٧٣٧هـ) إلى أنّ ((المعرفة ما دلت على شيء بعينه ، والنكرة ما دلت على واحد لا بعينه)) [٢] و(ما) لا يصحّ أن تكون معرفة بمنزلة (الشيء) لا المعرفة العهدية ولا الجنسية ؛ لأنّها لا تدلّ على فرد بعينه ولا على جنس بعينه ، ولا يصحّ أيضًا أن تكون نكرة بمنزلة (شيء) لأنّ نكرة (شيء) تدل على الآحاد والإفراد ، ونكرة (ما) تدل على الجميع والعموم ، فمن غير المناسب لدلالة (ما) أن تكون بمنزلة أحد هذين الوجهين ، والوجه أن تكون موصولة فهي أصلح من الجنس ، لِأن تقع فاعل (نعم) و (بئس) لأنّها أعمّ كما تبيّن هذا في الفصل الأول ، وقد أجاز نحاة أن تكون (ما) فاعل (بئس) بعد أن جعلوها بمنزلة (الذي) الجنسية في قوله تعالى: (بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنَزَلَ اللّهُ) [البقرة: ٩٠] وقوله تعالى: (لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ) [المائدة: ٨٠] وفاعل (نعم) في قوله تعالى: (إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ) [النساء: ٥٨] والمخصوص بالذم في سورة البقرة (أَن يَكْفُرُواْ) وفي سورة المائدة (أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ) أمّا المخصوص بالمدح في سورة النساء فمحذوف للعلم به

([١]) الحلل ص٣٥٢، والبيان في غريب القرآن ١/١٧٧-١٧٨ وشرح جمل الزجاجي ١/٦٠٠.

([٢]) جوهر الكنز ص٢٨٨.

وتقديره: أداء الأمانة والحكم بالعدل[١] وتتعيّن الموصولية في هذه الآيات لعود الضمير في صلتها عليها ، ونظير ذلك قوله تعالى: (قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ) [البقرة: ٩٣] وجاز عند حذف العائد إعرابها مصدرية ، ويقدر المخصوص عند عدم ذكره بما يدلّ عليه السياق ، فقوله تعالى: (وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)[المائدة: ٦٢] تقديره : لبئس العمل الذي كانوا يعملون، إذا جعلنا (ما) مصدرية، وبتقدير: لبئس الشيء الذي كانوا يعملونه ، إذا جعلنا (ما) موصولة ، والمخصوص بالذم في الوجهين محذوف يدلّ عليه ما قبله ، تقديره: إسراعهم في الإثم والعدوان وأكلهم السحت ، والمخصوص بالذم في قوله تعالى: (قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ) [الأعراف : ١٥٠] محذوف أيضا تقديره: اتخاذكم العجل، دلّ عليه المعنى الذي تضمنه قبل ذلك قوله تعالى: (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ) [الأعراف: ١٤٨].

وقد قالوا بالنكرة الموصوفة في مواضع أخرى كثيرة في القرآن الكريم كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ) [النساء: ٤٣] والتقدير عندهم: حتى تعلموا شيئًا تقولونه ، والآية لا يصحّ فيها هذا التقدير ؛ لأنّه ليس المراد أن يكونوا عالمين بآية مما يتلونه ، بل المراد ان يكونوا عالمين بكلّ آية يتلونها في أثناء الصلاة. ، ونظيره قوله تعالى: (وَاللّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ) [النساء: ٨١]. والتقدير: والله يكتب شيئًا يبيتونه[٢] ولا يصحّ أيضًا أن تكون الآية بهذا المعنى ؛ لأنّ المراد أنّ الله

---

(١) الكشف في نكت المعاني والإعراب ٥٧/١، والإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب ١٠١/٢ والبيان في غريب اعراب القرآن ٩١/١، ٣٠٢ والجنى الداني ص٣٣٦-٣٣٧.

(٢) التبيان في إعراب القرآن ٣٦١/١، ٣٧٥.

يكتب كلّ شيء يبيتونه، أو الأشياء جميعها التي يبيتونها، لا شيئًا واحدًا منها ، ومثله قوله تعالى: (وَلَهُمْ ما يَدَّعونَ) [يس: ٥٧] والتقدير: ولهم شيء يدعونه[1] وهذا المعنى غير مناسب لإكرام الله لعباده وهم عنده في جنته، فالمراد من الآية ، كما هو ظاهر: أنّ أهل الجنة لهم كلّ شيء ، أو أيّ شيء كان يطلبونه ، أي: الأشياء جميعها ، وليس شيء واحد منها ، ومن النحاة والمفسرين من أشار إلى هذه المسالة ، فمنع ان تكون (ما) نكرة بمنزلة (شيء) ؛ لأنها ضد معنى العموم ، ورأى أن تكون بمنزلة (الذي) الجنسية. ففي قوله تعالى: (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)[البقرة: ٣] قال أبو حيان: ((وأبعدَ من جعل (ما) نكرة موصوفة وقدّر : ومن شيء رزقناهموه ، لضعف المعنى بعد عموم المرزوق الذي ينفق منه فلا يكون فيه ذلك التمدح الذي يحصل بجعل (ما) موصولة لعمومها)) [2]

وفي قوله تعالى: (والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) [البقرة: ٤] قال العكبري: (((ما) هنا بمعنى (الذي) ولا يجوز ان تكون نكرة موصوفة ، أي شي أُنزل إليك ؛ لأنّه لا عموم فيه على هذا ، ولا يكمل الإيمان إلّا أن يكون بجميع ما أُنزل على النبي، صلى الله عليه وسلم، و(ما) للعموم وبذلك يتحقق الإيمان)) [3] وأجاز أن تكون (ما) نكرة موصوفة في قوله تعالى: (وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ)[البقرة: ٢٧] [4] فردّ عليه أبو حيان بأنّ ((المراد بذلك المعنى المطلق، وبه يقع الذم البليغ ، وأنّ هذا الذم لا يتحقق بجعل (ما) نكرة موصوفة بمنزلة (شيء)))[5]

([1]) مشكل إعراب القرآن ٦٠٧/٢ والتبيان في إعراب القرآن ١٠٨٥/٢.

([2]) البحر المحيط ٤١/١.

([3]) التبيان في إعراب القرآن ١٩/١.

([4]) المصدر نفسه ٤٤/١.

([5]) البحر المحيط ١٢٨/١ وينظر دراسات لأسلوب القران ١٧/٣.

والصحيح أنها لا ترد بهذا المعنى في كلّ موضع وإنّما يراد منها دائمًا إعمام صلتها بالحكم ، وإن بدت خلاف ذلك ، كما في قوله تعالى: (هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ)[ق: ٢٣] فقد جُعلتْ (ما) في هذه الآية نكرة بمنزلة (شيء)[١] والحق أنّها بمنزلة النكرة العامة، والمعنى: إني أحضرت كل ما وُكِّلْتُ بإحضاره. ، وبهذا الوجه جاء تفسيرها (أي: معتد محضر بلا زيادة ولا نقصان)[٢]

حذف (ما)

١-حذف (ما) غير المعطوفة :

ذهب الفرّاء إلى أنّ هناك (ما) محذوفة في قوله تعالى: (لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ)[الأنعام: ٩٤] ويعضّد ذلك عنده قراءة ابن مسعود ، رضي الله عنه : (لقد تقطّع ما بينكم) وفي قوله تعالى: (قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ) [الكهف: ٧٨] عند نصب (بينك) والتقدير: هذا فراق ما بيني وبينك. وقوله تعالى (وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا)[الدهر:٢٠]. والتقدير: وإذا رأيت ما ثَمّ رأيت نعيمًا[٣].

وأشار ابن فارس (ت٣٩٥هـ) [٤] والزركشي[٥] إلى هذا الحذف في هذه هذه الآيات.

وردَّ الأخفش[٦] والزجّاج[٧] والنحّاس[١] والزمخشري[٢] وغيرهم[٣] على على الفرّاء بأنّه لا يصحّ إسقاط الموصول وترك صلته ؛ لأنّهما بمنزلة الاسم

([١]) معاني القرآن للأخفش ٣٦/١.

([٢]) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٢٥/٤.

([٣]) معاني القرآن ٣٤٥/١، ١٥٦/٢، ٢١٨/٣.

([٤]) الصاحبي في فقه اللغة ص١٧٢.

([٥]) البرهان في علوم القرآن ٤٠٥/٤.

([٦]) معاني القرآن ٥٢١/٢.

([٧]) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٣/٢، ٢٦١/٥.

الواحد ونسبوا إليه أنّه جعل (رأيت) فعلًا متعدّيًا، وهو لازم هنا عند أكثر البصريين، فلا يحتاج الى تقدير (ما) موصولة لتكون مفعولًا به ، وذكر مكّي في (بينكم) من قوله تعالى: (لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) وجهي النصب والرفع ، ثم قال: ((وقيل: إنّ مَن نصب (بينكم) جعله مرفوعًا في المعنى بـ(تقطع) لأنّه فاعل ، لكنه لما جرى في أكثر الكلام منصوبًا ، تركه في حال الرفع على حاله)) الذي هو النصب ، ونُسب هذا القول إلى الأخفش، وقال: والمعنى بهذا الوجه يكون واحدًا في القراءتين[٤]. وبمثل هذا قال ابن السيد البطليوسي (ت٥٢١هـ)[٥] والطبرسي (ت : ٥٤٨) وقال أبو حيان ((سوّغ القائلون بهذا المذهب لزوم (بينكم) النصب ؛ لأنّه جرى مجرى المثل الملازم لموضعه))[٦]

والبصريون يجيزون إضمار (ما) في (تقطّع) و(رأيتَ) لكن على أن تكون نكرة موصوفة بمنزلة (شيء) لا موصولة ؛ لأنهم يجيزون حذف الموصوف ، ولا يجيزون حذف الموصول الذي أجازه الكوفيون[٧] وهذا خلاف المقصود في الآيتين ، فالمراد من الآية الأولى أن تكون بمعنى : لقد تقطع كلّ شيء بينكم ، وليس : لقد تقطع شيء بينكم . والمراد من الآية الثانية أن تكون بمعنى : وإذا رأيت أي شيء كان هناك رأي نعيمًا. وليس : إذا رأيت شيئا هناك رأيت نعيمًا.

---

(١) إعراب القران ٥٨٩/٣.

(٢) الكشاف ٦٧٣/٤.

(٣) مشكل إعراب القرآن ٧٨٥/٢-٧٨٦ وتذكرة النحاة لأبي حيان ص٤٧٨.

(٤) مشكل إعراب القرآن ٢٦٢/١-٢٦٣.

(٥) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ٦٣/١.

(٦) تذكرة النحاة ص٣٨٦-٣٨٧.

(٧) البيان في غريب إعراب القرآن ٣٣٢/١.

ويبدو انه يجوز في هاتين الآيتين إضمار (ما) وعدم إضمارها. فعند الإضمار يكون المراد معنى الفاعل في سورة الأنعام ، ومعنى المفعول في سورة الدهر ، وعند عدم الإضمار يكون المراد معنى الفعل في كلتيهما ؛ فيتحقق بذلك إعمام أوسع، وهذا ما ذهب إليه الطبري حين أنكر إضمار (ما) في قوله تعالى: ((وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ) رادًّا بذلك على الفرّاء ، فرأى أنّ مفعول (رأيت) لم يذكر ؛ لأنه ((يريد رؤية لا تتعدى))[١] وكذلك رأى الزمخشري ؛ لتشيع بعدم ذكره الرؤية وتعمّ[٢] فالفعل هنا ((ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوي بل معناه : أنّ بصرك أينما وقع في الجنة رأيت نعيمًا ومُلْكًا كبيرًا))[٣] وإنّ فاعل (تقطع) لم يذكر أيضًا لهذا الغرض[٤]

وقيل في قوله تعالى (ووالدٍ وما وَلَدَ) [البلد: ٣] إنّ المراد بالوالد الذي يولد له ، وبقوله (وما ولد) العاقر الذي لا يولد له ، على جعل (ما) نافية ، فتحتاج إلى تقدير موصول ليصحّ المعنى، كأنّه قال: والذي ما ولد[٥]. ولا يخلو هذا التقدير من تكلف.

والذين أشاروا إلى إضمار (ما) لم يستشهدوا بغير الآيات التي استشهد بها الفرّاء. ويبدو جواز هذا الإضمار في الآيات التي هي من قبيلها كقوله تعالى: (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ) [البقرة: ١٠٢] والمعنى: يفرقون به ما بين المرء وزوجه من صلات الزوجية وقوله تعالى: (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ)[الأعراف: ٨٩] والمعنى: ربنا افتح ما بيننا وما بين قومنا، وقوله تعالى: (وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ

---

(١) جامع البيان ٢٩/٢٢١.

(٢) الكشاف ٤/٦٧٣.

(٣) إرشاد العقل السليم ٩/٧٤.

(٤) الكشاف ٤/٦٧٣.

(٥) البحر المحيط ٨/٤٧٥.

ذَلِكَ سَبِيلاً) [الإسراء: ١١٠] أي: ما بين ذلك، والمعنى: وابتغ الشيء الذي بين الجهر والخفوت وقوله تعالى: (حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ)[الكهف: ٩٣]، أي: بلغ ما بين السدين وقوله تعالى: (حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ) [الكهف: ٩٦] أي: ساوى الشيء الذي بينهما وقوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ)[الحجرات: ١٠] والمعنى: أصلحوا ما بين أخويكم من علاقات الأُخُوّة حين تتعرض للانفصام. ، وقوله تعالى: (فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) [المعارج: ٣١] والمعنى: فمن ابتغى ما وراء ذلك من الأنكحة المحرمة. فالأفعال في هذه الآيات متعدية ، تحتاج إلى مفعول به ، وأريد به أن يكون معنًى عامًّا ، فلم تصلح لتقديره إلّا (ما) فقد أُضمرت لإرادة معنى المفعول ، وقد تحذف ، ويرجح أن لا تضمر مع جواز ذكرها أو إضمارها ، عندما يتطلب السياق إعمامًا أوسع، كما في قوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ)[الإسراء: ١] فلم يقل: سبحانه: باركنا ما حوله، أو فيما حوله، فحذفت (ما) لإرادة معنى الفعل. وهذا واضح من سياق الآية، فالمراد إعمام البركة والمبالغة فيها حول مسجد يعد مسرى النبي، محمد صلى الله عليه وسلم، وأُولى القبلتين وثالث الحرمين.

وحذف (ما) مع نيّة إضمارها أريد به الإيجاز، وهو أبلغ من الذكر إذا كان الحذف لا يخلّ بالمعنى ؛ لأنّ من التطويل ذكر ما يمكن الاستغناء عنه ، فذكر (ما) يكون عندئذ بالاهتمام بمعناها وتأكيده.

ب-حذف (ما) المعطوفة :

وردت (ما) معطوفة على (ما) قبلها ، وصلتها جملة فعلية ، كالذي في قوله تعالى: (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) [سبأ:٢، الحديد:٤]، أو جملة منفية بـ(ليس) كالذي في قوله تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ) [الحج: ٧١]. أو شبه جملة، ظرف

كالذي في قوله تعالى: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ)[الأنبياء: ٢٨} الحج: ٧٦] أو جارٌّ ومجرور، كالذي في قوله تعالى: (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ)[طه: ٦] ولم ترد (ما) معطوفة محذوفة في القرآن الكريم إلّا حين تكون صلتها جارًّا ومجرورًا، كالذي في قوله، تعالى (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ)[لقمان ٢٦] وقوله تعالى: (وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)[الأنعام: ٥٩]. فقد حذفت (ما) هنا ، وذكرت هناك ، فما سرّ هذا وذاك؟.

ذكر الإسكافي في قوله تعالى: (أَلا إِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَلاَ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ)[يونس:٥٥] أنّ (ما) لم تكرر مع أهل الأرض؛ لأنها لم تكن في موضع توكيد ، بخلاف موضعها في قوله تعالى: (قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ) [يونس: ٦٨] فقد كُررت هنا للتوكيد ، كأنّه قال: إذا كان له كل ما في السموات وكل ما في الأرض فلِمَ يتخذ الولد؟[1].

إلّا أنّ قوله تعالى: (قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا) ورد في موضع آخر، لم تذكر فيه (ما) وهو قوله تعالى: (وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ)[البقرة: ١١٦].

وذكر الكرماني أنّ (ما) كُررت في قوله تعالى: (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ)[جمعة: ١، التغابن: ١] لاختلاف تسبيح أهل السماء عن أهل الأرض في الكثرة والقلة، والبعد والقرب من المعصية والطاعة[2].

ولو كان هذا هو السر لاقتضى ذكر (ما) في المواضع كلّها إلّا أنّها حذفت في قوله تعالى: (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ

---

(1) درة التنزيل وغرة التأويل ١/٢١٤-٢١٥.

(2) أسرار التكرار في القرآن ص٢٠٤-٢٠٥.

الْحَكِيمُ)[الحديد: ١] وفي قوله تعالى: (يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[الحشر: ٢٤].

وذكر الدكتور فاضل صالح السامرائي أنّ (ما) تُكرر عندما يراد ذكر أهل الأرض بأمر من الأمور واحتج على ذلك بقوله تعالى: (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ)[الحشر: ١-٢] وبيّن أنّه لذلك حُذفت في قوله تعالى: (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الحديد: ١] وفي قوله تعالى: (يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] [الحشر: ٢٤] لوقوعها في آخر السورة[١].

وهذه العلة غير مطّردة في القرآن الكريم كما صرّح بذلك الدكتور فاضل إذ جعلها خاصة في آيات التسبيح فلم تحذف مثلًا في قوله تعالى: (صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأمُورُ) مع أنّها وقعت في آخر سورة الشورى [٥٣] كما أنّ ذكر أهل الأرض قد ورد أيضًا بعد (ما) المحذوفة كالذي في قوله تعالى: (وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا *يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ)[النساء: ١٦٩-١٧٠] ونظير ذلك قوله تعالى: (وَلَهُ مَا فِي الْسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللّهِ تَتَّقُونَ {٥٢} وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ)[النحل: ٥٢-٥٣] وذكر أنّها تُكرر أيضًا إذا كان الموطن دالًّا على التفصيل والإحاطة، كالذي في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ

---

(١) التعبير القرآني ٨٧-٩١ ومعاني النحو ١٥٥-١٥٨.

مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[المجادلة: ٧].

فذُكرت (ما) لأنّ الآية في سياق إحاطة علم الله بكل شيء، في السموات وفي الأرض ومثله قوله تعالى: (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الأخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ) [سبا: ١-٢] فذكرت (ما) في هذه الآيات ؛ لأنّ الموطن موطن إحاطة وشمول[1] وهذا هو السر في ذكر (ما) فيما يبدو.

ومن الشواهد الأخرى في هذا الباب ، قوله تعالى: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ * وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [آل عمران: ١٢٨-١٢٩] وقوله تعالى (وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا)[النساء: ١٢٦] وقوله تعالى: (قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [الحجرات ١٦] فقوله تعالى في سورة آل عمران : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ) تأكيد أنّ أمر كل شيء بيد الله ، وقوله تعالى في سورة النساء (وَكَانَ اللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا) وقوله تعالى في سورة الحجرات: (قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ) وقوله: (والله بكل شيء عليم) ألفاظ واضحة الدلالة على أنّ المراد معنى الإحاطة والشمول؛ لذلك اقتضت ذكر (ما).

ومن ذلك قوله تعالى: (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)[الجمعة: ١] فقد قصد في هذه الآية شمول

---

(1) المصدران السابقان والصفحات نفسها.

الخلائق كلّها بتسبيح الله، يدلّ على ذلك وصفه سبحانه نفسه بأنّه الملك القدوس. وتقديس الله يكون بكثرة المسبحين له. ونظيره قوله تعالى: (سَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[التغابن: ١] فقوله (لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ) مناسب لذكر (ما) ولو قال: له الملك والحمد لناسبها حذفها؛ لأنّ تكرار (له) يدل على أنّ المراد الإحاطة والتفصيل.

وقد مر ما قاله الإسكافي والكرماني والدكتور فاضل السامرائي في (ما) الثانية وتعبيرهم عن ذكرها بتكرارها. ولا يصحّ إدخالها في هذا الباب ؛ لأنّ (ما) الثانية غير (ما) الأولى؛ إذ الحديث عن أسرار تكرار الموصول يكون مثلًا في قوله تعالى: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى * فَجَعَلَهُ غُثَاء أَحْوَى)[الاعلى:١-٥] فتعدد الموصول المعطوف في هذه الآيات يفيد تعدد الموصوف مع أنّ الموصوف واحد وهو الله عز وجل ، فذُكْرُ الموصول المعطوف الثاني والثالث يُعدُّ تكرارًا ينبغي معرفة سره ؛ لأن الأصل حذفه[1] وتكراره خلاف الأصل، بخلاف ذكر (ما) مثلًا في قوله تعالى: (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ)[طه:٦] فهنا ينبغي معرفة سر حذفها إذا حذفت ؛ لأنّ الأصل ذكرها وحذفها خلاف الأصل ؛ لذلك يحسن في هذه الآية ونحوها إطلاق لفظ (الذكر) بدلًا من لفظ (التكرار) لئلا يُظَنُّ أنّها كذلك ، فتفسر بما تفسر به الألفاظ التي تكرر في اللغة ، وهذا ما حصل في ما يبدو مما تقدم ذكره.

فقد ذهب الكرماني مثلًا كما مر- سالفا- إلى انّ (ما) الثانية كُررت للتوكيد في حين أنّ ذكرها لم يكن تكرارًا لتكون توكيدًا ، فالآية بذكر(ما)

([1]) فالأصل توحيد الموصوف ويكون: ذلك إمّا بحذف (الذي) الثانية والثالثة وعطف صلة كل منهما على صلة (الذي) الأولى أو ذكرهما من غير عاطف لتكون كل منهما بدلاً.

تعني شيئيين: وُصف الأول باستقراره في السماء ، ووُصف الثاني باستقراره في الأرض، وبحذفها وعدم إضمارها تعني شيئًا واحدًا وصف بالصفتين المذكورتين. وهو معنى لا يصحّ ؛ لاستحالة ان يستقر شي في مكانين في وقت واحد. فإذا قلنا مثلًا: زرت أخي الذي في بغداد والبصرة ، امتنع عدم اضمار (الذي) الثانية ؛ لامتناع ان يكون المقصود أخًا واحدًا يسكن المدينتين ، ووجب أن يكون المقصود أخوين، يسكن أحدهما بغداد ويسكن الاخر البصرة ، فوجب اضمار (الذي) ليصحّ المعنى وليكون التقدير: زرت اخي الذي في بغداد والذي في البصرة ، وكذلك الحال في قوله تعالى: (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)[الحديد:١] فإنّه لا يجوز عطف الأرض على السماوات وجعلهما معا من صلة (ما) المذكورة ؛ لأنّ الشي إمّا أن يكون في السماء ، وإمّا أن يكون في الأرض؛ فاقتضت هذه الحال إضمار (ما) ليكون معنى الآية سبح لله الأشياء التي في السماوات ، والأشياء التي في الأرض ولذلك ذكر مكّي أنّ هناك (ما) محذوفة والتقدير ((وما في الأرض))[1].

وقد مرّ في الموضوع السابق وهو ((حذف (ما) المعطوفة)) أنّ البصريين أجازوا حذف الموصوف ولم يجيزوا حذف الموصول ، وهذا مذهبهم أيضًا في حذف (ما) المعطوفة ، إلّا أنّ منهم مَن ذكر في (مَن) أنّها إذا وقعت نكرة فمن الخطأ أو غير المستحسن حذفها ، ويقوم نعتها وهو (الجملة) مقامها ؛ لأنّ نعتها صار بمنزلة الصلة ، والاسم الموصول لا يجوز حذفه وبقاء صلته[2].

وقد ورد حذف (مَن) وصلتها أو صفتها شبه جملة في القرآن الكريم، معطوفة على (مَن) قبلها ، كما في قوله تعالى: (وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي

---

(١) مشكل إعراب القرآن ٧١٦/٢.

(٢) إعراب القرآن للنحّاس ٥٦٧/٢ ومشكل إعراب القرآن ٥٥٢/٢.

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)[الرعد:١٥] و(مَن) هنا لا بدّ من إضمارها لفساد المعنى بإلغائها، فيكون حذفها جائزًا قياسا سواء أكانت موصولة أم نكرة موصوفة ، وكذلك أختها (ما) لا بدّ من إضمارها في الآيات التي مر ذكرها ونظائرها ، وهذا ما عليه النحاة ، إلّا أنّ البصريين أوجبوا إضمارها على أنّها نكرة موصوفة ، بمنزلة (شي) لا موصولة ، وذلك لعدم جواز حذف الموصول عندهم ، ولهذا يقول مكّي في الآية المذكورة (سبح لله ما في السماوات والأرض) أي: (وما في الأرض) ثم حذفت على أنّها نكرة موصوفة، فقامت الصفة ، وهي (في الأرض) مقام الموصوف وهو (ما) المحذوفة ولا يحسن أن تكون (ما) بمعنى (الذي) ؛ لأنّ الصلة لا تقوم مقام الموصول عند البصريين، وتقوم الصفة مقام الموصوف عند الجميع ، فحمله على الإجماع أولى من حمله على الاختلاف)) [1].

وهذا خلاف ما ورد في القرآن الكريم، فقد ذكر صاحب البرهان، أنّ في قوله تعالى: (وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ)[العنكبوت:٤٦] اسمًا موصولا محذوفا؛ إذ لا يصحّ جعل (أُنزل اليكم) من صلة (الذي) المذكورة، فيجب ان يكون التقدير: والذي أُنزل اليكم ؛ لأنّ الذي أنزل الينا ؛ هو غير الذي أُنزل على من قبلنا ؛ لذلك أُعيدت (ما) في قوله تعالى: (قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ)[البقرة:١٣٦] ((وشرطَ ابن مالك في بعض كتبه لجواز الحذف كونه معطوفًا على موصول آخر)) [2].

وقد تبين من قبل أنّ جعل (ما) نكرة بمنزلة (شيء) وجه مستبعد في كل موضع، وقوله تعالى: (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) كما هو واضح يعني أنّه لا شيء خارج عن ملك الله ، وهذا المراد يتحقق بجعل المعنى :

([1]) مشكل إعراب القرآن ٧١٦/٢.

([2]) البرهان في علوم القرآن ١٥٩/٣،

ولله كل شيء في السموات وكل شيء في الأرض ، ولا يناسبها أن تكون بتقدير. لله شيء في السموات وشيء في الأرض ، فجعل (ما) بمنزلة (الذي) الجنسية أقرب إلى معنى الآية من جعلها نكرة موصوفة.

أمّا فيما يتعلق بسرّ الحذف، فقد ذهب الكرماني إلى أنّ (ما) لم تُكرر في قوله تعالى: (وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ والأرْضِ)[العنكبوت: ٥٢] لان جنس علم الله واحد، فهو لا يخفى عليه سبحانه شيء في الأرض ولا في السماء[١] يبدو أنّه لو كان هذا هو السرّ، لاقتضى ذلك حذفها في المواضع كلّها ، في حين ذكرت في قوله تعالى: (وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[آل عمران: ٢٩] وقوله تعالى: (ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)[المائدة: ٩٧].

وفي قوله تعالى: (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الأوَّلُ وَالأخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)[الحديد: ١-٤] ذكر الإسكافي أنّ حذف (ما) في أول هذه السورة كان من أجل موافقة ما بعدها وهو قوله تعالى: (لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) وقوله تعالى: (خلق السموات والأرض) لأنّ التقدير: سبح لله خلق السموات والأرض، وكذلك قال في آخر سورة الحشر: (يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ) أي: خلقهما[٢] وذكر هذا الكلام أيضا الكرماني[٣] والفيروزآبادي[٤].

---

(١) أسرار التكرار في القرآن ص٢٠٤-٢٠٥.

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل ص٤٦٩-٤٧٠.

(٣) أسرار التكرار في القرآن الكريم ص٢٠٠.

(٤) بصائر ذوي التمييز ١/٤٥٤.

فيبدو ان سرّ الحذف كان لتوحيد أهل الأرض مع أهل السماء في أمر النسيج يدل على ذلك قوله تعالى: (هُوَ الأَوَّلُ وَالأخِرُ) فقد أريد بذلك الجمع بين صفة (الأول) وصفة (الآخِر) على أنّهما كلتيهما صفة لله وإن تضادتا. ونظيره قوله تعالى: (هُوَ الأَوَّلُ وَالأخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ) فحُذفت (ما) لجمع أهل الأرض مع أهل السماء ؛ لأن سياق الآيات ، كما هو الظاهر سياق ضم وتوحيد ، لا تفريق وتفصيل.

وقد ذُكرت (ما) في أول سورة الحشر، في قوله تعالى: (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ)؛ لأنّها وردت على الأصل، وليس ثمة ما يدعو إلى حذفها بخلاف ورودها في آخر السورة، وهو قوله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الحشر: ٢٢-٢٤].

فقد حُذفت (ما) لأن الآيات وردت في سياق توحيد العبودية والأسماء الحسنى لله.

وقد كان هذا هو السر في حذفها في آيات أخرى، كما في قوله تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ * لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * مَّا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ) [لقمان: ٢٥-٢٨].

فقوله تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ لَيَقُولُنّ اللَّهُ) وقوله تعالى: (مَّا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ) دليل على أنّ الآيات واردة في سياق جمع وتوحيد.

وقد تحذف (ما) لسبب آخر، ففي قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)[النساء: ١٧٠] ذكر الإسكافي [١] والكرماني [٢] أنّ (ما) حذفت لجعل أهل الأرض تبعًا لأهل السموات.

ويبدو هذا التفسير بعيدًا ؛ لأنّه قد تقدمتها آية ذكرت فيها (ما) مع أنّها وردت على نسقها وهي قوله تعالى: (وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا)[النساء: ١٣١] فليس بين الآيتين في الموضعين أمارة واضحة يمكن أن تتخذ علة لذكر (ما) هنا وحذفها(هناك) وقد تبدو الآيتان كذلك عند تلاوتهما أول وهلة ، بيد أنّه عند تأمّلهما يتبيّن سرّ الذكر والحذف ظاهرًا فيهما لا لبس فيه ، فقوله تعالى (وَإِن تَكْفُرُواْ){النساء : ١٣١} في الموضع الأول المتقدم من السورة خطاب لليهود والنصارى وأهل القرآن ، وهم جميعًا فئة قليلة إذا قيست بأهل الأرض ، فالخطاب موجه إلى القلة لأنّهم إذا كفروا فإنّ لله غيرهم في كلّ أرض ، قادر، سبحانه، أن يرسل إليهم من يشاء ويهديهم إلى دينه ويكونوا خيرًا منهم. كما قال تعالى (وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)[محمد: ٣٨] فذكرت (ما) لتعود على الأكثرين من أهل الأرض في كل مكان وزمان.

أمّا قوله تعالى: (وَإِن تَكْفُرُواْ) في الموضع الثاني من السورة فهو خطاب إلى الناس كافة ، فقد ابتدأت الآية بقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ) فالخطاب موجه الى أهل الأرض جميعا بأنّهم إذا كفروا ، فإنّ الله مستغن عنهم بأهل السموات الذين لا يحصى عددهم إلّا الله ولم يشذ منهم أحد عن

---

(١) درّة التنزيل ص٤٨٧–٤٨٨.

(٢) أسرار التكرار ص٥٨.

طاعته ، ولا يفترون عن شكره وتسبيحه كما أخبر تعالى عن موسى، عليه السلام، أنّه قال لقومه : (إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ)[ابراهيم: ٨].

فحذفت (ما) في هذا الموضع لم يكن لجعل أهل الأرض تبعًا لأهل السماء بل كان للاستغناء عنهم وعن عبادتهم لله ، ويبدو حذفها واجبًا وإن كان خلاف الأصل ؛ لأنّ ذكرها في سياق هذه الآية لا يليق بمقام الله الغني بذاته ثم بجنوده وملائكته.

المبحث الثاني : النكرة التامّة (التعجبية)

وردت (ما) التعجبية في القرآن الكريم بصيغة (ما أفعله) في موضعين: هما قوله تعالى: (فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ)[البقرة: ١٧٥] وقوله تعالى: (قُتِلَ الأنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ)[عبس: ١٧] وقرأ سعيد بن جبير (ما أغرّك بربك) وهي قراءة شاذة[١] بدلًا من القراءة المشهوره المجمع عليها (مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ) [الانفطار: ٦].

وعُرِّف التعجب بأنّه استعظام زيادة في وصف الفاعل، ويكون فيما خفي سببه ((وقد قيل: إذا ظهر السبب بطل العجب))[٢] على أنّ التعجب لا يصح صدوره من الله ، عز وجل ، لأنّه لا يعزب عن علمه شيء ، فالله يُعجب المخلوقين ولا يَعجب هو ، فإن ورد ما ظاهره ذلك ، صُرِف إلى المخاطَب، فيكون قوله تعالى: (فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) معناه : أنّ الله يُعجب المؤمنين من جرأة الكفار على عمل يقربهم من النار ، أو هم ممن

---

(١) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني ٢/٣٥٣-٣٥٤ والبرهان في علوم القرآن ٤/٤٠٤ والإتقان في علوم القرآن ٢/٢٨٨.

(٢) المرتجل لابن الخشاب نص١٤٥- ١٤٦ والغرَة المخفية لابن الخبّاز ٢/ ٤٦٦.

يستحقون أن يقال فيهم ذلك ، وكذلك قوله تعالى: (قُتِلَ الأنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) هو ممن يُتعجّب من كفره[1].

وأُعربت (ما) في صيغة (ما أفعله) نحو: ما أحسنَ عبدَ الله ، نكرة تامة بغير صفة ولا صلة في محل رفع مبتدأ، وأُعرب (أحسنَ) فعلًا ماضيًا و(عبد الله) مفعولًا به، وفي (أحسن) فاعل مستتر يعود على (ما) والفعل ومعمولاه في محل رفع خبر ، والتقدير: شيء أحسنَ عبدَ الله ، أي : شيء جعله حسنا ، وهذا هو مذهب سيبويه وجمهور النحاة[2].

ونُسب إلى الأخفش أنّه أجاز جعل (ما) موصولة ، والفعل صلتها والخبر محذوف، فيكون (ما أحسنَ عبدَ الله) بتقدير: الذي أحسنَ عبدَ الله شيء عظيم، أو نكرة موصوفة والتقدير: شيء أحسنَ عبدَ الله عظيم[3].

وقد رجّح جمهور النحاة مذهب سيبويه وجعلوا (ما) نكرة تامة غير موصوفة ، ذلك أنّ التعجب في الإبهام بمنزلة الشرط والاستفهام ، فجعل (ما) موصولة او موصوفة، يخرجها عن الإبهام اللازم لمعنى التعجب الذي

---

(1) البغداديات ص ٣٥٣ ومشكل إعراب القرآن ١١٧/١، ٨٠١/٢-٨٠٢ وشرح اللمع لابن برهان العكبري ١٤٢/٢ وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١/ ١٧٧، واللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري ٢/ ١٤٦ وشرح المفصل لابن يعيش ٥/٤ وشرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ص١٨٥ وكاشف الخصاصة عن ألفاظ الخلاصة لابن الجوزي ص٢١١ وحاشية الصبّان على شرح الأشموني ١٢/٣، ١٦.

(2) الكتاب ٣٧/١، ٧٢ والمقتضب ١٧٣/٤ والأصول في النحو لابن السراج ١١٥/١ والجمل للزجاجي ص٩٩، ١١٢ وشرح المفصّل ١٤٦/٧ والإيضاح في شرح المفصّل لابن الحاجب ١٠٨/٢.

(3) الأمالي الشجرية ٢٣٧/٢ والمرتجل ص١٤٦-١٤٧ والبيان في غريب إعراب القرآن ١٣٨/١ وشرح الكافية الشافية ١٠٨/٢ والجنى الداني ص٣٣٥ ومغني اللبيب ٢٩٧/١ وشرح ابن عقيل ١٥٠/٢ وحاشية الصبّان ١٧/٣-١٨.

عُرِّف بأنه ما خفى سببه ؛ إذ الصلة تبين الموصول ، والصفة تبين الموصوف[١].

وقيل: إنّ جعل (ما) موصولة لا يزيلها عن إبهامها ؛ لأنّ خبرها واجب الحذف ، والتزام حذف الخبر كاف في الإبهام ورُدَّ بان الخبر هنا ، وإن ادعى حذفه ، إلّا انّه معلوم تقديرًا ، فلا يكون هناك إبهام، وإن قيل : إنّه مجهول فحذف المجهول لا يجوز[٢] وجُعل المذهب الذي نسب إلى الأخفش، أقرب إلى قواعد اللغة من مذهب سيبويه وجمهور النحاة ؛ لكون حذف الخبر شائعًا في اللغة العربية في حين أنّ الابتداء بالنكرة التامة مخالف للأصل[٣].

أمّا معنى هذه الصيغة في القرآن الكريم فقد ذكر الفرّاء في قوله تعالى: (فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) أن فيه وجهين، أحدهما معناه : فما الذي صبّرهم على النار؟ والآخر معناه : فما أجرأهم على النار. ورأى أنّ في قوله تعالى (قُتِلَ الأنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ) ((يكون تعجبًا ويكون: ما الذي أكفره؟)) ثم بيّن أنّه ((بهذا الوجه الآخر جاء التفسير))[٤].

فقد أجاز الفرّاء أن تكون (ما) تعجبية بتقدير (شيء) والمعنى : شيء أصبرهم، وشيء أكفره ، وأجاز كذلك ان تكون استفهامية ، وجعل هذا المعنى بتقدير: ما الذي صبّرهم؟ وما الذي أكفره؟ أي: جعل (ما) استفهامية مشوبة بالتعجب. وقد يستفاد من الاستفهام معنى التعجب[٥].

---

(١) المصادر السابقة والبغداديات ص٢٥٥ والمقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني ٣٧٥/١ وقواعد المطارحة لابن أياز النحوي ص٢١٦.

(٢) شرح الكافية الشافية ٢/ ١٠٨٠ –١٠٨١.

(٣) خطى متعثرة على طريق تجديد النحو العربي، عفيف دمشقية ص١٨–٢٠.

(٤) معاني القرآن ١٠٣/١، ٢٣٧/٣.

(٥) حاشية الصبّان ١٧/٣.

ويشعر كلام الفرّاء في وصف الوجه الثاني ، بأنّه به جاء التفسير باستحسانه ، وقد أشار إلى جواز هذين الوجهين الأخفش[1]، والطبري[2]، والنحّاس[3]، وغيرهم[4]. وذهب أبو عبيدة إلى أنّ (ما) في قوله تعالى: (فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) استفهامية وصرح بأنّها ((ليس بتعجب)) [5] لأنّ التعجب التعجب لا يصحّ صدوره من الله برأيه. ويبدو أنّه رأى أيضًا ألّا[6] يكون هذا الاستفهام مرادًا به التعجب ، بل هو كما قال المبرد ((استفهام يراد به التقرير والتوبيخ)) [7] ونقل هذا الوجه أبو جعفر الطوسي[8] والقرطبي[9] وأبو حيان[10] وغيرهم[11] ولم يجز الزجاج الوجه الذي يذهب إلى التعجب إلّا عند جعله ((مما يؤمر به الآدميون، أي: اعجبوا أنتم)) [12].

ويذهب الكوفيون إلى أنّ مذهب سيبويه وجمهور النحاة في صيغة (ما أفعله) غير صحيح ، يوضحون ذلك من قول القائل : ما أعظمَ اللهَ! إذ لا

---

(1) معاني القرآن ١/١٥٥– ١٥٦، ٢/ ٥٢٨.

(2) جامع البيان ٢/ ٣٣٢– ٣٣٣، ٣/ ٥٤.

(3) إعراب القرآن ٣/ ٦٢٨.

(4) مشكل إعراب القرآن ١/ ١١٧، ٢/ ٨٠١– ٨٠٢ والتبيان في تفسير القرآن ٢/ ٩١ والكشاف ١/ ٢١٦، ٤/٧٣٤ وزاد المسير ١/ ١٧٧. والتبيان في إعراب القرآن ١/ ١٤٢، ٢/ ١٢٧٢ وفتح القدير ١/ ١٧١.

(5) مجاز القرآن ١/ ٦٤.

(6) ألّا : أصلها : أن لا ، أُدغمت النون باللام لفظًا ورسمًا .

(7) المقتضب ٤/ ١٨٣.

(8) التبيان في تفسير القرآن ١/ ٢٧٢– ٢٧٣، ٢/ ٩١.

(9) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٣٦.

(10) البحر المحيط ١/ ٤٩٥.

(11) زاد المسر ١/ ١٧٧ وفتح القدير ١/ ١٧١.

(12) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٢٤٥، ٥/ ٢٨٤– ٢٨٥.

يصحّ أن يكون بتقدير: شيء أعظمَ اللهَ ، أي: جعله عظيمًا ؛ لأنّ الله عظيم بذاته سبحانه ، لا بجعل جاعل [١].

وذكر الصبّان أنّ من النحاة مَن لا يجيز التعجب من صفات الله قياسًا ، فلا يقال: ما أعظمَ اللهَ! ؛ لأنّها لا تقبل الزيادة وأنّه شذّ قول العرب: ما أعظمَ اللهَ! وما أقدره! وما أجلّه! ثم بيّن أنّ المختار جواز ذلك[٢].

وردّ البصريون على الكوفيين بأنّ قول القائل: ما أعظمَ اللهَ ، هو بتقدير: شيء عظّمَ اللهَ ((وذلك الشيء ، الناس الذين يصفونه بالعظمة ، كقولك: كبّرتُ كبيرًا وعظّمتُ عظيمًا... وليس شيء يُخبر به عن الله، عز وجل ، إلّا على خلاف ما يُخبر به عن غيره في المعنى)) [٣].

وقال أبو البركات بن الأنباري : إنّ لهذا الشيء الذي عاد عليه الفاعل المستتر في (أعظمَ)) ثلاثة معان: ((أحدها : أن يعني بالشيء من يعظّمه من عباده ، والثاني : أن يعني بالشيء ما يدلّ على عظمة الله ، تعالى وقدرته من مصنوعاته. والثالث: أن يعني به نفسه؛ أي: أنّه عظيم بنفسه، لا لشيء جعله عظيمًا فرقًا بينه وبين خلقه)) [٤].

وورد في حاشية الخضري أنّ معنى الجعل ليس في صيغة (ما أفعله) بل هو في تقديرها[٥].

ويبدو أنّ (ما) ليست استفهامية كما يذهب الكوفيون، والصحيح ما ذهب إليه سيبويه وجمهور النحاة من أنّ (ما) تعجبية ، إلّا أنّ الإشكال في

---

(١) المُحلّى– وجوه النصب لابن شقير، ص٢٠ ومفاتيح الغيب ٥/ ٢٩–٣٢. والأشباه والنظائر للسيوطي ٤/ ١٠٧.

(٢) حاشية الصبّان ٣/ ١٦.

(٣) المقتضب ١٧٦/٤ ومجالس العلماء للزجاجي ص١٢٥–١٢٦.

(٤) الإنصاف في مسائل الخلاف ١/١٤٦–١٤٧.

(٥) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ٣٩/٢.

هذا الوجه نشأ من قولهم: إنّ منصوب (ما أفعله) مفعول به حقيقة ، وهذا القول اضطرهم إلى أن يبحثوا عن الفاعل ، فجعلوه ضميرًا مستترًا في (أفعلَ) ولمّا كان الضمير لا بدّ من عوده على شيء ، لم يجد النحاة ما يعيدونه عليه إلّا (ما) فاقتضى أن تكون اسمًا ؛ لأنّ الضمير لا يعود إلّا على الأسماء[١]، وهذا مما جعل المثل : ما أعظمَ اللهَ ، يكون بتقدير: شيء جعل اللهَ عظيمًا. فكان الإشكال.

والتكلف ظاهر في هذا الإعراب والتقدير؛ لذلك استبعدهما باحثون، وذكروا أنّهما لا يطابقان معنى التعجب في صيغة (ما أفعله) [٢] وآثر بعضهم أن تسمى (ما) في هذه الصيغة أداة تعجب ، وأن يقتصر على إعراب (أفعلَ) بأنّه اسم منصوب متعجب به ، أو فعل التعجب لا فاعل له ، وأن يعرب المنصوب متعجبًا منه[٣].

على أيّة حال، فإنّ النحاة وإن أعربوا منصوب (ما أفعله) مفعولًا به، ذهبوا إلى أنّه فاعل في الأصل والمعنى ، فقد مرّ قولهم في تعريف التعجب بأنّه استعظام زيادة في وصف الفاعل ، وفي ذلك يقول الزجاجي ((واعلم أنّ التعجب إنّما هو من الفاعل ولا يجوز التعجب من المفعول)) [٤] وذهبوا إلى

---

(١) كتاب الجمل للزجاجي ص١١٢ وأسرار العربية لأبي البركات بن الأنباري ٥١ وأوضح المسالك إلى ألفية بن مالك لابن هشام ٢٧٢/٢ وحاشية الصبّان ١٧/٣ وحاشية السجاعي على قطر الندى ص١٢٩.

(٢) في النحو العربي – قواعد وتطبيق ص٢١٥-٢١٦ والفعل زمانه وأبنيته للدكتور إبراهيم السامرائي ص٧٣ وينظر (التعجب بين البصريين والكوفيين) وهو بحث للدكتور محيي الدين توفيق إبراهيم. مجلة آداب الرافدين، العدد الخامس ١٩٧٤م ص٣-٩.

(٣) معاني النحو ٦٥٣/٤.

(٤) كتاب الجمل ص١١٣.

أنّ أحكامه وافقت أحكام كلّ فاعل وخالفت أحكام كلّ مفعول[1] بل ذكر ابن السراج بأنّه ليس ثمة في (أفعل) فاعل مستتر يمكن تحديده وتلخيصه ؛ لأنّ هذا الفاعل هو المنصوب نفسه الذي أُعرب مفعولًا به[2] وهذه حقيقة صرّح بها النحاة ، وأكّدوها ، ولهذا قال الأستاذ عباس حسن : إن فاعل (افعل) ((ضمير مستتر وجوبًا يعود على (ما) وبعده اسم منصوب هو في ظاهره وإعرابه مفعول به ولكنّه في المعنى فاعل))[3]فإذا كانت هذه هي الحقيقة، فهذا يعني أن منصوب (ما أفعله) هو الفاعل ، ولا فاعل مستتر في (أفعلَ) فلا تكون (ما) عندئذ اسمًا لعدم وجود ما يدلّ على اسميتها ، بل هي حرف أو أداة استعملت للتعجب شأنها شان حروف الاستفهام والنداء والاستغاثة.

تبيّن أنّ صيغة (ما أفعله) التي وردت في القران الكريم أريد بها معنى التعجب، وقد توافر فيها كل ما يحقق هذا المعنى. فقد استعملت (ما) لإنشاء التعجب[4]، والدليل على ذلك أنّها استعملت لهذا المعنى في صيغة سماعية. يقول أبو حيان ((وقد يجيء عن العرب ألفاظ مختلفة مضمنة معنى التعجب، من ذلك قولهم: ما أنت مِن رجل)) [5].

وهمزة (أفعل) همزة قطع ، سماها المزني[6] في كتابه (الحروف) ألف التعجب.

وهناك كثير من الأفعال المتعدية ترد بصيغة (فعل) و(أفعل). والمعنى واحد مثل: (حبَّ) و (أحبَّ) تقول: حبَّه وأحبَّه[1].

---

(١) حاشية الصبّان ١٣/٣، وحاشية الخضري ٣٩/٢.

(٢) الأصول في النحو ١١٨/١-١١٩.

(٣) النحو الوافي ٢٧٦/٣-٢٧٧.

(٤) شرح الرضي على الكافية ٢٢٧/٤.

(٥) تذكرة النحاة ص٤٦٦.

(٦) الحروف ص ٤٤.

ولعل صيغة (أفعلَ) أقوى في المعنى من (فعلَ) إذ فيها زيادة في المبني، فمجيء الفعل في صيغة (ما أفعله) بوزن (أفعل) لا بوزن (فعل) إنّما هو لتقوية معنى التعجب وتعظيم الصفة.

ومما قوّى معنى التعجب ، نصب ما هو فاعل في المعنى ، فقد تبيّن سالفًا أنّ النحاة أكّدوا أنّ منصوب (ما أفعله) هو فاعل في معناه وأحكامه وأصله ، ومن الواضح أنهم لم يعربوه فاعلًا ؛ لأنّهم رأوا أنّ هذا الإعراب يكسر القاعدة النحوية التي أجمعوا عليها ، وهي أنّ الفاعل لا يكون إلّا مرفوعًا ، والحقيقة أنّ الإعراب الذي يُعدّ كسرًا للقاعدة يكون فيما شذّ عن إعراب نظائره ، من ذلك ما استشهد به النحاة من نصب الفاعل ورفع المفعول في المواضع التي لم يرد فيها الفاعل إلّا مرفوعًا ، ولم يرد فيها المفعول إلّا منصوبًا. نحو: خرق الثوبُ المسمارَ[٢] وأمّا إعراب منصوب (ما أفعله) فاعلًا ، فلا يُعدّ شاذًّا ، ذلك أنّ نصب الفاعل في صيغة (ما أفعله) قياسي ، فكل فاعل في هذه الصيغة قد ثبت نصبه ، بل يعد رفعه شذوذًا ، أي كما ورد رفع الفاعل قياسًا ، ورد نصبه قياسًا ، ولا يكون هناك التباس بين القياسين ؛ لأنّ الثاني يكون خاصًّا بصيغة (ما أفعله) التعجبية ويكون الأول فيما عدا هذه الصيغة فمنصوب (ما أفعله) هو فاعل في الحقيقة ، كما صرح بذلك النحاة ، فإذا كان إعرابه فاعلًا يُعدّ مخالفا للقاعدة النحوية من جهة اللفظ ، فإن إعرابه مفعولًا به يُعدّ مخالفًا للقاعدة النحوية من جهة المعنى ، والمعنى لا اللفظ هو الذي يُعدّ أساس الإعراب وكثيرًا ما أكّد النحاة هذه الحقيقة.

---

(١) فعلت وأفعلت للسجستاني ص٩٤، والمعجم الوسيط ١/١٥١.

(٢) شرح ابن عقيل ١/٥٣٥.

ويبدو أنّ لهذه المسالة نظائر في اللغة العربية ، فالمبتدأ مثلًا، من مرفوعات الأسماء ، إلّا أنّه ينصب إذا دخلت عليه (إنَّ) أو إحدى أخواتها ، وكذلك الخبر فهو من مرفوعات الأسماء، إلّا أنّه ينصب إذا وقع خبرًا لكان او إحدى أخواتها. والعرب اتبعوا هذا في لغتهم ، فقد جعلوا تغيير المعنى يتبعه تغيير في اللفظ ، ومن أوضح الأمثلة في هذا الباب ما يسمى أسلوب القطع في العربية ، فإذا أرادوا زيادة معنى الذم أو المدح أو الترحم في المعطوف أو الصفة أو الخبر ، قطعوه إلى حركة مغايرة للمتبوع ، نحو: مررتُ بزيد الكريمَ أو الكريمُ ، ومررتُ بزيد البخيلَ أو البخيلُ، ومررتُ بزيد المسكينَ او المسكينُ. ويسمون التابع هنا صفة مقطوعة(١). وهذا أسلوب معروف في العربية ، وله أمثلة في القران الكريم.

ومثل هذا فعلوا في أسلوب التعجب (ما أفعله) فقد نصبوا فيه ما هو فاعل في المعنى ؛ لأنّهم أرادوا المبالغة في مدحه أو ذمّه ، فلفظ الجلالة (الله) في قولنا: ما أعظمَ اللهَ ؛ فاعل ، لكنه نصب لمعنى التعجب ، ومن النحاة من أشار إلى هذا النوع من النصب ، فقد ذكر ابن كيسان (ت ٢٩٩هـ) أنّ منصوب (ما أفعله) منصوب بالتعجب(٢)، وجعل ابن شقير (ت ٣١٧هـ) نصب هذا الاسم في باب (النصب بالتعجب) (٣).

وقد مر أنّ النحاة أجازوا في (ما) في (ما أفعله) أن تكون تعجبية ، وهو اختيار جمهور النحاة ، أو استفهامية يراد بها التعجب وهو اختيار الفرّاء والكوفيين. وثمة فرق أساسي بين الوجهين ، فعند جعل (ما) تعجبية في نحو: ما أشجعَ زيدًا! يكون المعنى : أنّ زيدًا أشجعُ الناس، ونحن نعجب من عظم شجاعته ، أمّا عند جعلها في المثال نفسه استفهامية تعجبية ، فلا يكون

---

(١) شرح ابن عقيل ٢٥٥/١.

(٢) الموفقي في النحو، مجلة المورد، المجلد الرابع العدد الثاني ص١١٤.

(٣) المحلى – وجوه النصب ص٢٠.

المراد هذا المعنى بل من الجائز أن يكون أقلّ الناس شجاعة ، بل يكون المراد أن نعجب من خفاء السبب الذي جعله شجاعًا ، وقد عهدناه من قبل جبانًا ، فالذي أثار العجب في الوجه الأول عظم الصفة ، والذي أثاره في الوجه الثاني خفاء السبب المحدث للصفة ، والمراد من ذلك إنكاره وعدم الإقرار به ، ولهذا فإنّ تعريف النحاة للتعجب بأنّه يكون فيما خفي سببه ، حتى قالوا : ومن هنا قيل : إذا ظهر السبب بطل العجب ، لا ينطبق على (ما أفعله) بالمعنى الذي ذهب اليه سيبويه وجمهور النحاة بل ينطبق عليها بالمعنى الذي استحسنه الفراء ونُسبَ إلى الكوفيين ، وقد يرد هذا الوجه في غير هذه الصيغة كقوله تعالى: (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ)[الأعراف: ١٢] وقوله تعالى: (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) [ص: ٧٥] ففي هاتين الآيتين استفهام أفاد معنى الإنكار ، والمعنى: لِمَ لَمْ تسجد ولا شيء منعك من السجود؟! وكذلك قوله تعالى: (مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) [الانفطار: ٦] والمعنى: ما الذي دعاك إلى الاغترار به؟! ففي صلة (ما) في هذه الآيات ضمير مستتر يعود على (ما) وهو الفاعل الذي أريد إنكاره وهذا ما ذهب إليه أصحاب هذا الوجه فيكون قوله تعالى: (فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) معناه عندهم : ما الذي دعاهم إلى الصبر على موجبات النار؟! أي: لا شيء دعاهم إلى ذلك ، وكذلك قوله تعالى: (مَا أَكْفَرَهُ) معناه : أي شيء حمل الإنسان على الكفر، مع ما يرى من الآيات الدالّة على التوحيد؟! أي: لا شيء هناك يدعوه إلى الكفر فكلّ ما حوله يدل على وجود الله ووحدانيته[1].

---

(١) مشكل إعراب القرآن ٢/٨٠١-٨٠٢ والكشاف ٤/٧١٥ وتفسير القرآن العظيم ٤/٤٧١ والإتقان في علوم القرآن ٢/٢٨٨.

ففي معنى الاستفهام إنكار للفاعل ، من غير أن يكون هناك تعظيم للصفة، وليس في التعجب إنكار للفاعل ، بل فيه إثبات له وتعظيم لصفته فالله ، سبحانه، في هاتين الآيتين ما أراد ان نعجب من خفاء السبب الذي صبّر أهل النار ، وكفّر الإنسان بل أراد ، سبحانه، أن نعجب من عظم صبر أهل النار على النار ، ومن عظم كفر الإنسان بربه.

وقد ذهب البصريون إلى أنّ (أفعلَ) فعل ، ولهم في ذلك أدلتهم ، على حين ذهب الكوفيون إلى أنّه اسم ولهم في ذلك أدلتهم أيضًا ، ومنها أنّ (ما أفعله) يصاغ من (قام) و(باع) على وزن (ما أَقْوَمَهُ) و(ما أَبْيَعَهُ) لا على وزن (ما أقامه) و(ما أباعه) أي: يصاغ منهما على وزن اسم التفضيل لا على وزن الفعل المتعدي بالهمزة[١].

وذهب الدكتور مصطفى جواد إلى أنّ همزة (أفعل) منقطعة من اسم التفضيل (أفعل) [٢].

ويبدو أنّ ما استدل به الكوفيون صحيح من جهة أنّ (أفعل) صِيغَ من اسم التفضيل وليس صحيحا عدهم (أفعل) اسمًا ؛ إذ هو فعل أُريد أن يصاغ كما يصاغ اسم التفضيل ؛ ليؤدي بذلك معنى التعجب الذي فيه معنى التفضيل والتعظيم ، وقد أكّد أبو البركات بن الأنباري وجود مشابهة في هذا المعنى بين أسلوب التعجب (ما افعله) وأسلوب التفضيل ، فقال: ((ألا ترى أنّك لا تقول: ما أحسن زيدًا! إلاّ لمن بلغ غاية الحسن، كما لا تقول: زيد أحسن القوم إلّا لمن كان أفضلهم في الحسن)) [٣] أي: أنّ الصفة في (ما أفعله) أخذتْ تعظم ((حتى وصلت إلى حدٍّ فظيع يُتعجب منه)) [٤] وهذا هو

(١) أسرار العربية لأبي البركات بن الأنباري ص١١٥

(٢) فعلت وافعلت الحاشية كلام المحقق ص٦١.

(٣) أسرار العربية لابن الانباري ص١١٧.

(٤) معاني النحو ٤/٦٦٢.

المعنى المراد من هذه الصيغة في قوله تعالى: (فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) فهو تعجب بمعنى: يا لهم من صابرين شديدي الصبر، أي: عظم صبرهم وليس استفهامًا بمعنى: أي شيء جعلهم يصبرون؟ وكذلك قوله، تعالى (مَا أَكْفَرَهُ) هو بمعنى: يا له من كافر ، شديد الكفر ، أي عظم كفره ، وليس بمعنى، أي شيء جعله كافرًا؟!

الفصل الثالث : (ما) النكرة المضمّنة معنى الحرف

الظاهر أنّ (ما) الاستفهامية نشأت من تضمن (ما) الموصولة معنى الاستفهام ، وكذلك (ما) الشرطية نشأت من تضمن (ما) الموصولة معنى الشرط ، والذي يدلّ على ذلك أنّ أقسام (ما) الموصولة وأحكامها تناظر أقسام (مَن) الموصولة وأحكامها ، فهناك (ما) الموصولة و(من) الموصولة و(ما) الشرطية و(من) الشرطية ، و(ما) النكرة الموصوفة و(من) النكرة الموصوفة ، و(ما) الاستفهامية و(من) الاستفهامية ، وفي كلّ قسم من هذه الأقسام استعملت (ما) لغير العاقل و(من) للعاقل ، وتفردتْ (ما) عن (من) ببعض أقسامها مثل (ما) المصدرية ، والسبب في ذلك واضح وهو أنّ (ما) صلحت لمعنى المصدر؛ لأنّ المصدر يعامل معاملة غير العاقل ، فلم تصلح له (من) وقد صلحت له (الذي) لأنّها تستعمل للجنسين ؛ لذلك كثر احتمال (ما) لهذه المعاني وهذا هو حال أختها (مَن) ففي نحو : مّن يكرمني أكرمه تحتمل (من) : الشرطية والموصولية والموصوفية والاستفهامية(١).

المبحث الأول : (ما) الاستفهامية :

١-الاستفهامية المفردة :

صلحت كلٌّ من (ما) و(مَن) لمعنى الاستفهام ، لإبهامها وعمومها ، ولم تصلح له (الذي) لأنّه يراد بها معنى المعرفة ؛ لذلك عُرِّفت (ما) الاستفهامية بأنّها اسم مبهم(٢) مبنية لتضمنها معنى الحرف ، وهو همزة

---

(١) مغني اللبيب ٣٢٨/١.

(٢) وشذ القول الذي نسبه أبو حيان إلى المازني بأنّه أجاز أن تكون (ما) في الاستفهام نكرة أو معرفة – تذكرة النحاة ص٨٣.

الاستفهام ، وقد جيء بها لضرب من الاختصار ، وهي بمعنى: أيّ شيء[١]؟ ويعمل فيها ما بعدها من الأفعال ، وتقع في المواقع التي تقع فيها الأسماء[٢] بيد أنّ لها الصدارة في الكلام وتعرب حسب تقدير جوابها[٣].

والاستفهام في العربية وأساليبها نوعان : أحدهما حقيقي وهو الأصل ، وهو ((ما يكون سؤالًا عما لا نعلمه لنعلمه))[٤] وهذا الاستفهام يحتاج إلى جواب ، ولا يصحّ صدروه من الله سبحانه ، لعلمه بكل شيء ، وما ورد منه في القرآن الكريم كان إخبارًا من الله ، عز وجل ، على لسان أنبيائه وأقوامهم ، كقوله تعالى (مَاهِيَ) [البقرة: ٦٨-٧٠] وقوله تعالى: (مَا لَوْنُهَا) [البقرة: ٦٩] وهو سؤال بني إسرائيل لموسى، عليه السلام، عن شان البقرة. وقوله تعالى: (مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي)[البقرة: ١٣٣].

والآخر: ((ما يكون سؤالا عما نعلمه)) [٥] ويسمى استفهامًا مجازيًّا ، وهو معنى ثان خرج من المعنى الأصلي الحقيقي ، لغرض من الأغراض ، فلا يراد به الاستخبار عن شيء ، بل يرد لمعان أخرى يقصد إليها المتكلم ، كمعنى النهي في قوله تعالى: (فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا) [النازعات: ٤٣] أي: لا تذكرها على أحد التأويلات[٦] ومعنى الإنكار في قوله تعالى: (وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى)[طه: ٨٣] فهذا استفهام على وجه الإنكار لتقدمه[٧] ومن

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب ص ٧٢٧ وشرح المفصل لابن يعيش ٤/٥ والأمالي النحوية لابن الحاجب ٣/١٤٨-١٤٩ والإتقان في علوم القرآن ٢/٢٨٧.

(٢) دراسات لأسلوب القرآن – عضيمة – القسم الأول ٣/١٠٢-١٠٤.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٤/٤٠٢.

(٤) البرهان في وجوه البيان لابن وهب الكاتب ص١١٣.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٦) شرح الرضي ٣/٥٠.

(٧) الكشاف ٣/٨٠ والإتقان في علوم القرآن ٢/٣٥٢.

معانيه التوبيخ كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ)[الصف: ٢] وقد ذكر الأزهري (ت ٣٧٠هـ) أنّ الاستفهام باستعمال (ما) من الله على وجهين ، وهو للمؤمن تقرير وللكافر تقريع وتوبيخ[١] وذكر أبو حيان أنّ الاستفهام في هذه الآية يكون بمعنى الإنكار والتوبيخ إن كان الخطاب للمنافقين. ، وإن كان للمؤمنين فهو للتلطف في العتب[٢] وذكر الزركشي أنّ في الآية معنى النهي[٣].

ومن معانيه أيضًا الاستبعاد كقوله تعالى: (وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ) [المائدة : ٨٤] فهو استفهام أريد به استبعاد عدم إيمانهم مع قيام ما يوجب الإيمان وهو الطمع في إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين[٤].

والتعجب كقوله تعالى: (مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ)[النمل: ٢٠] [٥] والتعظيم والتعظيم كقوله تعالى: (الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ)[الحاقة: ١-٣]. والمراد تفخيم شان يوم القيامة، كما تقول: زيد ما هو؟ أو زيد ما زيد؟ على تأويل التعظيم بشأنه[٦]. ولم يقل: الحاقة ما هي؟ فوضع الظاهر موضع موضع المضمر ؛ لأنّه أهول لها[٧]. وفي هذا الاستفهام تجهيل لماهية (الحاقة) وهي يوم القيامة لدى السامع المخاطب والمراد من هذه الآية

---

(١) تهذيب اللغة ٦٢٧/١٥.

(٢) البحر المحيط ٢٦١/٨ وينظر دراسات لأسلوب القرآن، القسم الأول ٩٦/٣.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٣١٤/٢.

(٤) الكشاف ٦٧٠/١.

(٥) حاشية الصبان ١٧/٣.

(٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢١٣/٥ والصاحبي في فقه اللغة ص١٧١.

(٧) الكشاف ٥٩٨/٤ وشرح الرضي على الكافية ٥٠/٣ والبرهان في علوم القرآن ٣٣٨/٢ ومعترك الأقران في إعجاز القرآن ٤٤١/٢-٤٦٢، ٤٧٣.

والآيات التي على نحوها في القرآن الكريم ، التعظيم والتعجب[١] ويرد الاستفهام المجازي لمعان أخرى تفهم من السياق.

ومن الآيات التي اختلفت أقوال النحاة والمفسرين في إعرابها وتفسيرها، قوله تعالى: (وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ)[الأنعام: ١٠٩] فقد قرئت : إنّها وأنّها بالكسر والفتح[٢] فعند قراءتها بالكسر تكون (إنّها مستأنفة ، وقد تم الكلام عند (يشعركم) وعند قراءتها بالفتح تكون (أنّها) هي المفعول الثاني في محل نصب، والمعنى : وما يعلمكم عدم إيمانهم إذا جاءتهم الآية. فيكون تأخير الآية عذرًا لهم في ترك الإيمان ، وهذا لا يصحّ[٣] ومنهم من جعل (لا) زائدة ليصح المعنى، وردّه الزجاج بأنّها نافية في قراءة الكسر، فيجب ذلك في قراءة الفتح[٤]. وقد خطَّأ النحاس هذا القول بعد أن نسبه إلى الكسائي[٥]، ونسب إلى الخليل أنّه جعل (أنّها) بمعنى (لعلها)[٦] وهو وجه جيد كما قال الفرّاء[٧]. فكأنّه قال: وما يشعركم لعلها إذا جاءتهم لا يؤمنون ،

---

(١) مشكل إعراب القرآن ٧٥٣/٢.

(٢) قرأ بكسر (إنّها) ابن كثير وأبو عمرو وقرأ بالفتح نافع وعاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي: كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص٢٦٥.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات لمكي القيسي ٤٤٥/١ ومجمع البيان في تفسير القرآن ٣٤٨/٤ ومغني اللبيب ٢٥١/١ والبرهان في علوم القرآن ٨١/٣ وبصائر ذوي التمييز ٤٦٣/٤.

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٨٢/٢- ٢٨٣ ومغني اللبيب ٢٥١/١.

(٥) إعراب القرآن ٥٧٤/١ والبغداديات ٢٨٣/١-٢٨٤ والكشف عن وجوه القراءات لمكي ٤٤٥/١ والبيان في غريب إعراب القرآن ٣٣٥/١ والبرهان في علوم القرآن ٨١/٣.

(٦) الكتاب ١٢٣/٣ والنكت في تفسير كتاب سيبويه ٧٦٦/٢.

(٧) معاني القرآن ٣٤٩/١-٣٥٠.

فلا تنفع معهم عندئذ الآيات، وهو وجه ملائم للسياق[١] لذلك جعله الطبري أرجح التأويلات ، ويعضّده قراءة أبي بن كعب : ((لعلها إذا جاءت لا يؤمنون)) وقد سمع عن العرب قولهم: اذهب إلى السوق أنّك تشتري لنا شيئًا، يعني: لعلك تشتري ، وذكر عليه شواهد من أشعارهم[٢].

وبهذا التأويل تكون القراءتان بمعنى واحد ، وفي (يشعركم) فاعل مستتر يعود على (ما) و(كم) المفعول الأول والمفعول الثاني محذوف ، تقديره : (إيمانهم) والمعنى: ما يعلمكم إيمانهم؟ يعني: أنّهم لا يؤمنون إذا جاءتهم الآية.

ويكثر احتمال (ما) الاستفهامية لمعنى النفي ، فمن ذلك قوله تعالى: (فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)[البقرة: ٨٥] [٣]، وقوله تعالى: (ما نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا)[يوسف: ٦٥] [٤] وقوله تعالى: (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي)[الفرقان:٧٧] [٥] وقوله تعالى: (مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ) [الشعراء: ٢٠٧] [٦] وقوله تعالى: (فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ) [القمر:

---

(١) وجاز أيضا أن يقف على (يشعركم) القطع والائتلاف للنحّاس ص ٣١٨-٣١٩.

(٢) جامع البيان ٣٩/١٢-٤٣ والكشاف ٥٧/٢-٥٨ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٦٤/٢-١٦٥ وينظر كذلك المصادر الأُخَر التي أشرنا إليها في إعراب هذه الآية .

(٣) إعراب القرآن المنسوب خطأً إلى الزجّاج ٩١٩/٣ والكشف عن نكت المعاني والإعراب ٥٤/١ والتبيان في إعراب القرآن ٨٧/١.

(٤) معاني القرآن للفرّاء ٤٩/٢ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١١٨/٣. وإعراب القرآن للنحّاس ١٤٧/٢ ومشكل إعراب القرآن ٣٨٩/١ والتبيان في إعراب القرآن ٧٣٧/٢.

(٥) معترك الأقران في إعجاز القرآن ٣٦٧/٢.

(٦) البيان في غريب إعراب القرآن ٢١٧/٢.

٥] [١] وقوله تعالى: (مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ)[الحاقة: ٢٨] [٢] وقوله تعالى: (وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى)[الليل: ١١] وقوله تعالى: (مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) [اللهب: ٢] [٣].

واحتمال (ما) للنفي والاستفهام ، مردّه أنّها استفهامية ، في هذه الآيات في الحقيقة وهو الأصل ، ثم خرجت إلى معنى النفي مجازًا، فجواز إعرابها استفهامية كان مراعاة لحقيقتها وأصلها ، وجواز إعرابها نافية ، كان مراعاة للمعنى المجازي الذي خرجت إليه ، وأشار الدكتور أحمد بدوي إلى أنّ التعبير عن معنى النفي بأسلوب الاستفهام أبلغ ((من النفي ابتداء)) لأنّ الاستفهام يحمل السامع المخاطب على الإقرار بالنفي بعد روية وتفكير [٤].

ولا يكون هذا أبلغ في كل موضع وإلّا لما ورد أسلوب النفي في القران الكريم.

وتحذف ألف (ما) الاستفهامية في حالة الجرّ ، وهذا الحذف يكون في اللفظ والخط[٥] وورد قليلًا إثبات الألف في كلام العرب[٦] وقيل في علّة حذف الألف أقوال مختلفة ، أشهرها أنّها حذفت للتفريق بين الاستفهام والخبر [٧].

---

(١) معاني القرآن للفرّاء ١٠٥/٣ ومغني اللبيب ٣١٥/١.

(٢) إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ص٢٢٢.

(٣) مغنى اللبيب ٣١٥/١.

(٤) من بلاغة القرآن ص١٦٣.

(٥) الكتاب ١٦٤/٤-١٦٥ وأدب الكاتب لابن قتيبة ص١٩٤ وكتاب الواضح في العربية للزبيدي ص١٣٦ والأمالي الشجرية ٢٣٣/٢ والبيان في غريب إعراب القرآن ٢٦٦/١ وشرح عمدة الحافظ ص٢٨٤.

(٦) شرح شواهد المغني للسيوطي ص٧٠٩ وخزانة الأدب للبغدادي ٩٩/٦.

(٧) معاني القرآن للفرّاء ٢٩٢/٢ وإعراب القرآن للنحّاس ١٩٨/١-١٩٩ والتبيان في إعراب القرآن ٩٣/١ ومغني اللبيب ٢٩٩/١.

وقاعدة حذف الألف وإثباتها أُخذ بها في خط المصحف ، فحُذفت من (ما) الاستفهامية في حالة الجرّ، كالذي في قوله تعالى: (فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا) [النازعات: ٤٣] على حين أُثبتت إذا وردت (ما) خبرية ، كالذي في قوله تعالى: (لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [الأنفال: ٦٨-٦٩] [1].

وذكر الفرّاء أنّه كثر في الكلام مجيء ما الاستفهامية مع لام الجرّ المتصلة بالضمير، حتى توهموا أنّهما حرف واحد[2] كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ)[التوبة:٣٨]

وما ورد من (مال) مفصول حرف الجر فيها من المجرور كان في أربعة مواضع من القرآن الكريم ، وهي قوله تعالى: (فَمَالِ هَؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا) [النساء: ٧٨] وقوله تعالى: (وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا) [الكهف: ٤٩] وقوله تعالى: (مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ) [فرقان: ٧] وقوله تعالى: (فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ) [المعارج: ٣٦] [3].

ويعرب المنصوب (مُهطِعِينَ) في سورة المعارج حالًا، وكذلك ما يقع موقعه من الجمل ، كقوله تعالى (يَكَادُونَ) في سورة النساء ، وقوله تعالى: (لا يُغَادِرُ) في سورة الكهف وقوله تعالى: (يَأْكُلُ الطَّعَامَ) في سورة الفرقان[4]. الفرقان[4]. وتعرب (ما) الاستفهامية في هذه الآيات مبتدأ واللام ومجرورها

---

(١) مغني اللبيب ١/٢٩٨-٣٠٠.

(٢) معاني القرآن ١/٢٧٨.

(٣) الإقناع من كتب القراءات لابن الباذش ١/٥٢٦.

(٤) مشكل إعراب القرآن١/ ٢٣٥، ٢/٧١٦، ٧٥٩.

في محل رفع خبرها ، وجعل ابن شقير[١] (ما) الاستفهامية في هذا الأسلوب عاملة عمل كان واخواتها ، ونصب الاسم بعدها. على أنّه خبر لها ، وفيه من التكلف ما لا يخفى.

ويُسأل بـ(ما) الاستفهامية عمّا لا يعقل وأجناسه وأجناس العقلاء وأنواعهم وصفاتهم[٢]. فإذا قيل: ما عندك؟ جاز أن يكون الجواب: كتاب أو رجل، إذا قصد به جنس من الرجال ، ويسأل بها أيضًا عن صفات العقلاء، نحو: ما زيد؟ فيكون الجواب: جواد أو بخيل أو نحو ذلك[٣]. وتستعمل للعاقل أيضًا عندما يراد بها الاستفسار عن حقيقة ، نحو: الإنسان ما هو؟ فيقال مثلًا: إنّه حيوان ناطق[٤].

والأصل في (ما) أنّها تستعمل لغير العاقل ، ولكن وردت للعاقل في قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قالوا وما الرحمنُ)[الفرقان: ٦٠] قال الزجاج: ((ولم يكونوا يعرفون الرحمن من أسماء الله ، فقيل لهم إنّه من أسماء الله))[٥] وذكر الزمخشري أنّ (ما) استعملت للعاقل ؛ لأنّه كان سؤالًا عن مجهول[٦]. ونظيره قوله تعالى: (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ)[الشعراء: ٢٣] فقد عادت (ما) على العاقل ؛ لأنّ فرعون أراد أن يكون سؤاله بمعنى :

---

(١) المحلى، وجوه النصب، ص٣٠.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص٧٢٧ والإتقان في علوم القرآن ٢/٢٨٧.

(٣) المقتضب ١/٤١-٤٢، ٤٨، ٢/٥٢، ٣/٦٣، ٤/٢١٧ والبغداديات ص٢٦٤ ومفتاح العلوم للسكاكي ص٥٣٣ وقواعد المطارحة لابن أياز النحوي ٢١٥.

(٤) الحروف للفارابي ص١٦٦.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٧٣.

(٦) الكشاف ٣/٢٨٩ والبرهان في علوم القرآن ٤/٤٠٢-٤٠٣.

أي شيء رب العالمين؟ أو، أيّ أجناس الأعلام هو؟ ولو أراد ذاته سبحانه ، لقال: ومن رب العالمين[(١)]؟.

وقد جعل الفرّاء (ما) بمنزلة (مَن) [(٢)] في قوله تعالى: (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ)[التين:٧] وصرّح الأخفش بعودها على الإنسان[(٣)]. وردّ عليه النحاس وقال: ((والمعنى ها هنا أي شيء يحملك على التكذيب)) [(٤)] بعد ظهور البراهين والأدلة؟ وبهذا المعنى جعلها النحاة والمفسرون[(٥)]، فقد عادت (ما) هنا على الشيء لا على الإنسان ، ولا تستعمل (ما) الاستفهامية للعاقل إلّا إذا أريد بها معنى الشيء أو الجنس أو النوع ونحو ذلك من المعاني التي تعامل معاملة غير العاقل شأنها في ذلك شان (ما) الموصولة.

ب-الاستفهامية المركبة (ماذا) :

أجاز النحاة في إعراب (ماذا) الأوجه الآتية:

الأول: أن تكون (ماذا) اسم استفهام بمنزلة كلمة واحدة.

والثاني: أن تكون (ما) اسم استفهام مبتدأ و(ذا) خبر اسم موصول بمنزلة الذي.

والثالث: أن تكون (ما) اسم استفهام و(ذا) اسم إشارة.

والرابع: أن تكون (ماذا) جميعها بمعنى (الذي)

---

(١) الكشاف ٣/٣٠٧، الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل للزجاجي، لابن السيد البطليوسي ص٣٤٣، ومفتاح العلوم للسكاكي ص٥٣٣-٥٣٤.

(٢) معاني القرآن ٣/٢٧٧.

(٣) معاني القرآن ٢/٥٤٠ والأمالي الشجرية ٢/٢٣٤.

(٤) إعراب القرآن ٣/٧٣٦.

(٥) الكشاف ٤/٧٧٤ والتبيان في تفسير القرآن ١٠/٣٧٦-٣٧٧، ومعترك الأقران ٢/٢٨١، ٤١٣ والتبيان في إعراب القرآن ٢/١٢٩٤.

والخامس: أن تكون (ماذا) جميعها بمنزلة (شيء)[١].

ورجح نحاة ان تكون (ماذا) كلمة واحدة ، واستدلوا على ذلك بإثبات ألفها عند جرها[٢] ومن الدارسين المحدثين من ذهب هذا المذهب[٣]. ومنهم من ذهب إلى أنّها ليست باسم ، ولا علاقة لها بالاسمية ، فهي ليست إلّا عنصر استفهام[٤].

أمّا إعرابها في القرآن الكريم ، فقد أجاز النحاة والمفسرون أن تكون (ماذا) بمنزلة اسم واحد ، أو أن تكون (ما) اسم استفهام و(ذا) بمنزلة (الذي)[٥] وأجاز آخرون أن تكون جميعها بمنزلة (الذي) في قوله تعالى: (قُلِ انظُرُواْ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)[يونس: ١٠١][٦] وقوله تعالى: (هَذَا خَلْقُ خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ)[لقمان:١١] وقوله تعالى: (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا){لقمان: ٣٤} كأنّه قال: وما تدري نفس الشيء الذي تكسبه غدا[٧].

---

(١) الكتاب ٢/٤١٦-٤١٨ ومجالس ثعلب ٢/٤٦٢، ٥٢٦ والبغداديات ١/٤١٤ وارتشاف الضرب ١/٥٢٨-٥٢٩ ومغني اللبيب ١/٣٠١-٣٠٢ وشرح ابن عقيل ١/١٥٢.

(٢) شرح الرضي على الكافية ٤/٥١ والبسيط في شرح الكافية لركن الدين الأستراباذي ص٧٧٦.

(٣) في النحو العربي – نقد وتوجيه المخرومي ص٢٧١ ومعجم الأدوات النحوية – للتونجي ص١٤٣.

(٤) في التحليل اللغوي – خليل أحمد – ص١٣٢.

(٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/١٠٥، ٢٨٨، ٢/٣٦٤، ٣/٢٤ وإعراب القرآن للنحّاس ١/٤٨٣، ٢/٦٠١، ٧٥٦ والتبيان في إعراب القرآن ١/٤٧٠، ٢/٦٨٦.

(٦) التبيان في إعراب القرآن ٢/٦٨٦.

(٧) البحر المحيط ٧/١٨٥، ١٩٥، وينظر دراسات لأسلوب القرآن، القسم الأول ٣/١٠٢.

وذكر الإسكافي أنّ (ماذا) أبلغ من (ما) في الاستفهام ، وذلك عند وقوفه عند قوله تعالى: (مَاذَا تَعْبُدُونَ){الصافات: ٨٥} وقوله تعالى: (مَا تَعْبُدُونَ) في سورة الشعراء [٧١] فذكر أنّه استعمل (ماذا) في السورة الأولى لأنّه أراد معنى تبكيتهم وتوبيخهم ؛ لذلك لم يذكر جوابها في هذه السورة، بخلاف (ما) في سورة الشعراء(١). وبمثل هذا قال الكرماني(٢)

وفرق الدكتور فاضل السامرائي بين (ما) و(ماذا) فبيّن أنّ (ماذا) ((تفيد التنصيص على الاستفهام فيما يحتمل الاستفهام وغيره ، كقوله تعالى (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ) فإنّ (ذا) أفادت التنصيص على الاستفهام ، ولو حذفت لاحتمل المعنى الاستفهام والموصولية)) (٣) وقد مرّ أنّ النحاة أجازوا أن تكون (ماذا) جميعها بمنزلة (الذي) في كلام العرب ، وأجازوا هذا في القرآن الكريم وفي الآية التي استشهد بها الدكتور الفاضل نفسها ، فلا تفيد (ماذا) عندهم التنصيص على الاستفهام ، ومع ذلك فالذي يبدو أن (ماذا) لا يصح أن تكون إلّا استفهامية ؛ لأن الموصولة لا تحتاج إلى زيادة مبناها ، بخلاف معنى الاستفهام الذي يحتمل القوة والضعف وخروجه إلى المعاني المجازية ، كما أنّ (ذا) فيها معنى الإشارة والتنبيه ، وهو معنى يخدم غرض الاستفهام دون الموصولية ، فالغرض الأول من استعمال (ماذا) بدلًا من (ما) هو تقوية معنى الاستفهام ، ويبدو أنّها تستعمل لغرض آخر ، وهو رفع اللبس في كل موضع احتمل هذين المعنيين. فقد أُريد مثلًا معنى الاستفهام في قوله تعالى: (قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) [يونس: ١٠١] ولو أُريد الموصولية لقيل : قل انظروا ما في السموات ، وكذلك قوله تعالى: (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ)[الحشر: ١٨] فقد

---

(١) درّة التزيل ص٣٣٠- ٣٣١ وينظر معاني النحو للسامرائي ٤/٦٣٧.

(٢) أسرار التكرار ص١٥٥.

(٣) معاني النحو ٤/٦٣٧.

استعمل (ما) لأنّه اراد الموصولية، ولو أراد الاستفهام ، لقيل : لتنظر نفس ماذا قدمت لغدٍ.

وتستعمل (ماذا) مثل (ما) في الاستفهام الحقيقي ، كقوله تعالى (ويسألونك ماذا ينفقون)[البقرة: ٢١٩] وفي الاستفهام المجازي أيضًا ، فترد لمعان أخرى كمعنى الاستهزاء، في قوله تعالى (مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا) [البقرة: ٢٦][(١)] ومعنى التبكيت في قوله تعالى: (أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)[النمل: ٨٤] أي لم تعملوا غير التكذيب بآيات الله[(٢)] ومعنى النفي في قوله تعالى: (أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ)[فاطر: ٤٠] أي : لم يخلقوا شيئًا[(٣)]

وذكر سيبويه أنّه عند جعل (ماذا) بمنزلة اسم واحد يكون الوجه في جوابها النصب ؛ لأن (ماذا) منصوبة وعند جعل (ذا) بمنزلة (الذي) يكون الوجه في جوابها الرفع ؛ لأنّ (ما) مرفوعة على الابتداء وبناءً على ذلك فقد جعلوا (ماذا) بمنزلة (مالذي) في قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)[النحل: ٢٤] لأنّ جوابها وهو (أساطيرُ) مرفوع ، وجعلوها بمنزلة اسم واحد في قوله تعالى: (وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا){النحل: ٣٠} لأنّ جوابها وهو (خيرًا) منصوب[(٤)].

وفي قوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ) {البقرة: ٢١٩} قرأ أبو عمرو (العفو) بالرفع وقرأ الباقون بالنصب[(٥)] وتبعًا لهذا الاختلاف في القراءة وجّه النحاة إعراب (ماذا) فأجازوا أن تكون بمنزلة اسم واحد مع نصب

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي تفسيره ٣٦/١.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٨٦.

(٣) الأمالي الشجرية ١/ ٢٦٥

(٤) الكتاب ٤١٦/٢-٤١٨ وإعراب القران للنحاس ٢٠٨/٢، ٦٠١ والبغداديات ص٣٧٢.

(٥) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص١٨٢.

الجواب (العفوَ) والتقدير: يسالونك ما ينفقون؟ قل ينفقون العفوَ ، وأجازوا أن تكون بمنزلة (ما الذي) مع رفع الجواب ، والتقدير: يسألونك ما الذي ينفقونه؟ قل الذي ينفقونه العفوُ[١].

وأجاز الأخفش[٢] والزجاج[٣] أن تكون (ماذا) بمنزلة اسم واحد أو بمنزلة (ما الذي) سواء أكان جوابها مرفوعًا أم منصوبًا.

وذكر الزمخشري أنّ الوجه الأول وهو مذهب سيبويه ، أفضل ليطابق الجواب السؤال[٤] والأولى جعل المعنى هو الأساس لا التقدير في توجيه النصب والرفع ، فالجواب يرفع عندما يراد به معنى الثبات والاستمرار ، وينصب عندما يراد به معنى التجدد والحدوث، وقد وجّه الكرماني الرفع في قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) بان السائلين لم يكونوا سائلين على وجه الحقيقة يريدون الجواب ، بل أرادوا من سؤالهم الاستهزاء والإنكار فلأنّهم أنكروا إنزال القرآن ، عدلوا عن الجواب، فقالوا : أساطيرُ الأولين. فكان رفع الجواب من كلام الكافرين ، وورد منصوبًا في قوله تعالى: (وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا) لأنّه جواب لسائلين ، كانوا يقرون بالوحي والإنزال فكان نصب الجواب مطابقًا للحال لأنّه من كلام المتقين

---

(١) معاني القران للفراء ١٣٩/١والبيان في غريب إعراب القران ١٥٣/١ وشرح جمل الزجاجي لابن عصفور ٤٧٨/٢-٤٧٩ والبسيط في شرح الكافية ص٧٧٦.

(٢) معاني القران ٥٣/١-٥٤، ١٧٢.

(٣) معاني القران واعرابه ٢٩٣/١.

(٤) الكشاف ١١٧/١.

المبحث الثاني : (ما) الشرطية :

١-الشرطية المفردة :

تستعمل (ما) الشرطية لغير الآدميين ، نحو: ما تصنعْ أصنعْ ؛ فإن قلتَ: ما يأتني آته ، تريد بذلك الناس ، لم يصلح ، ذلك أنّ هذه الأداة وضعت للدلالة على ما لا يعقل ، ثم ضمنت معنى الشرط لإبهامها ، ولها الصدارة في الكلام ، ويعمل فيها ما بعدها من الأفعال[١].

واختُلِفَ في عامل الجزم في شرطها وجوابها[٢]، ولا يعنينا هذا الاختلاف ؛ لأنّه يتعلق بنظرية العامل والمعمول التي كثيرًا ما احتدم الجدل حولها في كتب النحو. ونكتفي بالقول هنا بأنّ شرط (ما) وجوابها يقعان مجزومين، سواء أكان الجازم لهما (ما) أم غيرها.

وثَمّ فرق بين (ما) الشرطية ، و(ما) الموصولة ، فالأولى تجزم فعلين، فهي عاملة جازمة ، وليست كذلك الثانية ؛ لذلك لا تلتبس الشرطية بالموصولة ، إذا ظهرت علامة الجزم في شرطها وجوابها، أو في أحدهما. فمن الأولى قوله تعالى: (وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ)[البقرة: ١٩٧] ومن الثانية قوله تعالى: (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا) [فاطر: ٢] إلّا أن الالتباس يحدث بينهما عندما تكون علامة الإعراب غير ظاهرة ، ففي قوله تعالى (مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ)[النساء: ٧٩] قال الزجاج ((هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يراد به الخلق ومخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون للناس جميعًا ؛ لأنّه عليه الصلاة والسلام لسانهم والدليل على ذلك (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ

---

(١) المقتضب ٥٢/٢ وكتاب الواضح للزبيدي ص١٣٥ وشرح المفصل لابن يعيش ٥/٤، وشرح شذور الذهب ص٣٣٤ والبرهان في علوم القرآن ٤٠٢/٤.

(٢) البغداديات ص٢٧٠ وشرح الرضي على الكافية ٩١/٤-٩٢.

النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ)[الطلاق: ١] فنادى النبي صلى الله عليه وسلم وحده وصار الخطاب شاملًا له ولسائر الناس فمعنى (مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ) أي: ما أصابك من غنيمة أو أتاكم من خصب فمن تفضل الله (وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ) أي: من جدب أو غلبة في حرب فمن نفسك)) [١] وهذا هو الوجه في دلالة (ما) هنا وفي كلّ موضع تفيد العموم سواء أعربت موصولة أم شرطية. وذهب النحاس[٢] ومكّي[٣] وأبو البركات بن الأنباري[٤] إلى أنّها موصولة بمنزلة (الذي) لأنّها نزلت في شيء بعينه ، وذهب العكبري إلى أنّه لا يحسن ان تكون موصولة ؛ لأنّ ذلك يقتضي أن يكون المصيب له ماضيًا مخصّصًا، والمعنى على العموم ، والمراد كلّ ما أصابك ويصيبك فهو من الله[٥].

وكذلك أجازوا الوجهين في قوله تعالى: (وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ) [النحل: ٥٣] فقد أجاز الفرّاء أن تكون (ما) شرطية ، وفعل الشرط مضمر، والتقدير: ما يكن بكم من نعمة فمن الله. وأجاز ان تكون موصولة، وقد ارتبط خبرها بالفاء ، كما قال تعالى: (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ)

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢/٧٩-٨٠. وتعرب (ما) عند جعلها موصولة في محل رفع على الابتداء وكذلك عند جعلها شرطية ؛ لأنّ الفعل (أصابك) متعدٍّ استوفى مفعوله.

(٢) إعراب القرآن ١/٤٣٦-٤٣٧.

(٣) مشكل إعراب القرآن ١/٢٠٤.

(٤) البيان في غريب إعراب القرآن ١/٢٦١.

(٥) التبيان في إعراب القرآن ١/٣٧٤-٣٧٥.

[الجمعة: ٨] [١] ورجّح آخرون الموصولية بعد أن أشاروا إلى جواز الوجهين[٢].

أمّا قوله تعالى: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ)[الشورى: ٣٠] فقد قرأ نافع وابن عامر بغير فاء ، وكذلك هي في مصاحف المدينة وأهل الشام ، وقرأ الباقون (فبما) [٣] وذكر الزجّاج أنّها في مصاحف أهل العراق بالفاء ، وأنّه في العربية أجود[٤]. وذهب النحاس إلى أنّ (ما) في هذه الآية شرطية ، وذكر أنّ هذا هو أولى الأقوال بالصواب واستبعد ان تكون بمنزلة (الذي) ؛ لأنّه به يقع المعنى مخصوصًا بالماضي، مع أنّ المراد عموم الزمن[٥]. وبمثل هذا قال مكّي[٦] وأبو البركات بن الأنباري[٧] والعكبري[٨]. وقطع الزمخشري بالشرطية بذكر الفاء ، والموصولية والموصولية بحذفها[٩]. وقد احتج السهيلي[١٠] وابن قيّم الجوزية[١١]، بكون (ما) شرطية في قوله تعالى (وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ) [الكافرون: ٤] بدلالتها على العموم، فلو دلت على شيء بعينه لكانت موصولة.

---

(١) معاني القرآن ١/١٠٤-١٠٥.

(٢) الأمالي الشجرية ٢/٢٣٦ والتبيان في إعراب القرآن ٢/٧٩٨ ومغني اللبيب ١/٣٠٢، و (ما) في الوجهين في محل رفع على الابتداء.

(٣) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص٥٨١.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/٣٩٩.

(٥) إعراب القرآن ٣/٦١-٦٢.

(٦) مشكل إعراب القرآن ٢/٦٤٦.

(٧) البيان في غريب إعراب القرآن ٢/٣٤٩.

(٨) التبيان في إعراب القرآن ٢/١١٣٣.

(٩) الكشاف ٤/٢٢٥.

(١٠) الروض الأنف ٣/٣٢٥-٣٢٦.

(١١) التفسير القيّم ص٥٢٧.

فقد فرق النحاة والمفسرون بين (ما) الشرطية و(ما) الموصولة في الشواهد القرآنية التي مر ذكرها في أمرين:

أحدهما: أنّ (ما) الموصولة تدلّ على شيء بعينه ، بخلاف (ما) الشرطية الدالّة على معنى العموم ، وقد تبيّن في الفصل الأول أنّ (ما) الموصولة اسم مبهم. وقد صرح النحاة بأنّها لإبهامها، صلحت دون (الذي) لمعنى الشرط ، فكلتاهما تدلّ على العموم ، ولا تدلّ على شيء بعينه في كلّ موضع، فلا فرق بينهما في هذا الباب.

والآخر: أنّ الفعل الماضي مع (ما) الشرطية يدل على الاستقبال ، ومع الموصولة يكون على ظاهره ، أي: دالًّا على الزمن الماضي.

وخروج الفعل الماضي إلى معنى المستقبل ، غير مقتصر على الشرط ، بل هو أمر عام في العربية ، وقد حدث مثل هذا مع (ما) الموصولة، كالذي في قوله تعالى: (وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)[الأنعام: ١٣] والمراد كما هو ظاهر من اللفظ : الساكن في الليل والنهار. ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا ، وقوله تعالى (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ والأُنْثَى)[الليل: ٣] وهذا الخلق لم يكن فيما مضى من الزمن فانقطع ، بل هو قائم ومستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، كما قال تعالى (إنّه هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ)[البروج: ١٣] وقد ورد الشرط والصلة ماضيين، واتحدت دلالة زمانيهما ؛ لوقوعهما في سياق واحد، كما في قوله تعالى: (إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ) [النساء: ١٧٦] ويلحظ من الناحية الأسلوبية أنّ سياق هذه الآية اقتضى أن تكون دلالة الفعل (ترك) الزمانية الذي هو صلة (ما) الموصولة هي دلالة الفعل (هلك) الزمانية نفسها الذي وقع شرطًا فإذا صُرِف أحدهما إلى معنى الاستقبال وجب صرف الثاني إليه وقد ذكر ابن قيّم الجوزية أنّ المشهور عند النحاة ((أنّ الشرط والجزاء لا يتعلقان إلّا بالمستقبل ، فان كان ماضي اللفظ كان مستقبل المعنى)) وردّ

على النحاة بقول الله تعالى : (إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ) [المائدة: ١١٦] وأكّد أنّ الشرط هنا ((دخل على ماضي اللفظ وهو ماضي المعنى قطعًا)) واستبعد تأويلات النحاة في تخريج هذه الآية ووصفها بأنّها ضعيفة جدًّا وبيّن أنّ فيها تحريفًا للآية، لا يقول بها عاقل وأنّه ((لا يجوز تحريف كلام الله انتصارًا لقاعدة نحوية)) وذكر أنّ من هذا الباب قوله تعالى: (إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ)[يوسف: ٢٦-٢٧] وقول النبي صلى الله عليه وسلم (إن كنتِ ألممتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه)) [١] وكذلك احتج الدكتور فاضل السامرائي في هذا الباب بآيات منها قوله تعالى: (حتى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيل)[يونس: ٩٠] وقوله تعالى: (حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا)[الكهف: ٧١] وقوله تعالى: (قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا)[الاحقاف: ٨] وقوله تعالى: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا)[الجمعة: ١١]. ومما يدل على المضي مع (ما) الشرطية قوله تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ)[آل عمران: ١٦٦] وقوله تعالى: (قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ)[سبا: ٤٧]، وقوله تعالى: (مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ) [الحشر: ٥] [٢].

والذي يبدو أنّ الفرق الأساسي بين (ما) الموصولة و(ما) الشرطية ، ان الأولى تكون في أسلوب خبري ، والثانية تكون ، كما هو ظاهر من التسمية ، في أسلوب شرطي، والأسلوب الخبري هو الأصل ، وكان العرب إذا أرادوا تقوية ربط الخبر بالمبتدأ ، جعلوا العلاقة بينهما شرطية ، وتوصلوا لتقوية هذا الربط ، وتحقيق هذه العلاقة بجزم الفعل أو بالربط بالفاء ، والدليل

---

(١) بدائع الفوائد ١/٤٥-٤٦.

(٢) فعل الشرط، دلالته وزمنه. بحث للدكتور فاضل السامرائي. منشور في مجلة الضاد- ص١٠٨-١١٢.

على ذلك أنّ النحاة يجمعون على أنّ (الذي) وفروعها تكون في الكلام اسمًا موصولًا ولا تكون اسم شرط ، لكن قد ورد ربط خبرها بالفاء كقوله تعالى: (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ)[الجمعة:٨] ونحو: الذي يأتيني فله درهمان. وقد فسروا ذلك بتضمن (الذي) معنى الشرط[١].

فالجزم أو الربط بالفاء ، يكون كل منهما علامة على أن المراد من (ما) معنى الشرط لا معنى الموصولية[٢]. وبدون هاتين العلامتين يرجح أحد الوجهين من سياق الآية، كما في قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ) [آل عمران: ٨١].

فقد قرئت لام (لما) في (لما آتَيْتُكُم) بالكسر والفتح[٣] فمن قرأ بالكسر جعل (ما) موصولة، ومن قرأ بالفتح أجاز في (ما) أن تكون موصولة أو شرطية، وعند جعلها موصولة تكون مرفوعة على الابتداء وتحتاج إلى أن يعود عليها الضمير من صلتها والتقدير: لما آتيتكموه، وقوله (ثم جاءكم رسول) معطوف على الصلة (آتيتكم) والعائد منه محذوف، وتقديره ثم جاءكم رسول به، أي: بتصديقه، بتصديق ما آتيتكم. واشترط تقدير هذا الضمير في الجملة المعطوفة على الصلة ؛ لأنها بمنزلة الصلة ، غير أنّ كثيرًا من النحاة لا يجيزون هذا الحذف ؛ لذلك اختار أكثر المحققين ان تكون (ما) شرطية ؛ لأنّها لا يشترط فيها عود الضمير عليها وتعرب عندئذ في موضع

---

(١) الكتاب ٣/١٠٢.

(٢) مغني اللبيب ١/٣٠٣.

(٣) معاني القرآن للفرّاء ١/ ٢٢٥ وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد، ص٢١٣.

نصب[1] ويرجُح هذا الوجه كون الآية واردة في سياق أخذ العهود والمواثيق، وهو سياق يلائمه معنى الشرط ؛ لأنّه أقوى من معنى الموصولية.

ومن النحاة من ذكر أنّ (ما) الشرطية إذا دخلت على فعل لازم ، كانت شرطية ظرفية ، نحو: ما تقمْ أقمْ ، وما تقعدْ أقعدْ ، أي : إذا قعدتَ قعدتُ مدة قعودك، وكذلك الحال ، إذا قمت وجعل من ذلك قوله تعالى: (فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)[التوبة: ٧] أي : استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم[2].

وجاز في (ما) في قوله تعالى: (فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) [النساء: ٢٤] أن تكون شرطية زمانية أو موصولة[3].

والظاهر أنّ (ما) في هذه الآية شرطية عائدة على جنس النساء ، والهاء في (به) عائد على معنى الجنس الذي يعامل معاملة المفرد المذكر غير العاقل ، والضمير (هنّ) في (فآتوهنّ) و(أجورهنّ) عائد على أعيان النساء وأشخاصهنّ لذلك أنّث وجمع. والمعنى: فأيّ جنس كان استمتعتم به من النساء فآتوهن أجورهنّ.

ب-الشرطية المركبة

---

(١) معاني القرآن للأخفش ٢٠٩/١ وجامع البيان ٥٥٣/٦ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٣٦/١-٤٣٧ والحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص١١٢ وسرّ صناعة الإعراب ٣٩٩/١ ومشكل إعراب القرآن ١٦٥/١-١٦٦ والبيان في غريب إعراب القرآن ٢٠٩/١-٢١٠ جاز عند فتح اللام إعراب (ما) موصولة في محل رفع مبتدأ والخبر (من كتاب وحكمة) و (من) زائدة ، أو الخبر (لتؤمننّ) واللام لام الابتداء وجاز إعرابها شرطية في محل نصب مفعولًا به ثانيًا؛ لأنّ الفعل (آتيتكم) متعدٍّ إلى مفعولين لم يستوف مفعوله الثاني واللام للتوكيد.

(٢) نظم الفرائد وحصر الشرائد لابن المهبلي ص٢٥٥.

(٣) وهذا رأي نسبه ابن هشام إلى عدد من النحاة، مغني اللبيب ٣٠٢/١.

ذكر الخليل أنّ (مهما) مركبة من عنصرين: (ما) الشرطية و(ما) الزائدة ، وذكر أنّ العرب ((استقبحوا أن يكرروا لفظًا واحدًا فيقولوا : ماما فأبدلوا الهاء من الألف التي في الأولى)) وأجاز أن ((تكون مركبة من (مه) ضم إليها (ما)))[١] وأشار الزجاج إلى هذين الوجهين ، وذكر في الوجه الثاني أنّه يجوز أن تكون (مهما) مركبة من (مه) بمعنى اكفف و(ما) الشرطية[٢] ((وحكى ابن الأنباري: مَهْمَن يُكْرِمني أكْرِمهُ ، وقال : الأصل : مَنْ مَنْ يُكْرِمني ، (من) الثانية تأكيد بمنزلة (ما) فأبدل من نون (من) الأولى هاء ، كما أبدلوا من ألف (ما) الأولى هاء في (مهما) وذلك لمؤاخاة (ما) (مَن) في أشياء وإن افترقا في شيء واحد فكره اجتماع (من) مرتين كما كره ذلك في (ما))) [٣].

فهذان وجهان في ماهيتها وتركيبها. وهناك وجه ثالث، هو أن تكون (مهما) اسمًا مفردًا غير مركب ، ومعناه العموم ؛ لأنّ الأصل عدم التركيب[٤] وذهب فريق من النحاة إلى أنّها كلمة غير مركبة على وزن (فعلى) فحقها على هذا أن تكتب بالياء[٥] أي : الألف المقصورة لا الطويلة ، وقيل: إنّها حرف ، ومنهم من ذكر أنّها وردت بمعنى الظرف في كلام العرب ، أو بمعنى الاستفهام[٦].

---

(١) الكتاب ٥٩/٣-٦٠ والأمالي الشجرية ٢٤٦/٢-٢٤٧.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٦٩/٢ والبغداديات ص٣١٣. والكشاف ١٤٦/٢ والبيان في غريب إعراب القرآن ٣٧١/١ وشرح المفصل لابن يعيش ٨/٤ وشرح الرضي على الكافية ٨٧/٤-٨٨ وارتشاف الضرب ٥٤٧/٢-٥٤٨.

(٣) مشكل إعراب القرآن ٢٩٩/١، وابن الانباري: هو أبو بكر بن الأنباري (ت ٣٢٨هـ).

(٤) شرح الرضي على الكافية ٨٩/٤.

(٥) شرح الرضي على الكافية ٨٧/٤-٨٨ وشرح المفصّل لابن يعيش ٤٢/٧.

(٦) الجنى الداني ص٥٥٠-٥٥٢ ومغني اللبيب ٣٣٠/١-٣٣٢.

وعند البحث في الفرق بين (مهما) و(ما) ، نجد (مهما) خالصة لمعنى الجزاء[1]، ولا يدخل عليها حرف جر ، ولا يضاف إليها ، فلا يقال : على مهما تكن أكن ، ولا جهة مهما تقصد اقصد ، ولا تزاد بعدها (ما) ، فلا نقول: مهما ما يفعل أفعل[2].

ووردت (مهما) في القران الكريم في موضع واحد، وهو قوله تعالى: (وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ) [الأعراف: ١٣٢].

ويبدو أنّ (مهما) هنا مثل (ما) في أنّها أداة شرط ، إلّا أنّه زيد في مبناها لتقوية معنى الشرط فيها وتوكيده ، وهذا واضح من سياق الآية ، فقد استعملت تعبيرًا عن شدة إصرار فرعون وحاشيته على عدم الإيمان بما جاء به موسى ، عليه السلام، من آيات بينات ، حتى إنّهم لم يتركوا لأنفسهم عذرًا لإمهالهم ، لذلك ورد بعدها قوله تعالى : (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ) [الأعراف: ١٣٣].

الباب الثاني : (ما) الحرفية :

الفصل الأول : (ما) المصدريـة :

المبحث الأول : (ما) المصدرية والموصولات الحرفية :

عُدَّت (ما) من الحروف المصدرية ، وعُرِّف الحرف المصدري بأنّه الذي يُؤول مع ما يليه من الفعل بمصدر ، نحو: سرني ما صنعت ، أي:

---

(١) التبيان في تفسير القرآن ٥١٩/٤ وشرح الرضي على الكافية ٨٨/٤-٨٩.

(٢) ارتشاف الضرب ٥٤٨/٢ وكشف المشكل في النحو للحيدرة اليمني ٦٠١/١.

سرني صنعك[١] وسرني ما قمتَ ، أي: سرني قيامك ، وعجبت مما قعدتَ، أي: من قعودك[٢].

ومن الحروف المصدرية (أن) ويفرّق النحاة بينها وبين (ما) بأنّ الأولى تكون للمضي أو الاستقبال، والثانية تكون للحال[٣] وذكر ابن قيّم الجوزية أنّه يحسن أن تقول : يعجبني قيامك وجلوسك وذهابك ، ولا يحسن أن تقول : يعجبني ما تقوم وما تجلس وما تذهب ، أو أنّه ليس مثله في الحسن والجواز . ونَسب إلى السهيلي ، أنّ السرّ في ذلك ، هو أنّ (ما) لا يصحّ وقوعها إلّا على مصدر تختلف أنواعه ((كقولك : يعجبني ما صنعتَ وما عملتَ وما حكمتَ ؛ لاختلاف الصنعة والعمل والحكم)) لذلك لا يقال : يعجبني ما جلستَ وما قعدتَ وما قمتَ وما نطق زيد ؛ لأنها وقعت على ما لا يتنوع من المعاني ، وذهب ابن القيّم إلى أنّه يصحّ وقوع (ما) على القبيلين[٤] والصحيح ما ذهب إليه السهيلي ، وهذا هو السرّ فيما يبدو في لزوم إعراب (ما) موصولة وامتناع إعرابها مصدرية إذا وقع بعدها أداة من أدوات النفي كما تبين هذا في المبحث الثالث من الفصل الأول ذلك أنّ الجملة المنفية تمثل حالة العدم ، والعدم أمره واحد جميعه ، فليس هو مما يتنوع ليصحّ وصفه او تخصيصه.

---

(١) الكتاب ٣٢٩/٢، ١٥٣/٣، ١٥٦، ٢٢٨/٤، والمقتضب ٤٨/١ وشرح الرضي على الكافية ٦/٣.

(٢) المقتضب ١٩٧/٣، واللمع لابن جنى ص٢٦٨ والمختصر في النحو للجواليقي ص١٦٩.

(٣) سر صناعة الإعراب ٥٤٩/٢.

(٤) بدائع الفوائد ١٤٢/١-١٤٣.

وأشارت دراسات حديثه إلى أنّ وظيفة الحروف المصدرية عامّة ، هو إيقاع الجملة موقع المفرد[1]. والحقيقة أنّ هذه الوظيفة وظيفة (أن) دون (ما) ، فالمفرد يقع فاعلًا ومفعولًا ومبتدأ وخبرًا ونائب فاعل ومضافًا إليه ومجرورًا، من دون وساطة أداة ، أمّا الجملة فإنّ تسليط أحد هذه المعاني عليها ، لا يكون إلّا باستعمال (أن) فإذا أريد مثلًا جعل الفعل (أكتب) مفعولًا به، قيل : أردتُ أن أكتبَ ، وإذا أريد جعل الفعل (تنجح) فاعلًا ، قيل : سرني أن تنجح ، فقد استعملت (أن) مهيئة لإيقاع معاني الفاعلية والمفعولية والإضافة وغيرها من المعاني المذكورة على الجملة ، وليس لها معنى، ولم تستعمل إلّا لهذا الغرض اللفظي ، أمّا (لو) المصدرية ، فقد استعملت لمعنى التمني ، و (كي) المصدرية لمعنى التعليل ، إلّا أنّهما تؤديان الوظيفة التي اختصت بها (أن) أي: أنّهما تجمعان إلى غرضهما المعنوي غرض التهيئة.

وإذا قيل: أنّ الجملة الفعلية قد تقع مفعولًا به من دون (أن) نحو: ظننتُ زيدًا يكتب ، فالجواب عن ذلك أنّ جملة (يكتب) وإن أُعربتُ هنا في محل نصب مفعولًا به إلّا أنّها في المعنى ليست كذلك ؛ لأن حدوث الظن وقع على زيد وليس على (يكتب) التي هي في المعنى وصف لزيد ، وإذا قيل أيضًا : إنّ الجملة قد تقع خبرًا من غير (أن) نحو: زيد يكتبُ ، فالجواب عن ذلك أنّ الفعل (يكتب) لم يقع خبرًا الخبر الذي هو نفس المبتدأ في المعنى ، فالعلاقة بينهما في التركيب علاقة مبتدأ وخبر، ولكنها في المعنى علاقة فعل وفاعل إلّا أنّ الفاعل تقدم على فعله ، فلو أريد جعل (يكتب) خبرًا كالخبر في قولنا: زيد أخوك، لوجب استعمال (أن) وان يقال: زيد أن يكتبَ ، ولا يصحّ هذا التركيب لعدم صحة معناه ، ويجب استعمال (أن) عند إرادة هذا

---

(١) في النحو العربي – قواعد وتطبيق للدكتور مهدي المخزومي ص٤٤ ومعاني النحو للدكتور فاضل السامرائي ٣/١٤٧-١٤٨.

المعنى بعد صحّة وقوعه ، نحو الشجاعة أن نقول الحق ، فاستعملت (أن) لأنّ المراد جعل جملة (تقول) خبرًا كالخبر في المثال المذكور: زيد أخوك.

أمّا (ما) المصدرية فإن القصد من استعمالها يختلف عن(أن) المصدرية ، فقد تبيّن في الفصل الأول من كلام النحاة أنّ (ما) اجتلبت في الكلام لتكون وصلة لوصف ما هو مبهم عام بصلتها ويتحدد نوع (ما) من تحديد نوع هذا الموصوف، ففي قولنا مثلًا: أعجبني ما صنع زيد، تُعدّ (ما) موصولة إذا قصد بالموصوف الشيء المصنوع ، والمعنى: أعجبني الشيء الذي صنعه زيد ، وتُعدّ مصدرية إذا قصد بالموصوف الصنع ، أي: المصدر ، ويكون المعنى : أعجبني الصنع الذي صنع زيد ، وقد يعتمد هذا التقدير لتفسير معناها ، فقد جعل الفرّاء قوله تعالى: (قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ)[الصافات: ١٠٢] بتقدير: افعل الأمر الذي تؤمر [١] وكذلك قدّره الطبري[٢]. وجعل قوله تعالى: (أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ)[الانعام: ٣١] بتقدير: ساء الوزر الذي يزرون [٣]وقوله تعالى: (سَاء مَا يَحْكُمُونَ)[الأنعام: ١٣٦] [العنكبوت: ٤] بتقدير: ساء حكمهم الذي يحكمون [٤] لذلك كان الأخفش يصرّح أحيانًا بأنّ (ما) المصدرية اسم ، فقد قال مثلًا في إعراب قوله تعالى: (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ)[التوبة: ١٨٢] ((جعل (ما) اسمًا و(عنتم) من صلته)) [٥] ونَسب المبرد[٦] وكثير من النحاة[١] إلى الأخفش أنّه جعل قوله تعالى:

---

(١) معاني القرآن ٩٤/٢.

(٢) جامع البيان ٦٩/١٤.

(٣) المصدر نفسه ٣٢٨/١١.

(٤) المصدر نفسه ١٣٠/٢٠.

(٥) معاني القرآن ٣٣٩/٢.

(٦) المقتضب ٢٠٠/٣.

(وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ)[آل عمران: ١١٨] بتقدير : ودّوا العنت الذي عنتموه ، وقوله تعالى: (وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ)[التوبة: ٢٥] وقوله تعالى: (حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ)[التوبة: ١١٨] بتقدير: بالرحب الذي رحبته ، وجعل نحو: أعجبني ما صنع زيد ، بتقدير: اعجبني الصنع الذي صنعه زيد.

وتبنّى ابن السراج مذهب الأخفش ، وصرّح بأنّ (ما) المصدرية اسم ، فجعلها بمنزلة (الذي) نحو: فعلتُ ما فعل زيد ، والمعنى: فعلت الفعل الذي فعل زيد[٢] وكذلك عدّها الطوسي[٣] وذهب السهيلي أيضًا إلى أنّ اسمية (ما) المصدرية ترجع إلى أنّها بمنزلة الاسم الموصول (الذي) ومعناها ، فأجاز جعل (ما) موصولة أو مصدرية في قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) [الحجر: ٩٤] وجعل الآية في الوجه الأول بتقدير: فاصدع بالذي تؤمر به ، وجعلها في الوجه الثاني بتقدير : فاصدع بالأمر الذي تؤمره[٤] وعلى هذا الأساس فرّق ابن القيّم بين (ما) و(أن) المصدريتين مبيّنًا أنّك ((إذا قلتَ: أريد أن تقوم ، كان مستقيمًا ، ولو قلت أريد ما تقوم ، لم يستقم ، وكذلك أحبّ ان تأتيني ، لا تقول: موضعه : أحب ما تأتيني ، وسرّ المسألة أنّ (ما) المصدرية ملحوظ فيها معنى (الذي))) [٥].

---

(١) البغداديات ص٢٧١، والأمالي الشجرية ٢/ ٢٤٠، وشرح جمل الزجّاجي ٢/٤٥٧، وشرح المفصّل ٨/ ١٤٢ وتسهيل الفوائد ص٣٨ وشرح الرضي على الكافية ٣/ ٥٢، وقطر الندى ص٤٢ ورصف المباني ص٣١٥.

(٢) الأصول في النحو ١/١٩٢-١٩٤.

(٣) التبيان في تفسير القرآن ٤/٥٠٥.

(٤) الروض الأُنف ٣/٣٩-٤٠.

(٥) بدائع الفوائد ١/١٤٦.

ويمثّل النحاة لـ(أن) المصدرية بقولهم : عجبت من أن يقوم زيد ، ولـ(ما) المصدرية بقولهم عجبت مما تضرب زيدًا[١] إلّا أنّهم لا يشيرون إلى الفرق بينهما ، ولا يشيرون مثلًا إلى الفرق بين هذا المثال وقولنا : عجبت من أن تضرب زيدًا، فالمثال باستعمال (أن) يفيد إنكار الضرب ، وباستعمال (ما) يفيد الإقرار به وعدم إنكاره ، كأنّ المعنى : يجوز لك أن تضرب ؛ إذ ليس المراد التعجب من حدوث هذا الفعل بل من طريقته.

فهما وإن وحّد النحاة بينهما بمعنى المصدرية يفترقان في الدلالة حتى إنّه ليصحّ الجمع بينهما إثباتًا ونفيًا ، فمن ذلك أنّه إذا ابتدر صبي الكلام في مجلس ضمّ كبار الناس ، فأحسن التكلم معنى ولغة ، إلّا أنّه أساء ؛ إذ لم يَدَعْ من هو أكبر منه سنًّا يبدأ الكلام قبله ، فإنّه يصح أن يقال فيه : سرّني ما تكلّم الصبي وما سرني أن تكلّم.

فبين (ما) و(أن) فرق أساسي حتى إنّه لا يصحّ أن تحلّ إحداهما محل الأخرى ، وهذا ما نبّه عليه الدكتور فاضل السامرائي في آيات من القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى: (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا)[النساء: ٦٥] فبيَّن أنّه لا يصحّ أن نجعل (أن) محل (ما) ونقول: من أن قضيت ؛ لأنّ المعنى سيكون عند ذلك : ألاّ يجدوا حرجًا من كونك تقضي ، أو من مبدأ أنّك تقضي، وليس هذا هو المقصود إذ ليس في أنفسهم حرج من ذلك ، بل المقصود أنّ عليهم أن يرضوا بما يقضي، ولو كان ما يقضي به لا يوافق هواهم ورغبتهم وقوله تعالى: (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُون)[الأنعام: ١٠٠] فلو قال : سبحانه وتعالى : عن أن يصفوا ، لكان المعنى تنزيه الله عن مجرد الوصف، وليس هو المقصود ؛ إذ لا شك أنّ له الصفات العليا، وإنّما

---

(١) شرح ابن عقيل ١/١٣٨-١٣٩.

المقصود تنزيهه ، سبحانه وتعالى عن الوصف الباطل والصفات التي لا تليق بذاته العليّة[1].

وكذلك استعملت (ما) ولم تستعمل (أن) في قوله تعالى: (أَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا)[المائدة: ٨٥]: وقوله تعالى: (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا)[النجم: ٣١] لأنّ الثواب والجزاء يكونان على نوع القول والعمل لا على مجرد حدوثهما.

وفي صدد التفريق بين (ما) المصدرية والمصدر الصريح قال ابن القيّم ((إنّها لا تقع مع كل فعل في تأويل المصدر وإن وقع المصدر في ذلك الموضع ، فإنّك إذا قلت: يعجبني قيامك ، كان حسنًا ، ولو قلت: يعجبني ما تقوم ، لم يكن كلاما حسنًا ، وكذلك إذا قلت : يعجبني ما تذهب ، لم يكن في الجواز والاستعمال مثل: يعجبني ذهابك)) [2].

وقد اتضح سرّ هذه المسالة ، فكلٌّ مَن (أن) و(ما) المصدريتين لم تستعمل لتسبك مع الفعل بمصدر ، أمّا (أن) فقد استعملت مهيّئة ، وهذا يعني أنّ الفعل باستعمالها يبقى دالًّا على أصله ؛ لذلك كانت مع صلتها مناظرة لمعنى المصدر الصريح الدالّ على الحدوث كالذي في قوله تعالى: (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ)[الأعراف: ٢٩] وهذا المصدر لا يصح أن يدلّ على النوع ؛ لأنه ليس جنسا مما يتنوع ، فلا نقول: أمر ربي بما تقسطوا، إذ لا معنى لهذا الكلام ، فالقسط لا يكون إلّا حقًّا ، فهو بمعنى (تقسطوا) إلّا أنّ الفعل لا يجوز جرّه إلّا باستعمال (أن) فلزم ان يكون التقدير: أمر ربي بأن تقسطوا، وأمّا (ما) فقد استعملت وصلة لوصف ما يدل على معنى المصدر بصلتها ؛ لذلك كانت مع صلتها مناظرة لمعنى المصدر الصريح الدالّ على

---

(١) معاني النحو ٣/١٥٤–١٥٥.

(٢) بدائع الفوائد ١/١٤٢.

النوع كالذي في قوله تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)[التوبة: ١٠٥] والمصدر في هذه الآية لا يصحّ أن يدل على الحدوث ؛ لأنّها في سياق مجازاة الله لعباده والجزاء يكون على نوع العمل لا على مجرد العمل ؛ لذلك صحّ جعلها بتقدير: قل اعملوا فسيرى الله ما تعملون ، وما صحّ جعلها بتقدير: قل اعملوا فسيرى الله ان تعملوا.

وكذلك المصدر في قوله تعالى : (يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ)[الأنعام: ٣] فإنّه يدلُّ على النوع لا على الحدوث ؛ لأنَّه ليس المراد أنّ الله يعلم أنّنا نَسُرّ ونجهر ؛ لأنَّه لا شك في أنّه ما من إنسان لا يسرُّ بأشياء ، ويجهر بأشياء ، فهذه قضية بديهية ، لا تحتاج إلى أن يعلم بها عالم ، وإنّما المراد أنّ الله سبحانه ، يعلم بالأشياء التي يسرّها الإنسان التي لا يعلم بها إلّا صاحبها ، ويعلم بالأشياء التي يجهر بها ؛ لذلك جاز جعله بتقدير : يعلم ما تسرّون وما تجهرون ، وما جاز جعله بتقدير : يعلم أن تسرّوا وأن تجهروا.

وكذلك المصدر في قوله تعالى : (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)[البقرة: ٣] فلا يصحّ جعل الآية بتقدير: الذين يؤمنون بأن غاب ؛ لأنّ مجرد الغيب لا يحتاج إلى إيمان ، وقد ذكر العكبري أنّ المصدر قد يجيء بمعنى اسم المفعول كالذي في قوله تعالى: (يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ)[الأنعام: ٣] أي : يعلم مسروركم ومجهوركم(١) أو ليدلّ على معنى اسم الفاعل كالذي في قوله تعالى: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)[البقرة: ٣] أي: يؤمنون بالغائب(٢) والمصدر لا يجيء دالًّا على معنى اسم المفعول ، أو على معنى اسم الفاعل ، إلّا إذا كان دالًّا على النوع .

---

(١) التبيان في اعراب القرآن ١/ ٤٨٠.

(٢) المصدر نفسه ١/ ١٨.

ولم يبيّن النحاة والمفسرون هذا الفرق بينهما فقد أجازوا كما مرّ في الباب الأول جعل (ما) مصدرية في قوله تعالى: (وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ)[آل عمران: ٤٩] بتقدير: وأنبئكم بأكلكم وادّخاركم[١] وهذا المصدر المقدّر يصحّ معناه إذا قصد به دلالته على النوع بمعنى : الطريقة أو الكيفية التي يأكلون بها ويدّخرون، ولا يصحّ إذا قصد به دلالته على الحدوث ، فلا شك في أنّه ما من إنسان لا يأكل ، وإلّا لما عاش ، وقلّما لا يدّخر ، ولا سيما الذين عاشوا في عهود الأنبياء فلا يدل الإخبار بأكله وادخاره على علم عالم أو نبوة نبي ؛ لذلك لم يصحّ استعمال أن بدلًا من (ما) في هذا الموضع ؛ إذ لا معنى لقولنا أيضًا : وأنبئكم بأن تأكلوا وتدّخروا.

ويبدو أنّ المصدر الدالّ على النوع ، يصحّ أن يُثنّى ويُجمع ؛ لأنّه يعامل معاملة الأسماء ، بخلاف الدالّ على الحدوث فإنّه لا يصحّ ذلك فيه ؛ لأنه يعامل معاملة الأفعال ، ولا يدلّ الفعل ، كما هو معروف ، إلّا على الحدوث ، فكيف يصح أن يدلّ مع (ما) على مصدر دالّ على النوع؟ فهذا لا يمكن تعليله إلّا بما بيّنّاه من أنّ (ما) المصدرية استعملت أداة لوصف مصدر محذوف بصلتها ، وهذا الموصوف هو المصدر الدالّ على النوع ، ولوجوب حذفه ، نابت (ما) منابه في الإعراب وأخذت مع الفعل دلالته ومعناه.

وثمة فرق آخر بينهما هو أنّ الفعل يبدأ حادثًا فيُعبَّر عنه في البدء باستعمال (أن) ثم لا يُؤدّى بمعنى المصدر واستعمال (ما) إلّا بعد أن يتجاوز حدوثه ، فالفعل بالمعنى الأول أبلغ من حيث كونه في حالة ممارسة عملية ، وهو بمعنى المصدر أبلغ من حيث إتمام معناه ؛ لذلك استعمل (أن) في قوله تعالى: (مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ)[الفتح: ٢٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/٤١٤.

نقل ابن كثير في تفسيره حديثًا رواه الإمام أحمد ومسلم وغيرهما ((عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لمّا كان يوم الحديبية هبط على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثمانون رجلًا من أهل مكّة بالسلاح من قبل جبل التنعيم يريدون غرّة رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عليهم فأُخذوا ، قال عفّان : فعفا عنهم ، فنزلت هذه الآية: (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ)))(١) فزمن كفّ الأيدي متصل بزمن الظفر وكلاهما حاصل قبل أن يتفرق الجمعان مما يوجب استعمال (أن).

ولذلك لزم استعمال (أن) قبل (تأتينا) و(ما) قبل (جئتنا) في قوله تعالى: (قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا)[الاعراف: ١٢٩] ذلك أنّ الإتيان هنا في موضع النفي والعدم فلا يتعدى حدوثه إلّا بعد تحويله إلى الإثبات ويكون ذلك عند المجيء ، ولو قال من بعد أن جئتنا ، لأفاد اتصال الأذية بحدوث المجيء واحتمل انقطاعهما بعد ذلك ، فاستعمل (ما) لإفادة استمرارها ، ولأنّه بها يتمّ المعنى ويستقرّ استعملها في قوله تعالى: (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ)[الأنفال: ٦] ليبيّن لهم أنّه لا عذر لهم في أن يجادلوا في الحق الذي اكتمل تبيّنه ، ولهذا كان مما يناسب المقام استعمال (أن) لا (ما) في قوله تعالى: (مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي) [يوسف:١٠٠] لأنّه أريد باستعمال (أن) أنّ النزاع بين يوسف عليه السلام وإخوته كان مجرد حدوث وحالة مؤقتة لا يستوجب القطيعة الدائمة وعدم التسامح والمغفرة ؛ لأنّ (نزغ) باستعمال (أن) يبقى فعلًا ويفيد ما يفيده الفعل من معنى التجدد والحدوث لكنّه ، باستعمال (ما) وقولنا : (من بعد ما

---

(١) تفسير ابن كثير ١٩٢/٤.

نزغ الشيطان) تفيد معنى المصدرية الدالّ على ثبات حدوث النزغ واستقرار أمره ، لأنّه يكون بتقدير: مِن بعد النزغ الذي نزغ الشيطان .

وقد ترد (أن) قبل الفعل ولا تفيد وقوع المعنى عليه ولكن تفيد تأكيد معنى الحدوث فيه من ذلك ورودها بعد (لمّا) قال الزمخشري في قوله تعالى: (وَلَمَّا أَن جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا)[العنكبوت:٣٣] (((أن) صلة أكّدت وجود الفعلين مرتّبًا أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كأنّما وُجدا في جزء واحد من الزمان وكأنّه قيل : لمّا أحسّ بمجيئهم فاجأته المساءة من غير ريث)) [١].

وكما استعملت (ما) وصلة لوصف المصدر بصلتها استعملت (الذي) لهذا الغرض وقد ذكر النحاة أنّ (الذي) قد ترد حرفًا مصدريًّا في كلام العرب وأشعارهم كقول عبد الله بن رواحة :

فَثَبَّتَ اللهُ ما أتاكَ من حَسَنٍ ... في المرسلين ونصرًا كالذي نصروا[٢]

ومن شواهدها في القرآن الكريم قوله تعالى: (ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ)[الانعام: ١٥٤] وقوله تعالى : (وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ)[التوبة: ٦٩] وقوله تعالى: (ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ)[الشورى: ٢٣] والتقدير عندهم: تمامًا على إحسانه. وخضتم كخوضهم، وذلك تبشير الله[٣] ومنهم من منع أن تكون مصدرية وعدّها موصولة بتأويلات مختلفة[٤].

---

(١) الكشاف ٤٥٣/٣، ومغني اللبيب ٣٤/١-٣٥.

(٢) أوضح المسالك ٩٨/١، وتسهيل الفوائد ص٣٧، وشرح الكافية ٢٦٦/١-٢٦٧.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣٦٥/١ وإعراب القرآن المنسوب إلى الزجّاج ٣٧٣/١، وشرح الكافية الشافية لابن مالك ٢٦٧/١، ٢٦٨ ومغني اللبيب ٥٦٦/٢-٥٦٧.

(٤) ينظر المصادر السابقة، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٢٠/١، والكشاف ٢٨٨/٢، وشرح ابن عقيل، الحاشية ١/ ١٥٩ وشرح التصريح على التوضيح لخالد الأزهري ١/ ١٣١ ونتائج التحصيل ٢/ ٧٩٨- ٨٠١ وخزانة الأدب ٥٧/٦.

و(الذي) المصدرية في هذه الشواهد ليست بما قدّره النحاة بل هي بتقدير: والنصر الذي نصروا ، وكالخوض الذي خاضوا ، وتمامًا على الإحسان الذي أحسن ؛ وذلك التبشير الذي يبشر الله ، والدليل على ذلك قوله تعالى: (وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ)[الاحقاف: ١٦] فـ(وعد الصدق) مصدر موصوف بـ(الذي كانوا يوعدون) ومن النحاة من جعلها بهذا التقدير فقد قال الفرّاء في قوله تعالى: (وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ) ((يريد كالخوض الذي خاضوا)) [١] وذكر الرضي ما لفظه ((فاما (الذي) المصدرية فلا خلاف في اسميتها كقول علي رضي الله عنه : ((نزلت أنفسهم في البلاء كالذي نزلت في الرخاء)) أي: نزولا كالنزول الذي نزلته في الرخاء)) [٢].

وفي القرآن الكريم شواهد أُخَرَ غير التي أشار إليها النحاة والمفسرون كالذي في قوله تعالى: (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ)[الانعام: ٣٣] والتقدير: قد نعلم إنّه ليحزنك القول الذي يقولون ، وكالذي في قوله تعالى: (لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الزمر: ٣٥] والتقدير: ليكفر الله عنهم أسوأ العمل الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن العمل الذي كانوا يعملون.

فكلٌّ مِن (ما) و(الذي) في نحو : وذلكم ما ظننتم بربكم أرداكم ، ونحو: وذلكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ، ليست مصدرية لأنها تؤول بما بعدها بمصدر بتقدير : وذلكم ظنكم بربكم أرداكم ، بل كلتاهما مصدرية لأنّها وصلة لوصف ما يدل على معنى المصدر بصلتها والدليل على ذلك قوله تعالى: (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ) [فصلت: ٢٣].

---

(١) معاني القرآن ٤٤٦/١.

(٢) شرح الرضي على الكافية ٥٢/٣.

و(ما) المصدرية مثل (ما) الموصولة لا يصحّ إظهار موصوفها، أمّا (الذي) المصدرية فهي مثل (الذي) الموصولة يصح إظهار موصوفها فقد ورد محذوفًا في الآيات التي استشهد بها النحاة والمفسرون وظهر في هذه الآية وفي الآية التي مرّ الاستشهاد بها.

وفرق الدكتور فاضل السامرائي بين (ما) الموصولة و(الذي) الموصولة بأنّ الأولى وُضعت لما هو عام غير محدد بخلاف الثانية التي وضعت لِما هو خاصٌّ ومعلوم واحتج لإثبات ذلك بقوله تعالى: (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)[النحل: ٩٧] وقوله تعالى: (لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) [العنكبوت: ٧] [١].

والظاهر أنّ (ما) ليست موصولة في سورة النحل ، بل هي مصدرية وكذلك (الذي) في سورة العنكبوت ، وكذلك قال في قوله تعالى: (لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ)[الكهف: ٧٣] ((المقصود بقوله (بما نسيت) نسيان مخصوص وهو العهد الذي بينهما ، ولو قال: بأن نسيت ، كان المعنى أنّه أخذه بمبدأ النسيان)) [٢] وكما جاز في (الذي) الموصولة أن ترد عهدية أو جنسية جاز ذلك في الذي المصدرية ، والنسيان هنا مصدر دال على النوع كما بيَّن إلّا أنّه باستعمال (ما) دلّ على العموم ولو أراد نسيانًا مخصوصًا معهودًا لاستعمل (الذي) المصدرية العهدية وقال: لا تؤاخذني بالذي نسيت ، وقوله تعالى: (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا) [النساء: ٦٥] معناه : فلا يجدوا في أنفسهم حرجًا من كلّ قضاء ، أو من أيّ قضاء كان قضيت ، وهو

---

(١) معاني النحو ١/١٤٩-١٥٠.

(٢) معاني النحو ٣/١٥٥.

المعنى المراد ، ولو قال: بالذي قضيت ، لكان المعنى: بالقضاء الذي قضيت.

واستعمل (ما) في قوله تعالى: (لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) [القصص: ٢٥] ليعبّر عن سقي موسى عليه السلام بدلالة العموم لا بدلالة الإفراد ليكون المعنى: أجر سقيك ، أي سقي كان ، مهما كان نوعه والجهد الذي بذلته فيه مبالغة منه في مجازاته على إحسانه وتأكيدها ، ولو استعمل (الذي) المصدرية لما أفادت هذا المعنى ولكان التقدير: أجر السقي الذي سقيت ، فيكون الفرق بين (ما) المصدرية و (الذي) المصدرية هو الفرق الذي بيناه في الباب الأول بين (ما) الموصولة و(الذي) الموصولة.

المبحث الثاني : معنى (ما) المصدرية ومعاني (ما) الأُخَر

يتحدد نوع الإعراب في أي شاهد كان بتحديد المعنى المفهوم من السياق ، ويكون هذا عندما لا نجد ثمة قرينة لفظية قاطعة تحدد المعنى المراد ، لكنّه إذا وجدت هذه القرينة اعتمِد عليها ، فإذا قلنا مثلًا : سأل التلميذَ معلمٌ ، فإن نسق هذا المثال يقتضي بأن يكون (التلميذ) هو الفاعل السائل ، و(معلم) هو المسؤول المفعول ؛ إلّا أنّ نصب الأول ورفع الثاني قطع أن يكون المعنى عكس ذلك ، وكذلك الأمر في تحديد أنواع (ما).

وكما يشيع التباس (ما) الموصولة بالمصدرية ويرفع هذا الالتباس بعود الضمير عليها ، يشيع التباس (ما) المصدرية بالموصولة ويرفع بتجردها من الضمير العائد ، وهذا ما يجمع عليه النحاة ، ويتجلّى ذلك في مثل قوله تعالى: (وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ)[البقرة: ٧٥] فإنّ (ما) في هذه الآية مصدرية ، ولا يصحّ أنّ تكون

موصولة لتجردها من الضمير العائد، والهاء في (عقلوه) غير عائد على (ما) ، بل على كلام الله ، والتقدير : من بعدما عقلوا كلام الله[١].

ومن ذلك قوله تعالى: (فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)[البقرة:١٣٧] فإنّ (ما) هنا أيضًا مصدرية ؛ لأنّ الضمير في به غير عائد عليها ، بل على الله ، سبحانه، أو محمد صلى الله عليه وسلم، أو القرآن ، ولو قيل: فإن آمنوا بما آمنتم به ، لكانت (ما) موصولة؛ لعود الضمير في (به) عليها ، والمعنى: فان آمنوا بالله الذي آمنتم به[٢].

وقال ابن الأنباري في قوله تعالى: (لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا)[القصص: ٢٥] ((ولا يجوز أن تكون (ما) موصولة ؛ لأنّها لو كانت موصولة لكان المعنيّ بها الماء والذي يجزاه أجر السقي لا أجر الماء ؛ لأنّ الأجر للعمل لا للعين ، فوجب أن تكون مصدرية لا غير)) [٣] وبمثل هذا قال ابن هشام فمنع أن تكون موصولة ؛ لأنّ الأجر على السقي الذي هو فعله لا على الغنم[٤] وسقى : فعل متعدٍّ إلى مفعولين نحو: سقاه الله الغيث ، وقد يقال سقاه لماشيته ولأرضه[٥] فالمعنيّ به في الوجه الممتنع لا يصح أن يكون الماء إلّا عند جعل الآية بتقدير: أجر الماء الذي سقيته للغنم ، ولا يصح أن يكون الغنم إلّا عند جعلها بتقدير: أجر الغنم التي سقيتها الماء أو التي سقيتها بالماء.

---

(١) التبيان في إعراب القرآن ٨٠/١.

(٢) التبيان في إعراب القرآن ١٢١/١-١٢٢.

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن ٢٣١/٢.

(٤) مغني اللبيب ٣٠٣/١.

(٥) لسان العرب، المجلد الثاني ص١٦٧.

وتكون (ما) موصولة في قوله تعالى: (وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ)[البقرة:٧٢] ولا تكون مصدرية إلّا إذا كانت بمعنى المفعول فيكون التقدير: يخرج كتمانكم، والمراد يخرج مكتومكم[١] ونظيره قوله تعالى: (لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ)[آل عمران:٩٢] فإنّ (ما) هنا موصولة ولم يجيزوا أن تكون مصدرية ؛ لأنّ المحبة لا تنفق ، قال العكبري : فإن جعلت المصدر بمعنى المفعول جاز)) [٢] لجواز أن يكون المعنى : حتى تنفقوا المحبوب لديكم من المال والطعام.

وأجاز الفرّاء في (ما) في قوله تعالى: (قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي)[يس:٢٦-٢٧] أن تكون موصولة أو مصدرية ، ثم بيَّن أنّه ((لو جعلت (ما) في معنى (أيّ) كان صوابًا ، يكون المعنى : ليتهم يعلمون أيَّ شيء غفر لي ربي ، ولو كان كذلك لجاز فيه : بمَ غفر لي ربي ، بنقصان الألف)) [٣] لأنّ الأصل والأكثر في ألف (ما) الاستفهامية أن تحذف في حالة جرّها ، وكذلك قيل : إنَّ (ما) استفهامية في قوله تعالى: (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ)[الأعراف:١٦] والمراد من (ما) في الموضعين كما يظهر في السياق معنى المصدرية ، وقد نسب إلى الكسائي (ت ١٨٩هـ) أنّه ردّ قول المفسرين القائلين بأنّها استفهامية إذ لو كانت كذلك لجاءت بغير ألف[٤].

---

(١) التبيان في إعراب القرآن ٧٨/١.

(٢) التبيان في إعراب القرآن ٢٧٩/١.

(٣) معاني القرآن ٣٧٤/٢-٣٧٥.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٣/٤، وإعراب القرآن للنحاس ٧١٦/٢ والأزهية ص٨٣، ومشكل إعراب القرآن ٦٠١/٢ والكشاف ١١/٤-١٢ والأمالي الشجرية ٢٣٩/٢، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢٣٩/٢ ومفاتيح الغيب ٦٠/٢٦، والتبيان في

وقد كثر دخول (ما) المصدرية على (كان) في التنزيل ، كقوله تعالى: (بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)[البقرة: ١٠] وقوله تعالى : (بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ)[الأعراف: ١٦٢] فمن النحاة من جعل الآية الأولى بتقدير : بكونهم يكذبون[١] ومذهب سيبويه وجمهور النحاة ((أنّه أدخل (كان) ليخبر أنّه كان فيما مضى كما تقول: ما أحسنَ كان عبدَ الله ، فأنت تعجب من (عبد الله) لا من (كونه) وإنّما وقع التعجب من اللفظ على كونه))[٢] فصلة (ما) المصدرية في الأولى هي (يكذبون) وليس كان ، والتقدير : بكذبهم ، وكذلك قوله تعالى (بما كانوا يظلمون) تقديره : بظلمهم، لا بكونهم يظلمون[٣] غير أنّ الطبري[٤] أظهر مخالفته لهذا الوجه. والصحيح ما ذهب إليه الجمهور.

ووردت (ما) بعد (ساء) في عدة مواضع من القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: (وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ)[المائدة: ٦٦] وقوله تعالى: (أَلَا سَاء مَا يَزِرُونَ) [الأنعام: ٣١، والنحل:٢٥] وقد أجاز النحاة والمفسرون أن تكون (ما) نكرة موصوفة منصوبة على التمييز و(ساء) بمعنى فعل الذم (بئس) والتقدير في قوله تعالى مثلًا : (سَاء مَا يَحْكُمُونَ)[الأنعام: ١٣٦، النحل: ٥٩، العنكبوت: ٤، الجاثية: ٢١] ساء الشيء شيئًا يحكمون ، وجاز

إعراب القرآن ١٠٨/٢ ومغني اللبيب ٢٩٩/١-٣٠٠ والبرهان في علوم القرآن ٤٠٣/٤-٤٠٤، وخزانة الأدب ٩٩/٦.

(١) مشكل اعراب القرآن ٧٨/١، والبيان في غريب إعراب القرآن ٥٥/١ والبحر المحيط ٦٠/١.

(٢) الكتاب ٧٣/١، ومعاني القرآن للأخفش ٤٠/١ والبغداديات ٥٥/١ واللمع ص٢٦٨، وقواعد المطارحة لابن أياز النحوي ص٢١٧ ومغني اللبيب ٣٠٤/١.

(٣) المختصر في النحو للجواليقي ص١٦٩ والكشاف في نكت المعاني والإعراب ١٨/١، والتبيان في إعراب القرآن ٢٧/١.

(٤) جامع البيان ٢٨٦/١.

أن يكون (ساء) على بابها و(ما) موصولة والتقدير: ساء الشيء الذي يحكمونه ، أو تكون مصدرية ، والتقدير: ساء حكمهم[١].

والظاهر الوجه الأخير؛ لأنّ المراد في هذه الآيات وصف مصدر الفعل بالسوء وهو في المعنى أقوى ، ونظير الآيات المذكورة قوله تعالى: (ولو أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)[الأنعام: ٨٨] وقوله تعالى (فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)[الأعراف: ١١٨] وقوله تعالى: (وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) [هود: ١٦] فإنّ (ما) في هذه الآيات مصدرية ؛ لان المعنى : بطل وحبط عملهم وصنيعهم، يؤيد ذلك وقوله تعالى: (فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)[البقرة: ٢١٧] وقوله تعالى: (وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ)[المائدة: ٥] وبطلان العمل وحبوطه معناهما واحد[٢].

ووردت (ما) بعد (قليلًا) في عدة مواضع من القرآن الكريم كقوله تعالى (فقليلًا ما يؤمنونَ)[البقرة: ٨٨] وقوله تعالى: (قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ)[الأعراف: ٣] وقوله تعالى: (قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ)[الأعراف: ١٠، والملك: ٢٣] والظاهر كما هو واضح أنّ (قليلًا) هنا تعني القلّة و(ما) مصدرية ، فيكون معنى قوله تعالى : (فقليلًا ما يؤمنونَ) قلّ إيمانهم ، وقوله تعالى : (قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) معناه : قلّ تذكّرُكم ، وقوله تعالى : (قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) معناه : قلّ شكرُكم إلّا أنّ الفرّاء ذكر أنّه يجوز أن يكون (قَلِيلًا) معناه النفي ، ونَسب إلى شيخه الكسائي أنّه نقل عن العرب قولهم : مررتُ ببلاد قلّما تنبت إلّا البصل

---

(١) جامع البيان ١٢٨/١١، ٣٠/٢٠، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٤٢/٢، وإعراب القرآن للنحّاس ١٣١/٣ ومشكل إعراب القرآن ٢٥٠/١ والكشاف ٦٥٨/١ ، ١٧/٢، ٤٤٠/٣ والبيان في غريب إعراب القرآن ٣١٩/١، ٣٤٢، والتبيان في إعراب القرآن ٤٩٠/١.

(٢) المعجم الوسيط ٦١/١، ١٥٣.

والكرّاث ، أي: ما تنبت إلّا هذين ، ويجوز أن تفيد معنى القلّة[١] وأجاز النحاة والمفسرون هذين الوجهين[٢]. واختار الطبري معنى النفي[٣] فيكون معنى قوله (قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ)لا تذكّر لهم أصلًا، ومعنى قوله تعالى (قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ) لا يشكرون أصلًا[٤] ويبدو أنّ المراد معنى القلّة ، وما حكاه الكسائي يمكن حمله أيضًا على هذا الوجه ، فيكون معنى : مررت ببلاد قل نباتها بوجه عام ، ولم يكثر فيها إلّا البصل والكرّاث.

ولم يجز النحاة والمفسرون أن تكون (ما) نافية في هذه الآيات لأنّها بهذا الوجه لا يصحّ معناها فقوله تعالى مثلًا (فقليلًا ما يؤمنونَ) يكون معناه بالنفي : قلّ عدم إيمانهم ، يعني كثر ، هذا عند جعل (قليلًا) بمعنى القلّة ، أمّا عند جعل (قليلًا) بمعنى النفي ، فنفي النفي إثبات، فيكون المعنى ثبت إيمانهم، وكلا المعنيين لا يصحّ وغير مراد.

إلّا أن العكبري قال في هذه الآية ما لفظه : ((وقيل (ما) نافية ، أي: فما يؤمنون قليلًا ولا كثيرًا ، ومثله (قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ) و (قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ) وهذا أقوى في المعنى ، وإنّما يضعف شيئًا من جهة تقدم معمول (ما) في حيز (ما) عليها))[٥] ومثل هذا قال ابن هشام فأجاز أن تكون (ما) نافية ، إلّا أنّه ضعّفه بأنّ (ما) النافية لها الصدارة في الكلام ، فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها[٦].

---

(١) معاني القرآن ١/٥٩-٦٠.

(٢) الكشاف ١/١٦٤ والبرهان في علوم القرآن ٣/٧٨.

(٣) جامع البيان ٢/٣٢٩-٣٣١، ٥/٥٩٩.

(٤) البيان في غريب إعراب القرآن ١/١٠٧، ٢/٣٣٣، ٣/٧٨ والكشف في نكت المعاني والإعراب ١/٥٥-٥٦.

(٥) التبيان في إعراب القرآن ١/٩٠.

(٦) مغني اللبيب ١/٣١٦-٣١٧.

ومما تقدم من كلام النحاة والمفسرين قبل العكبري وابن هشام، تبين أنّه لم يجز أحد منهم أن تكون (ما) نافية ، وإنّما أجازوا ان تكون (قليلًا) بمعنى النفي ، فيبدو أنّه وقع ثمة التباس ، والدليل على ذلك أنّه عند جعل (ما) نافية في هذه الآية ، لا تكون بالمعنى الجائز الذي ذكره العكبري ((فما يؤمنون قليلًا ولا كثيرًا)) بل تكون بالمعنى غير الجائز الذي بيّنّاه ، وهو: ثبت إيمانهم ، أو كثر ، وهو معنى مخالف للسياق ؛ لذلك لم يقل به النحاة والمفسرون.

إلّا أنّ الطبري نقل القول بجواز هذا الوجه في غير هذه الآيات ، وفي موضع واحد ، هو قوله تعالى: (كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ)[الذاريات: ١٧] وهو وجه لا يصحّ أيضًا ؛ لأنّه عند جعل (ما) نافية يكون المعنى : أنّهم كانوا ينامون وقتًا طويلًا من الليل ، ويقضون وقتًا قليلًا منه بالعبادة ، وهذا خلاف المعنى المراد ؛ لأنّ الآية تعني قِلَّة هجوعهم ، أي : قِلَّة نومهم ؛ لذلك فإنّ من أجاز هذا الوجه ، لم يجزه إلّا بتأويل بعيد ، وهو الوقوف على (قليلا) والمعنى : كانوا قليلين ، والابتداء بعد ذلك من قوله تعالى: (مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُون) [1] أي: كانوا يحيون الليل كلّه ولا ينامون ، وهذا تأويل فيه بعد وتعسف واضحان[2] وإذا أمكن القول بهذا التأويل على بعده في هذه الآية ، لا يمكن القول به في الآيات الأخرى.

---

(١) جامع البيان ١٩٨/٢٦-١٩٩.

(٢) مجاز القرآن ٢٢٦/٣، ومعاني القرآن للفرّاء ٨٤/٣ ومعاني القرآن وإعرابه ٥٣/٥ ومشكل إعراب القرآن ٦٨٧/٢، والتبيان في تفسير القرآن ٣٨٢/٩ ومفاتيح الغيب ٢٠١/٢٨- ٢٠٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٣٤/٤.

وفي دلالة (يهجعون) ذهب ابن العربي (ت٥٤٣هـ) إلى أنّ معناها: يسهرون، وذكر أنّ الله سبحانه مدح قلّة العبادة في الليل ؛ لأنّ طول القيام ليس بالإمكان[١]. وهذا قول غريب تفرّد به ، وهو مخالف لإجماع المفسرين.

والظاهر أنّه ليس المراد عدم نومهم ، ولا كثرة نومهم ، وإنّما المراد طول قيامهم ، والمعنى: أنّهم كانوا ينامون قليلا ويسهرون كثيرًا ، بدلالة قوله تعالى في سورة أخرى : (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إلا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)[المزمل: ١-٤] وقوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ)[المزمل: ٢٠] فقد بيَّن الله ، سبحانه، في هذه الآيات، أنّ رسوله صلى الله عليه وسلم، وصحابة رسوله رضي الله عنهم، كانوا يقضون أكثر الليل بالعبادة ؛ فالوجه أن تكون (يهجعون) بمعنى: ينامون لا بمعنى: يسهرون، وأن تكون (قليلًا) دالّة على معنى القِلَّة لا على معنى النفي. والوجه أيضًا استبعاد كون (ما) نافية ، ومثل هذا يقال في الآيات الأخرى لأنّها كانت على نسقها.

والوجه المختار والمشهور عند النحاة والمفسرين أن تكون (ما) زائدة[٢] وأجاز الزمخشري في (ما) في قوله تعالى: (قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) أن

---

(١) أحكام القرآن ١٧٢٩/٤.

(٢) مجاز القرآن ١٣١/٢، ١٩٤، ومعاني القرآن للأخفش ١٣٥/١-١٣٦، ومعاني القرآن وإعرابه ٣١٦/٢، ٢١٨/٥ وإعراب القرآن للنحّاس ٥٥٩/١، ٢٣٣/٢ والصاحبي في فقه اللغة ص١٧١ ومشكل إعراب القرآن ٢٨١/١، ٢٨٤، ٧٥٥/٢، والكشاف ١٦٤/١، ٨٦/٢، ١٩٩/٣، ٣٧٧ والتبيان في تفسير القرآن للطوسي ٣٨٢/٢٩، والبيان في غريب إعراب القرآن ١٠٦/١-١٠٧، ٣٥٣-٣٥٤، ٣٩/٢، ٣٨٩-٣٩٠ وزاد المسير ١١٣/١، ومفاتيح الغيب ٢٠١/٢٨.

تكون موصولة أو نكرة موصوفة[١] ولا يصحّ هذان الوجهان ؛ إذ ليس ثمة ضمير ظاهر أو مقدّر يصحُ عوده على (ما) وهذا ما صرح به الطبري في قوله تعالى : (فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ) [٢].

وقيل: (ما) نكرة مبهمة ، كما يقال: أمر ما ، وشيء ما[٣]. وأنكر ابن القيم زيادتها ، وذهب إلى أنّها تفيد الحصر ، فقوله تعالى: (فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ) معناه: ما يؤمنون إلّا قليلًا[٤] وحملُها على الحصر لا يبدو وجها مقبولا[٥].

وقد ذُكر في وجه (القلّة) في قوله تعالى : (فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ) عدة معان: أحدها أنّهم يؤمنون بالقليل مما أنزل الله ويكفرون بالكثير مما سواه ، كإيمانهم بالله وكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أُنزل إليه. والثاني: أنّهم لا يؤمن منهم إلّا القليل[٦] والثالث أنّهم يؤمنون قليلًا من الزمان[٧].

والوجه الثاني يقضي أن تكون (ما) موصولة عائدة على معنى الجنس والثالث، يقضي ان تكون ظرفية زمانية ، وظاهر الآية يدلّ على المعنى الأول ، وعلى أنّ (ما) مصدرية ، ويؤيد ذلك قوله تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)[الزمر: ٣٨] وقوله تعالى عن أهل الكتاب: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) [البقرة: ٨٥] وهذا هو الوجه

---

(١) الكشاف ٣٩٨/٤-٣٩٩.

(٢) جامع البيان ٣٢٩/٢.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن ١٥٧/١، ومغني اللبيب ٣١٦/١-٣١٧.

(٤) بدائع الفوائد ١٥٠/٢.

(٥) معاني النحو ٩٨/٣-١٠٠.

(٦) جامع البيان ٣٢٩/٢-٣٣١، ١٩٨/٢٦.

(٧) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١١٣/١.

المراد في الآيات الأخرى والتقدير : قلّ الإيمان الذي يؤمنون ، والشكر الذي تشكرون ، والتذكر الذي تتذكرون، والهجوع الذي كانوا يهجعون.

ويذكر النحاة قسمًا ثانيًا من (ما) المصدرية ، وهي الزمانية ، التي يصح تقديرها بكلمة (مدة) أو (وقت) أو (زمن) نحو: أنا مقيمٌ ما أقمتَ[(١)]. ولها في القرآن الكريم شواهد، منها قوله تعالى : (لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنُّ)[البقرة: ٢٣٦].

غير أنّ (ما) هنا تحتمل الشرطية بمعنى: إنْ لم تمسوهنّ[(٢)]. ومنهم من أجاز أن تكون موصولةً صفةً للنساء ، والتقدير: إنْ طلقتم النساء اللاتي لم تمسوهنّ[(٣)] وقد تقدم أنّ (ما) الموصولة لا يصحّ إظهار موصوفها ؛ لذلك لم يجز أبو حيان هذا الوجه[(٤)] إلّا أنّه يجوز أن تكون بدلًا من النساء كما جاز هذا في قوله تعالى: (وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)[الأنعام: ١٥١] والراجح أنّها مصدرية ظرفية ، والتقدير: زمن ترك مسّهنّ، أو مدة لم تمسوهنّ[(٥)].

وقيل: إنّ (ما) موصولة في قوله تعالى (وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا)[الإسراء: ٧] والتقدير: ليتبّروا ما علوا عليه تتبيرًا ، والوجه أنّها مصدرية ظرفية ، والتقدير: ليتبّروا مدة علوّهم[(٦)].

---

(١) الكتاب ٣/ ١٠٢، والمقتضب ٣/ ١٩٧– ١٩٨، وعمدة الحافظ ص١٠٣– ١٠٤.

(٢) الكشف في نكت المعاني والإعراب ١ /١٣٥، والبيان في غريب إعراب القرآن ١ / ١٦٢ ومغي اللبيب ١/ ٣١٧–٣١٨.

(٣) مفاتيح الغيب ٦/ ١٣٦– ١٣٧.ن والجامع لأحكام القرآن ٣/ ١٩٩.

(٤) البحر المحيط ٢/ ٢٣١.

(٥) البيان في غريب إعراب القرآن ١/ ١٦٢ والتبيان في إعراب القرآن ١/ ١٨٨ ومغني اللبيب ١/ ٣١٧– ٣١٨.

(٦) البيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٨٧ ومعترك الأقران في إعجاز القرآن ٢/ ٣٣٧.

وتحتمل أنْ تكون مصدرية ظرفية في قوله تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)[التغابن: ١٦] والتقدير: فاتقوا الله مدة استطاعتكم[١]. والأرجح أنّها مصدرية غير ظرفية ؛ ليكون المعنى أكثر ملاءمة لما جاء به التنزيل، فالله ، سبحانه، أمرنا أن نعبده ونتقيه في كل وقت ، قال تعالى: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)[الحجر: ٩٩] لأنّه سبحانه، يَسّرَ لنا عبادته فقال جل شأنه: (لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا) [البقرة: ٢٨٦] فيكون قوله تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) معناه : اتقوا الله قدر استطاعتكم[٢] أو ابذلوا في تقوى الله استطاعتكم[٣].

وإذا وردت صلة (ما) فعلًا دالًّا على الزمان ، قوي فيها معنى الظرفية، كقوله تعالى: (قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا)[المائدة: ٢٤] والتقدير: مدة دوامهم فيها[٤].

وأجاز النحاة زيادة (إنْ) بعد (ما) المصدرية الظرفية نحو: انتظرني ما إنْ جلسَ القاضي، أي : مدة جلوسه[٥] ولم يرد مثل هذا الأسلوب في القرآن الكريم.

و(ما) المصدرية الظرفية أيضًا دلّت على الزمان من دلالة موصوفها ، فإنّ (ما) في قوله تعالى مثلًا: (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ)[فاطر: ٣٧] يجوز أن تكون مصدرية ظرفية إلّا أنّها جعلت بهذا الوجه بتقدير: زمن

---

(١) مغني اللبيب ١/ ٣٠٤.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٤٨.

(٣) الكشاف ٤/ ٥٥٠.

(٤) البيان في غريب إعراب القرآن ١/ ٢٨٨.

(٥) الكتاب ٤/ ٢٢٢، وشرح الرضي على الكافية ٤/ ٤٣٤، وشرح الكافية لابن جماعة ص٤٩٤، والفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب لملا جامي ٢/ ٣٧١.

ما يتذكر[١] وبمعنى: أو لم نعمركم ((دهرًا وزمانًا يتسع للمتذكر أن يتذكر فيه ويتوب ويرجع عن المعاصي)) [٢]وحين أجازوا جعل (ما) مصدرية ظرفية في قوله تعالى: (فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ)[طه: ٧٢] جعلت بتقدير: اقض أمرك مدة ما أنت قاض[٣].

فقد اكتسبت هذه الدلالة من استعمالها في الكلام أداة لوصف موصوف مقدرٍ دالٍ على الزمان بالجملة.

و(ما) الزمانية هذه كالظروف الزمانية قد تخرج عن معنى الظرفية مثل (ما) في كُلّما الشرطية[٤].

وقال ابن هشام: ((إنّ نحو : جَلّسْتُ ما جلسَ زيدٌ ، تريد به المكان ممتنعٌ))[٥] ولا مانع من أن ترد (ما) ظرفية مكانية بعد أن صحّ ورودها ظرفية زمانية ويحدد ذلك المعنى المراد، فإذا أريد : جلَسْتُ مدةَ جلوسِه كانت زمانيةً ، وإذا أريد مكان جلوسه كانت مكانية ، بل لا مانع من أن تكون ظرفية حالية بتقدير: جَلَسْتُ هيئَةَ جُلوسِهِ ، فكل ذلك جائزٌ ومحتملٌ ، لأنّ هذه المعاني ليست معاني (ما) وإنّما هي معاني موصوفها ولكن اكتسبت دلالة مصطلحاتها لكونها نابت منابه .

ومن النحاة والمفسرين من التجأ إلى معنى الظرفية المكانية بِعَدِّهِ وجهًا من الوجوه المحتملة في قوله تعالى: (فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ)[البقرة: ١٧] فقد أجازوا أن يكون الفعل (أضاءت) متعدّيًا و(ما) موصولة في محل نصب مفعولًا به ، أو أن يكون لازمًا واحتملت (ما) ثلاثة أوجه : أولها أنْ تكون

---

(١) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١٠٧٦.

(٢) نظم الفوائد وحصر الشرائد ص٢٥٦.

(٣) التبيان في إعراب القرآن ٢/ ٨٩٧.

(٤) مغني اللبيب ١/ ٣٠٥.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

زائدةً ، والثاني أنْ تكون موصولة فاعل (أضاءت) ، وأنّث لأنّها بمعنى الأمكنة ، والثالث أنْ يكون فاعل (أضاءت) الضمير المستتر المسند إلى النار ، أما (ما) فهي موصولة بمعنى الأمكنة ليست فاعلًا ولا مفعولًا به ولا زائدة ، بل منصوبة على الظرفية[١].

و(ما) المكانية كالزمانية قد تخرج عن الظرفية كالتي في قوله تعالى: (فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ)[البقرة: ٣٦].

الفصـل الثـــاني : (ما) النافية

المبــحث الأول : (ما) العاملة

وردت (ما) عاملة عمل (ليس) في القرآن الكريم ، وورد خبرها جملة فعلية في مثل قوله تعالى: (وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ)[آل عمران: ١٠٨] وقوله تعالى (مَا هَؤُلاء يَنطِقُونَ)[الأنبياء: ٦٥] وورد شبه جملة في مثل قوله: (لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ)[آل عمران: ٧٨] وورد اسمًا، وكثيرًا ما ورد هذا الاسم مجرورًا بالباء ، كما في قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ)[البقرة: ٨] وقوله تعالى: (وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)[البقرة: ٧٤] وقوله تعالى: (وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِّلْعَبِيدِ)[ق: ٢٩] ولم يرد منصوبًا إلّا في موضعين من التنزيل ، هما قوله تعالى: (مَا هَذَا بَشَرًا)[يوسف: ٣١] وقوله تعالى: (ما هنّ أُمّهاتِهم) [المجادلة: ٢] ونصب الخبر في هاتين الآيتين لغة أهل الحجاز ورفعه لغة بني تميم[٢].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٤٢– ١٤٣ والكشاف ١/ ٧٣ وزاد المسير ١/ ٣٩، والبحر المحيط ١/ ٧٨–٧٩ وأنوار التنزيل ص١٤.

(٢) الكتاب ٥٩/١، والمقتضب ١٨٨/٤، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٠٧/٣–١٠٨، وكتاب السبعة في القراءات ص٦٢٨ وإعراب ثلاثين سورة ٢٢٣/١ والكشاف ٤٨٥/٤ ومغني اللبيب ٣٠٣/١ وحاشية الصبّان ٢٤٧/١.

أمّا قوله تعالى: (فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ)[الحاقة: ٤٧] فقد قيل : إنَّ (حاجزين) نعت على اللفظ للمبتدأ المؤخر (أحد) المجرور لفظًا المرفوع محلًّا و(منكم) خبر مقدم ، وورد النعت هنا جمعًا على المعنى(١) لأنّ (أحد) تكون للجميع وللواحد ، والصحيح أنَّ (حاجزين) خبر (ما) بدليلين :

الأول : أنَّ النفي مُسلَّط على (حاجزين) فقد أريد نفي الحجز عنه ، كما هو واضح من سياق الآية ، ولا معنى لتسليطه على (منكم) ، والمعنى : فما يحجزه عني أحد .

والثاني : أنَّ المعنى لا يستقيم ، ولا تتم الفائدة ، إذا استغني عن (حاجزين) وقيل : فما منكم من أحد ، فلو كانت صفة لصحّ الاستغناء عنها ، وهذا مما يحتم جعلها هي الخبر لتتم الفائدة ، فيكون قوله تعالى : (فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِين)[الحاقة: ٤٧] هو الموضع الثالث الذي ورد فيه خبر (ما) الحجازية غير مجرور بالباء .

وأكَّد القرآن الكريم النفي في قوله تعالى : (مَا هَذَا بَشَرًا) وقوله تعالى: (ما هنّ أُمّهاتِهم) بإثبات ضدّه بـ(إن) و(إلّا) فقال بعد الشاهد الأول : (إِنْ هَذَا إِلّا مَلَكٌ كَرِيمٌ)[يوسف :٣١] وقال بعد الثاني : (إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلّا اللائِي وَلَدْنَهُمْ) [المجالدة : ٢] ولهذا ينبغي أن تكون (ما) نافية في قوله تعالى: (مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ)[الاعراف: ١٨٤] وقوله تعالى: (مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ لَّكُم)[سبأ: ٤٦] وليس كما قيل من أنّها استفهامية أو موصولة(٢).

وذكر النحاة أنّ (ما) النافية لها شبهان : عامّ وخاصّ، أمّا العامّ فهو شبهها بالحروف غير المختصة ؛ لأنّها تدخل على الأفعال والأسماء ،

---

(١) معاني القرآن للفرّاء ١٨٣/٣، ومعاني القرآن وإعرابه ٢١٨/٥، وإعراب القرآن للنحاس ٥٠٢/٣ والكشاف ٦٠٧/٤ وشرح شذور الذهب لابن هشام ص١٩٣-١٩٤.

(٢) الكشاف ٥٩٠/٣ والتبيان في إعراب القرآن ١٠٧٠/٢.

والأصل في الحروف غير المختصة أن لا تعمل شيئًا، ولهذا ذكر سيبويه أنّ أهل تميم أجروها مجرى (أما) و (هل) فلم يعملوها في شيء، ورأى أنّ ذلك هو القياس، أو أقيس اللغتين، وهذا ما عليه جمهور النحاة[1] أمّا الخاصّ فهو شبهها بـ(ليس) من ثلاثة وجوه : كونها نافية ، وأنّ هذا النفي للحال ، ودخولها على المبتدأ والخبر ، فكأن بني تميم راعوا شبه (ما) العام فأهملوها ، وراعى أهل الحجاز هذا الشبه الخاصّ فاعملوها[2].

على أنّ سيبويه وجمهور النحاة ، وإن قالوا : إن لغة بني تميم هي الأقيس، إلّا أنّهم ردّوا على الفراء حين ذهب إلى أنّها ((أقوى الوجهين)) [3] فقد قال الزجاج فيه : ((وهذا غلط ؛ لأنّ كتاب الله ولغة رسوله أقوى اللغات)) [4].

ويبدو أنّ الفرّاء حين قال في إهمال (ما) : إنّه أقوى الوجهين أراد بذلك أقوى الوجهين من حيث القياس لا من حيث الفصاحة وكثرة الاستعمال، وهذا ما قال به البصريون.

([1]) الكتاب ٥٧/١، ٥٩ ومعاني القرآن للأخفش ١٢٩/١ والمقتضب ١٨٨/١-١٨٩، ١٠٨/٢، ١٩٠/٣ ومجالس ثعلب ٥٩٦/٢-٥٩٧ ومعاني الحروف للرمّاني ص١٥٤ ومجالس العلماء، للزجّاجي ص٨٩-٩٠ والبغداديات ص٢٨٣-٢٨٤ واللمع لابن جنى ص١٢٣ وكتاب الواضح في العربية للزبيدي ص٩٣، ونظم الفوائد وحصر الشرائد ص١٣٨ وكشف المشكل في النحو للحيدرة اليمني ٣٤٤/١.

([2]) ينظر المصادر السابقة، والمقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني ٤٣٠/١، ٣٥٤/٢ وشرح عيون الأخبار للمجاشعي ص١٠٦ وأسرار العربية لأبي البركات بن الأنباري ١٤٣-١٤٥ والإنصاف في مسائل الخلاف ص١٦٥- ١٧٢ والمقرب لابن عصفور ١٠٢/١ وشرح الكافية الشافية لابن مالك ١/ ٤٣٤- ٤٣٥ وشرح الرضي على الكافية٢/ ١٨٤.

([3]) معاني القرآن ٤٢/٢-٤٣.

([4]) معاني القرآن وإعرابه ١٠٧/٣-١٠٨ وإعراب القرآن للنحّاس ١٤٠/٢.

ومن النحاة من أنكر أن تكون لغة بني تميم هي القياس بحجة أنّ (ما) من الحروف غير المختصة ، فذكر أنّ (لا) تعمل عمل (إنّ) مع أنّها غير مختصة، فإن قيل: إنّ (لا) النافية للجنس هي غير (لا) النافية الداخلة على الفعل المضارع ، فبإمكاننا أن نقول: إنّ (ما) العاملة الداخلة على الجملة الاسمية هي غير (ما) النافية الداخلة على الفعل المضارع[١]

فقد ذهب البصريون إلى أنّ لغة أهل الحجاز هي الأفصح لكثرة استعمالها ولأنّ القرآن نزل بها ، ومن هنا قيل : إنّ إعمال (ما) مذهب البصريين ، وإهمالها مذهب الكوفيين، ولا شكّ أنّه يحسن الأخذ بالإعمال لأنّه لغة التنزيل[٢].

وذكر الزمخشري أنّ دخول الباء الجارّة على خبر (ما) مخصوص بلغة أهل الحجاز، وخالفه في ذلك ابن الحاجب[٣] وذكر ابن مالك[٤] وابن هشام[٥] أنّ هذا هو مذهب أبي علي النحوي ، تبعه فيه الزمخشري وردّوا عليه بعدة أدلّة هي :

١-أنّ أشعار بني تميم تتضمن دخول (الباء) على خبر (ما) فلو كان دخولها عليه مخصوصًا بلغة أهل الحجاز لما وُجِد في لغة غيرهم .

٢-دخلت الباء على الخبر لكونه منفيًّا لا لكونه خبرًا منصوبًا ، يدلُّ على ذلك دخولها في نحو : لم أكن بقائم ، وامتناع دخولها في نحو : كنت قائمًا ، فإذا ثبت كون المسوغ لدخولها على الخبر هو النفي فلا فرق بين منفي منصوب المحلّ ومنفي مرفوعه .

([١]) شرح المفصل لابن يعيش ٣٩٧/١.

([٢]) النحو الوافي – عباس حسن – ٥٣٧/١.

([٣]) الإيضاح في شرح المفصل ٣٩٩/١، وشرح المفصل لابن يعيش ١١٦/٢.

([٤]) شرح الكافية الشافية ٤٣٥/١-٤٣٨.

([٥]) شرح شذور الذهب ص١٩٦.

٣-أنّ الباء المذكورة ثبت دخولها على الخبر بعد بطلان العمل ، وبعد (هل) وعلى خبر (أنّ) كقوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾{الأحقاف : ٣٣}

وذهب الفراء والكوفيون إلى أنّ خبر (ما) الحجازية منصوب بنزع الخافض[١] لذلك ذهب بعضهم إلى القول بإضمار الباء في قوله تعالى (مَا هذا بشرًا) [٢] فكأنَّ دخولها في الخبر هو الأصل عندهم ، وهو مالا دليل عليه ، وقد صرّح أبو البركات بن الانباري ببطلان هذا القول ، فذكر أنّه لو كان حذف حرف الجر يوجب النصب ، لوجب ذلك في كل موضع ولا خلاف في أنّ كثيرًا من الأسماء يحذف منها حرف الجرّ ولا ينتصب بهذا الحذف كقوله تعالى: (وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً)[الأحزاب: ٣] ونحو: بحسبك درهم، وما جاءني من أحد[٣] وبمثل هذا ردَّ ابن يعيش[٤] والسيوطي[٥] على الكوفيين.

وذهب النحاة الى أنّ اقتران الخبر بالباء، كان لثلاثة أمور.

الأول: أنّ الخبر قد تباعد عن النفي فربطوه بالباء.

والثاني: أنّ الكلام قد يطول ويُنسى أوله ، فجاؤوا بالباء ليشعروا أنّ في صدر الكلام نفيًا.

---

(١) معاني القرآن للفراء ٤٢/٢ وإعراب ثلاثين سورة ص٥٢.

(٢) الحروف للمزني ص٥٦.

(٣) أسرار العربية ١٤٣-١٤٤.

(٤) شرح المفصل ١٠٨/١.

(٥) همع الهوامع ١١٠/٢.

والثالث : أنّ هذا جواب من قال: إنّ زيدًا لقائم ، فتقول: ما زيد بقائم، فتجعل الباء بإزاء اللام و(ما) بازاء (إن) ، فإن قال: زيد قائم: قلتَ : ما زيد قائمًا[١].

وقد جعلت بعض الدراسات الحديثة من دخول الباء على خبر (ما)، دليلًا على أنّها نافية[٢] وهذا غير مطّرد، فقد قال تعالى: (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى)[طه: ١٧] فاقترن الخبر بعد (ما) بالباء مع أنّها هنا استفهامية. والباء ظرفية ليست زائدة.

وإذا عطف على خبر (ما) المقترن بالباء، جاز في المعطوف ثلاثة أوجه.

الأول: الرفع عطفًا على خبر (ما) إذ هو مرفوع في الأصل أو على جعله خبرا لمبتدأ محذوف تقديره: هو.

والثاني: النصب عطفًا على محلّ خبرها.

والثالث: الجر عطفًا على اللفظ[٣].

وقد كثر في كلام العرب العطف على اسم (ما) المؤخر مع تأكيد النفي بـ(لا) نحو: ماله صائت ولا صامت[٤] ونحو: ما عنده خير ولا مير[٥] ومن

([١]) مشكل إعراب القرآن ٧٧/١ وشرح عيون الأخبار ص١٠٨ وأسرار العربية لأبي البركات بن الأنباري ص١٤٥ وتذكرة النحاة ص٥٦٥.

([٢]) مصطفى النحاس – دراسات في الأدوات النحوية – ص١٥٦.

([٣]) كشف المشكل في النحو ٣٤٤/١ والمرشح في شرح الكافية للخبيصي – أطروحة ص٢٠٤-٢٠٥.

([٤]) الفاخر للفضل بن سلمة ص٤٠ والصامت: الذهب والفضة ، والصائت: الحيوان، من المال، كالبقر والغنم والإبل.

([٥]) المصدر نفسه ص٢٤٠، والمير: ما يتقوت ويتزود به.

شواهده في القرآن الكريم: (وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ) [البقرة: ١٠٧] [العنكبوت: ٢٢] وقد جرّ (نصير) عطفًا على اللفظ.

وتعمل (ما) الحجازية بشروط ، وهي : أن لا ينتقض نفيها بـ(إلّا) وأن لا يتقدم خبرها أو معموله على اسمها ليس شبه جملة ، وأن لا تليها (إن) الزائدة ، أو (ما) لتوكيد نفيها ، وهذا هو مذهب سيبويه والجمهور ، وفي كل شرط من هذه الشروط خلاف.

وقد علّل سيبويه إبطال عمل (ما) دون (ليس) بكونها حرفًا ، و(ليس) فعلًا، والحروف أضعف من الفعل في العمل ، لعدم تصرّفها ولعدم تحملها الضمير[1].

وقيل: لمّا كان الأصل في (ما) أن لا تعمل ، وأنّ عملها كان خلاف الأصل ، أعملها الحجازيون بشروط[2].

وقد ورد في القرآن الكريم نقض نفي (ما) بـ(إلّا) مع تقدم المبتدأ كقوله تعالى: (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)[الأنعام: ٣٢]، ومع جرّه بـ(من) الزائدة ، كقوله تعالى (وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلّا إِلَـهٌ وَاحِدٌ)[المائدة: ٧٣] وانتقض النفي بـ(إلّا) مع تقدم الخبر، في مثل قوله تعالى (مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلّا الْبَلاَغُ)[المائدة: ٩٩].

---

(1) الكتاب ٥٧/١، ٥٩، ٦٠ والمقتضب ٥١/١ ومجالس ثعلب ص٩٧، ٣٥٤ والإيضاح في علل النحو للزجّاجي ص١٣٥ والإنصاف في مسائل الخلاف ص٦٣٦، وأسرار العربية لأبي البركات بن الأنباري ص١٤٥-١٤٦ ونظم الفوائد وحصر الشرائد ص١٣٨-١٣٩ وشرح الكافية الشافية لابن مالك ٤٣٠/١-٤٣٢ وشرح عمدة الحافظ ص١١٨ وشرح الرضي على الكافية ١٨٥/٢-١٨٦ وهمع الهوامع ١١٠/٢-١١٤.

(2) شرح المكودي على ألفية بن مالك ٤٠/١.

فنقض نفي (ما) بـ(إلّا) أبطل عملها ، وكذلك أبطل عملها ، بتقديم خبرها على اسمها ، كما في قوله تعالى: (مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ) [الأنعام: ٥٧].

وقد كثر ورود المبتدأ المؤخر مجرورًا بـ(من) الزائدة كقوله تعالى: (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ)[غافر: ١٨].

وذهب الدكتور فاضل السامرائي إلى أنّ (ما) أقوى في النفي من (ليس) لأنّ (ليس) استعملت استعمال الفعل ، فالجملة المنفية بها جملة فعلية ، والمنفية بـ(ما) جملة اسمية، والجملة الاسمية أثبت من الجملة الفعلية[١].

ممّا يدلُ على أنّ (ليس) أقوى في النفي من (ما) أنَّها أطول منها مبنى ، ومن المعروف أنّ الجملة الاسمية أثبت عند النحاة من الجملة الفعلية لتجردها من معنى الحدوث ، ومن دلالتها على زمن معين ، وأداة النفي (ليس) مجردة من هذين الأمرين، فهي، وإن عُدّتْ من الأفعال ، وأُعربت إعراب الأفعال ، إلاّ أنها لا تدل على حدوث ، ولا على زمن معين ، فلا يكون هناك من حيث الثبات فرق بينها وبين (ما) الداخلة على الجملة الاسمية ، وقد مرّ قبل قليل أنّ (ليس) تعمل بغير شروط ، على حين لا تعمل (ما) إلّا بشروط ، وقد فسر سيبويه ذلك بكون (ليس) أقوى من (ما) في العمل ، وما كان ذلك إلّا لأنّها أقوى منها في النفي ، وهذه قاعدة عامّة نلحظها بوضوح في الأدوات ، وهي أنّ عملها متأتٍّ من قوة معناها ، وإهمالها متأتٍّ من ضعفه.

ويبدو أيضًا أنّ (ليس) ليست مثل (ما) لنفي الحال ، بل هي مثل (لا) لنفي الحال والاستقبال[٢] ولا فرق بينهما سوى أنّ (لا) اختصت بنفي النكرات

---

(١) معاني النحو ١/٢٧٢-٢٧٤.

(٢) الجنى الداني ص٤٦٣.

والمعاني العامّة ، أمّا (ليس) فاختصت بنفي المعارف والمعاني الخاصّة ، لذلك لم تدخل (ليس) إلّا على معرفة كقوله تعالى: (وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى)[آل عمران: ٣٦] ولم تدخل على جملة اسمية فيها المبتدأ نكرة ، إلّا في حالة تقدم الخبر عليه، كقوله تعالى: (وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) [الإسراء: ٣٦] فالظاهر أنّ (ليس) أقوى نفيًا من (ما) وأوسع ، ويتضح هذا في قوله تعالى : (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ)[الزمر: ٣٦] وقوله تعالى : (أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ)[الأحقاف: ٣٤] وقوله تعالى : (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ)[التين: ٨] فالمتأمّل في هذه النصوص القرآنية يشعر بقوة معانيها المتأنية من استعمال (ليس) فيها ، ولو استعمل (ما) بدلًا منها لما كان الأمر كذلك.

ومن أساليب (ما) النافية العاملة ، دخولها على جملة اسمية يقع خبرها فعلًا ماضيًا ، يقول عبد القاهر الجرجاني : ((إذا قلت : ما فعلتُ ، كنت نفيت عنك فعلًا، لم يثبت أنّه مفعول ، وإذا قلت : ما أنا فعلت ، كنتَ نفيتَ عنك فعلا ثبت أنّه مفعول ، وكذلك اذا قلت : ما ضربت زيدًا ، كنت نفيتَ عنك ضربه ، ولم يجب أن يكون قد ضُرِب، بل يجوز أن يكون ضربه غيرك وأن لا يكون قد ضربه أصلًا، وإذا قلت: ما انا ضربت زيدًا ، لم تقله إلّا وزيد مضروب ، وكان القصد أن تنفى أن تكون أنت الضارب... ولو قلتَ : ما أنا قلت هذا ولا قاله أحد من الناس، وما أنا ضربت زيدًا ولا ضربه أحد من الناس كان خلفًا من القول)) [1].

ويوضح القزويني كلام الجرجاني بقوله : ((كقولك: ما أنا قلتُ هذا، أي: لم أقله ، مع أنّه مقول ، فأفاد نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك)) وبيَّن أنّه

---

(1) دلائل الإعجاز ص٩٦-٩٧.

((لهذا لا يقال : ما أنا قلت هذا ولا أحد غيري ؛ لمناقضة منطوق الثاني مفهوم الأول)) [١].

وحين نتأمل في قوله تعالى: (وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ)[فاطر: ٢٢] الذي وقع فيه الخبر دالًّا على الاستقبال بصيغة اسم الفاعل ، يتبيّن أنّه لا يصح فيه الكلام الذي قاله الجرجاني في أمثلته التي وقع فيها الخبر فعلا ماضيًا ؛ لأنّ كلامه يقتضي أن تكون هذه الآية تعني : أنّ الله سبحانه ينفي عن رسوله صلى الله عليه وسلم قدرته على إسماع مَن في القبور ، ويثبت هذه القدرة لغيره من الناس ، في حين أنّ المراد نفي هذه القدرة عنه وعن غيره ، وهذا هو المعنى الظاهر والمتفق عليه عند المفسرين ؛ لأنّ قوله (مَن فِي الْقُبُورِ) قُصد به الكفار الذين أمات الكفر قلوبهم ولا سبيل لهدايتهم وإسماعهم[٢] وكذلك يقال الكلام نفسه في الآيات الأخرى التي على نحوها ، كقوله تعالى: (وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلالَتِهِمْ)[النمل: ٨١].

فقد امتنع في مذهبه أن يقال: ما أنت بمسمع مَن في القبور ولا غيرك بمسمعهم ، ولا أنت بهادي العمي ولا غيرك بهاديهم ، وما قاله يقضي بامتناع أن يقال مثلًا: ما أنت تبعتَ قبلتهم وما اتّبع بعضهم قبلة بعض. وعدّه خلفًا من القول أو متناقضًا كما صرح بذلك القزويني على حين قد ورد قوله تعالى: (وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ)[البقرة: ١٤٥] فيبدو أنّ ما قاله الجرجاني فيه نظر.

المبحث الثاني : (ما) غير العاملة

تدخل (ما) النافية غير العاملة على الفعل المضارع وعلى الفعل الماضي

([١]) الإيضاح في علوم البلاغة ص٣٣-٣٤، ٦٦.

([٢]) الكشاف ٦٠٨/٣ وزاد المسير ٤٨٤/٦ والجامع لأحكام القرآن ٣٤٠/١٤.

١-دخولها على الفعل المضارع

إذا دخلت (ما) النافية على الفعل المضارع خلّصته لمعنى الحال ، وهذا هو مذهب سيبويه وجمهور النحاة[١] وذهب ابن مالك إلى أنها لنفي الحال والاستقبال [٢] ورَدَّ على الجمهور بقول الله تعالى: (قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ)[يونس:١٥] وأُجيب بأنّ ((شرط كونه للحال انتفاء قرينة خلافه))[٣] والدليل عند ابن مالك على أن(ما) في هذه الآية لنفي الاستقبال وجود (أن) المصدرية فيها ، إلّا أنّ هذه ألأداة وردت مع (ما) النافية الداخلة على (كان) في قوله تعالى: (وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآَنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ)[يونس:٣٧] وممن ذهب إلى ذلك ابن قيّم الجوزية[٤] وكذلك ذهب الدكتور فاضل السامرائي إلى أنّها تكون لنفي الحال ولغير الحال ، فقد تدلّ على الاستمرار نحو قوله تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ) [آل عمران:٧] وقوله تعالى: (وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا)[النساء:١٢٠] وقوله تعالى: (وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا)[ألأنعام:٥٩][٥]

فالظاهر أنّ (ما) لا تكون إلّا لنفي الحال ، فالمراد من قوله تعالى : (وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا)[الأنعام:٥٩] أنّه يعلمها الآن حال

---

(١) الكتاب ٢٢١/٤ ، والغرّة المخفية لابن الخباز في شرح الدرّة الألفية لابن معط ٤٢٩/٢ وشرح المفصل لابن يعيش ٨/ ١٠٧ ، والمفضل في شرح المفصل للسخاوي ص ٧٣٦ وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ص٥ ورصف المباني ص٣١٣.

(٢) الجني الداني ص٤٦٣ .

(٣) مغني اللبيب ص ٣٠٣/١.

(٤) بدائع الفوائد ١٩٣/٤.

(٥) معاني النحو ٥٦٨/٤-٥٦٩ .

سقوطها ، وكذلك أُريد معنى الحال من استعمال(ما) في قوله تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} [آل : ٧} فقد ثبت أنّ كثيرًا من الآيات لم يفهم تفسيرها على الوجه الصحيح المفسرون القدامى والمتأخّرون وقت نزولها ، وظلّت كذلك حتى أدرك سرّ تأويلها المحدثون ، وهذا ما بحثته في كتابي : إعجاز القرآن الكريم ، ولا سيما في موضوع الإعجاز العلمي ، ومما ذكرته في مقدمة هذا الموضوع : ((ومن الجدير ذكره في هذا الباب أنَّ كل الآيات التي يتعلق تفسيرها بحقائق علمية لم يتعرف إليها العلماء إلّا حديثًا ، وقد التبس تفسيرها على المفسرين القدامى على وسع علمهم ، ليس لجهلهم ، فقد كانوا في وقتهم من أوسع الناس علمًا ودراية ورواية ، ولكن تاهوا في تأويلها واختلفوا ؛ لأنَّ هذه الآيات كان فهمها على الوجه الصحيح منوطًا بمعرفة قضايا علمية لم تكن معروفة في زمانهم ، في كل دول الدنيا وحضاراتها آنذاك ، وقد أدرك الناس تفسيرها فيما بعد ، وقد قال سبحانه : {وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ}[ص : ٨٨})) [1]

وكذلك أريد من استعمال (ما) في قوله تعالى : {وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} أن يكون المعنى: أنّ الشيطان يمارس هذا الغرور بأَتباعه الآن ولو قال : ولا يعدهم الشيطان إلّا غرورًا ، لما كان هذا المعنى مرادًا ، ولأفادت أنّ الشيطان هذه هي حقيقته وطبيعته.

ومن ذلك قوله تعالى: {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ}[البقره:١٠٥] فقد أفادت هذه الآية باستعمال (ما) تنبيه المسلمين على أنّ أعداءهم يترجمون في الوقت الحالي بأقوالهم وأفعالهم ، ما ينمُّ عن حسدهم وعدم ودّهم لِما يصيبهم من خير، فهي تتضمن حثهم على أن يأخذوا حذرهم من عدوهم ، ولو

---

(1) ينظر كتابي : إعجاز القرآن الكريم .

أُسْتُعْمِلَتْ (لا) لأفادت الآية أنّ صفتهم هذه هي حقيقة ثابتة ، دون الإشارة إلى أنهم يمارسونها الآن ممارسةً عملية.

وبهذا التفسير تُوجَّه دلالة (ما) في الآيات الأخرى ، فهي لا تكون إلّا لنفي الحال، سواء أصح فيها معنى الاستمرار كالشواهد التي مرّ ذكرها ، أم لا كالذي في قوله تعالى: (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا)[لقمان:٣٤].

وقد تستعمل(لا) مثل(ما) لنفي الحال ، إلّا أنّها تبقى على نفيها العامّ ، فيراد بها عموم الحالة لاعموم الزمن ، وذلك بشمول عناصرها جميعًا بالنفي، كما في قوله تعالى: (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ) [النبأ:٣٨].

والمعنى أنّهم لا يتكلمون بأي كلمةٍ كانت ، فقد استجابوا جميعًا لأمر الله بالصمت العامّ التامّ ، فلا كلام اليوم إلّا لله ، ولمن أذن له.

وقد ورد العطف على(ما) النافية بنافية أُخرى ، كقوله تعالى: (قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ)[سبأ:٤٩] وكثر في كلام العرب العطف على(ما) بـ(لا) كقولهم : ما ينام ولا يُنيم[1] ومن شواهده في القرآن الكريم قوله تعالى: (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً)[يونس:٦١] فقد بدأ العطف بـ(ما) وانتهى بـ(لا) لاستقصاء حالة النفي.

وورد العطف على منفي(ما) وعلى ما كان واقعًا في حيّزها، مع تأكيد هذا النفي واستقصائه بـ(لا) كقوله تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ *وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ *وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ)[فاطر:١٩-٢٢] وقوله تعالى: (وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ)[ألأحقاف:٩].

---

(1) الفاخر ص٤٢.

وكثيرا ماينتقض نفي (ما) الداخلة على الفعل المضارع بـ(إلّا) كقوله تعالى: (وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ)[البقره:٩].

ب–دخولها على الفعل الماضي

تدخل(ما) النافية على الفعل الماضي ، وتبقى (لا) أعمّ منها في استقصاء النفي، فالنفي في قوله تعالى: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ)[يس:٦٩] مسلط على جنس علم الشعر، ولو قال: ولاعلمناه الشعر لسُلِّط على كل نوع من أنواع هذا العلم ، ولصار المعنى : ولم نعلّمه أيّ علم كان من علوم الشعر كتذوقه مثلًا ونقده وحفظ شيء منه ، وما أريد هذا المعنى ، إذ لم يرد نفيه عنه مطلقًا.

فالنفي باستعمال (ما) يكون على وجه الإجمال ، وباستعمال (لا) يكون على وجه التفصيل والإعمام ، وقلّما يراد مثل هذا النفي في الفعل الماضي، وقد صلح استعماله في الدعاء ، نحو: لا أراكَ اللهُ مَكروهًا ، ولم يرد منه شاهد في القرآن الكريم ، وصلح أيضًا عند تكرار(لا) كقوله تعالى:(فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى)[القيامة:٣١] وورد نقض نفي(ما) الداخلة على الفعل الماضي بـ(إلّا) في مثل قوله تعالى: (وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ)[هود:٤٠] أو بـ(غير) كقوله تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ)[الروم:٥٥].

ولم ترد(ما) النافية للفعل المضارع جوابًا للشرط ، وإنّما وردت في هذا الموقع (ما) النافية للفعل الماضي كما في قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ)[النساء:٦٦][١].

([١]) معاني النحو ٥٦٩/٤ .

ووردت(ما) معطوفة في مثل قوله تعالى: (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) [الضحى:٣] وورد العطف عليها بـ(لا) كقوله تعالى: (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ)[يونس: ١٦٠].

وورد النفي بصيغة (ماكان له أن يفعل) ومعناه لا ينبغي له ، أو لايصحّ له أن يفعل[١] في مثل قوله تعالى: (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ)[التوبه:١٢٠] وورد انتقاض هذا النفي بـ(إلّا) في مثل قوله تعالى: (مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ) [البقره:١١٤].

وتلحق اللام خبر(كان) المنفي بـ(ما) فتسمى عند أكثر النحاة لام الجحود، كقوله تعالى: (وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)[البقره:١٤٣] والظاهر أن في هذا اللام معنى التعليل[٢].

ولكون(لم) تقلب الفعل المضارع من زمنه الحاضر الى الزمن الماضي فقد عرض لغويون الفرق بينها وبين(ما) الداخلة على الماضي، فذكر الزركشي أنّ نفي(كان) بـ(ما) يفيد النفي الكلّي ، لِما مضى من الزمان، أما نفي(يكن) بـ(لم) فيفيد نفي كل زمن من أزمنة الماضي ، فمن ذلك قوله تعالى: (وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً)[مريم:٢٠] فقد أرادت مريم عليها السلام ، أن يشمل النفي كل زمن مضى في حياتها ، لأنّها كانت أدرى بعفّتها من غيرها، أمّا قومها فقد حاجّوها ، حين شكّوا في أمر وليدها ، بعفّة أُمّها فقالوا لها : (وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً)[مريم:٢٨] فأرادوا أن يجعلوا النفي عامًّا، ليعبروا بذلك عمّا أشتهر منها ، لاستحالة أن يلازم أحد غيره في

---

(١) جامع البيان ٣/٥١٤ .

(٢) الجني الداني ص ١٥٨-١٥٩ ، ومغني اللبيب ١/ ٢١١.

كل زمن من أزمنة وجوده ، وقد احتج الزركشي، أيضا بآيات أُخَرَ في هذا الباب[1].

وهذا الفرق بينهما ، متأتٍّ من أنّ الفعل الذي تدخل عليه (لم) مضارع ، والمضارع يدل على التجدد واستمرار الحدوث بخلاف الماضي.

وذهب الدكتور فاضل السامرائي إلى((أنّ (ما) آكد من (لم))) واحتج على ذلك بشواهد من القرآن الكريم وردت فيها ما النافية الداخلة على الفعل الماضي ثم قال : ((فدلّ ذلك دلالةً واضحة على قوة نفي(ما) دون(لم)))[2].

والظاهر العكس والدليل على ذلك أنّ(ما) تدخل على المضارع فلا تؤثر في إعرابه وزمانه فيبقى مرفوعا ودالًّا على الحال ، أمّا (لم) فتدخل عليه وتؤثر في إعرابه وزمانه ، فتجزمه وتصرف معناه إلى الماضي.

فكان ينبغي له عند إثبات أيهما آكد نفيًا أن يستشهد بالآيات التي وردت فيها(ما) النافية الداخلة على الفعل المضارع لا الداخلة على الفعل الماضي .

وقد تقدم كلام الزركشي : ((أنّ نفي(كان) بـ(ما) يفيد النفي الكلّي ، لِما مضى من الزمان، أما نفي(يكن) بـ(لم) فيفيد نفي كل زمن من أزمنة الماضي ، فمن ذلك قوله تعالى: (وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً)[مريم:٢٠]))

فما ذهب إليه الدكتور فاضل السامرائي مردود بما تقدم ذكره ، يضاف إلى ذلك أنَّ الأخذ بما ذهب إليه يُعَدُّ مأخذًا يقدح باللغة العربية ، إذ قد تبيَّن أنّ للغة القرآن الكريم مسارًا حكيمًا تسير عليه ، والقول بأنّ

---

[1] البرهان في علوم القرآن ٢/٣٧٩-٣٨١ .

[2] معاني النحو ٤/٥٧٠ .

(ما) أقوى نفيًا من (لم) يحدث شرخًا في هذا المسار ؛ إذ الذي يلحظ من استعمال العرب للأدوات أنّهم كانوا يعمدون إلى تقوية لفظ الأداة بتضعيف آخرها أو إسكانه إذا أرادوا تقوية معناها من ذلك مثلًا (لا) التي استعملوها لنفي الحال والاستقبال نحو: المُؤمِنُ لا يَكْذِبُ ، كانوا إذا أرادوا تقوية هذا النفي بتأبيده ، أو تأكيده وتخصيصه بالمستقبل نقصوا حركة الألف في(لا) وقفلوها بالنون الساكنة ، ثم أظهروا قوة هذا النفي بنصب الفعل بعدها فقالوا : المُؤْمِنُ لَنْ يَكذِبَ ، وإذا أرادوا زيادة تقوية هذا النفي قفلوها بالميم الساكنة التي فيها تنضمّ الشفتان وتنطبقان انطباقًا تامًّا ثم جزموا الفعل بعدها فقالوا : المُؤْمِنُ لَمْ يَكْذِبْ ، والجزم أشد من النصب ، إذ النصب يعني تغيير الحركة أمّا الجزم فيعني قطعها ، فناسبوا بين ثلاثة أمور : لفظ الأداة ومعناها وحركة آخر الفعل ولهذا كانت(إنْ) النافية آكد نفيا من(ما) النافية[1] لأنّها أقوى منها لفظاً بإسكان آخرها ، وقد عقد إبن جني بابًا سمّاه ((قوة المعنى لقوة اللفظ))[2] وأوضح دليل على أن(لم) أشد نفيًا من(ما) بل من أدوات النفي جميعها كونها الأداة الوحيدة التي لشدة نفيها تقلب المضارع من زمن الحاضر الى زمن الماضي ، وما كان ذلك فيما يبدو إلّا لأنّ المضارع المنفي بها مقطوعٌ بنفيه فيكون بحكم المنفي ماضيًا .

وإذا كانت (لم) آكد نفيًا من(ما) فإنّ (لمّا) آكد منها أيضًا ، وقد ذكر النحاة أن(لمّا) مثل(لم) تقلب المضارع الى ماضٍ، لكنّها تختلف عن (لم) في أنّ نفيها مستمر إلى الحال ولهذا جاز : لَمْ يَكُنْ ثُمّ كانَ ، ولم يَجُزْ :

---

(1) معاني النحو ٤/٥٧٧-٥٨٠ .

(2) الخصائص ٣/٢٦٤ ، وينظر فقه اللغة العربية للدكتور كاصد ياسر الزيدي ص١٣٩ .

لَمّا يَكُنْ ثُمّ كانَ، ولامتداد النفي بعد (لَمّا) لم يجز اقترانها بحرف التعقيب بخلاف(لم)[1].

ويبدو أن(لم) هي الأصل، وأنّهُ حين أراد العرب أن يمدّوا النفي بها من الماضي إلى الحاضر ، استعانوا لتحقيق هذا الغرض بمدّ آخرها بزيادة (ما) فصارت (لَمّا) فإطالة لفظ الأداة كان لإطالة الزمن ، وقد استعملوا (ما) من دون غيرها من الحروف لتقوية معنى النفي ، بتشديد الحرف الذي تكوَّنَ من إدغام (ميم) (لم) بـ(ميم) (ما) لتستحيل كلمة واحدةً.

وتدخل(ما) النافية على الأفعال: (زال) و (بَرِحَ) و(فَتِئَ) و(انْفَكَّ) فتؤلف معها أفعالًا ناقصة تعمل عمل(كان) وأخواتها وسميت (ما) الموجبه ؛ لأنّها تدخل على النفي فينعكس إيجابًا[2].

المبحث الثالث : معنى (ما) النافية ومعاني (ما) الأُخَر

تحتمل (ما) النافية معاني أُخَر ، فقد أجاز النحاة والمفسرون أن تكون استفهامية للتوبيخ في قوله تعالى: (أَلا إِنَّ لِلّهِ مَن فِي السَّمَاوَات وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ شُرَكَاء إِن يَتَّبِعُونَ إِلّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ)[يونس:٦٦] وقيل إنّها موصولة ، والصحيح أنّها نافيةٌ بدلالةِ قولهِ تعالى: (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلّا الظَنَّ) والمعنى: أنهم ما اتبعوا شركاء لله تعالى ، وإنّما اتبعوا أشياءَ ظنّوا أنّها كذلك والمراد تقبيح أعمالهم[3].

---

(1) الجني الداني ص٢٨٢-٢٨٣ ومغني اللبيب ٢٧٨/١-٢٧٩ .

(2) الحلل في إصلاح الخلل ص٣٤٤ ، وشرح إبن عقيل ٢٦٣/١ .

(3) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج ٩١٩/٣ومشكل إعراب القرآن٣٤٩/١، والكشاف ٣٥٧/٢-٣٥٨.

وأجاز النحاة أن تكون مصدرية أو موصولة في قوله تعالى: (يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ) [هود:٢٠] بعد أن أجازوا أن يكون أصلها ، بما كانوا يستطيعون السمع ولا يفعلون ، وهذا وجه ذكره الفرّاء[١] ووصفه الطوسي[٢] بأنّه (مليح)، وعللاه بأنّ سقوط الباء جائز نحو: لَأَجْزِيَنَّكَ ماعَمِلْتَ ، وَبِماعَمِلْتَ ، وأجازوا أن تكون مصدرية ظرفية ، والمعنى : يضاعف لهم العذاب مدة استطاعتهم السمع والإبصار ، والظاهر أنّها نافية ، والمعنى : أنّهم لايستطيعون أن يسمعوا الحق سماع منتفع ، ولا يبصرونه إبصار مهتد ، وهو الوجه الذي اختاره الطبري[٣] وذكر أنه هو الصواب، وذكر الزجاج[٤] في تفسير الآية ، أنهم لشدة كفرهم بالله لا يستطيعون أن يسمعوا كلامه ، سبحانه ، ويبدو أنّه أحسن الوجوه ، وهو استعمال معروف في كلام العرب ، يقولون مثلًا : فُلانٌ لا يستطيع أن ينظر إلى فلانٍ، إذا كان ذلك ثقيلًا عليهِ[٥] والمراد ما هم عليه من صمم القلب وعمى البصيرة[٦] وهذا هو الوجه الذي رجحه جمهور النحاة والمفسرين[٧].

---

(١) معاني القرآن٢/٨.

(٢) التبيان في تفسير القرآن٥/٤٦٤-٤٦٥.

(٣) جامع البيان١٥/٢٨٦-٢٨٧.

٤) معاني القرآن وإعرابه٣/٤٥.

٥) إعراب القرآن للنحاس٢/٨٤.

(٦) مفاتيح الغيب١٧/٢٠٦.

(٧) مشكل إعراب القرآن١/٣٥٧، والبيان في غريب إعراب القرآن٢/١٠ والتبيان في إعراب القرآن٢/٦٩٣، ورصف المباني ص٣١٤.

وذكر الدكتور فاضل السامرائي أنّ ثمة فرقًا في المعنى بين قولنا : ما كانَ يَقْرَأُ القُرآنَ، وقولنا : كانَ لا يَقْرَأُ القُرآنَ ، وبيَّن أنّ العبارة الثانية تفيد تعمد عدم الفعل، بخلاف الأولى ، ومن هنا يتحدد الفرق بين قوله تعالى: (وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ) [القصص:٨٦] وقوله تعالى: (إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا)[النبأ:٢٧] ففي الآية الأولى أخبر الله تعالى عن نبيّه قبل البعثة أنّه لم يكن يفكّر في أمر الرسالة ، لأنّه لم يكن له بها علم ، فلم يكن ذلك منه تعمدًا ، بخلاف الآية الثانية التي تعني أنّ الكفار كانوا لا يرجون اليوم الآخر عن تعمد وإنكار ، وكذلك فرّق في المعنى بين قوله تعالى: (ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ السمَّعَ) وقوله تعالى: (وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا) [الكهف:١٠١] بأنّ الآية الأولى ((لا تعني نفي السمع عنهم كما في الآية الثانية ، بل تعني أنّهم كانوا يسمعون، إلّا أنهم كانوا يستثقلون سماع الحق))[1].

وفي ما ذهب إليه نظر ، ويحتاج إلى إيضاح وتعقيب ؛ فالنفي في قوله تعالى: (وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ) مسلّطٌ على (كان) أي : على معنى الكينونة ، لا على معنى الرجاء ، وهذه الكينونة غير واحدة في كل مثال ، فهي تختلف حسب السياق والمقام ، فقد يُقصَد بها أمر يفيد معناه رفع اللوم عن صاحبها ، كهذه الآية ، ذلك أن المقصود من الكينونة فيها عدم علم رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأنّه سيكون رسولاً ، كما صرح الدكتور السامرائي بذلك وهو المقصود الصحيح المفهوم من السياق ، إلّا أنه لو قصد بها غير هذا المعنى لاختلف الأمر، فلو قصد بها مثلًا اشتغاله عن أمر الرسالة بتجارة الدنيا–حاشاه– لما أفادت رفع اللوم عنه ، والنفي في قوله تعالى: (ما كانُوا يَسْتَطِيعُونَ

---

(١) معاني النحو ١/٢٣٩–٢٤٠.

السمَّعَ) مسلط على كان أيضًا ، لكنّه لا يفيد رفع اللوم عنهم كما رفع عن رسول الله صلى الله وعليه وسلم ؛ وإنّما لا يفيد هذا المعنى لاختلاف معنى الكينونة في هذه الآية عن تلك ، فقد قُصِدَ بها هنا شدّة الكفر الذي أدى إمعانهم فيه إلى أنْ يكونوا في الحالة التي بيّنها النحاة والمفسرون.

وأجازوا أن تكون (ما) مصدرية في قوله تعالى: (تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ)[القصص:٦٣} والتقدير: تبرأنا إليك من عبادتهم إيانا ، والأصل : بما كانوا إيانا يعبدون[1] والراجح أنّها نافية ، والمعنى: إنا تبرأنا منهم ، ماكانوا يعبدوننا ، بل كانوا يعبدون أهواءهم ونظيره قوله تعالى في موضع آخر: (وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ) [يونس:٢٨].

وقطع الطبري أن تكون (ما) الثانية موصولة في قوله تعالى (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ){القصص:٦٨} ومنع أن تكون نافية[2] وردّ عليه مكّي ، فمنع أن تكون موصولةً ، وأوجب أن تكون نافية ، والمعنى : وربك يا محمد يخلق ما يشاء ويختار لولايته ورسالته من يريد ، ثم ابتدا الكلام فنفى الاختيار عن المشركين وبيَّن أنهم لا قدرة لهم عليه فقال: (ماكانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ)[3] وهذا هو الوجه الظاهر من سياق الآية[4].

---

(1) إعراب القرآن المنسوب الى الزجاج٣/٩٢٠،والبيان في غريب إعراب القرآن٢/٢٣٥ والتبيان في إعراب القرآن٢/١٠٢٤.

(2) جامع البيان٢/١٠٠-١٠٢.

(3) مشكل إعراب القرآن٢/٥٤٧-٥٤٨.

(4) معاني القرآن للفرّاء ٢/٣٠٩ ومعاني القرآن وإعرابه ٤/١٥٢ والتبيان في تفسيرالقرآن٨ /١٥١ والكشاف٣/٤٢٧ والتبيان في إعراب القرآن٢/١٠٢٤ ومعترك الأقران في إعجاز القرآن٢/٣٨٥.

وأجازوا أن تكون (ما) موصولة في قوله تعالى: (لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ)[يس:٦] والتقدير : بما أنذر آباؤهم[١] وأجاز بعضهم أن تكون مصدرية ، والتقدير : لتنذر قوما إنذارًا مثل إنذار آبائهم[٢]، ومنهم من ذهب إلى زيادتها[٣] ورجّح أكثر النحاة والمفسرين أن تكون نافية ؛ بدلالة قوله تعالى (فَهُمْ غَافِلُونَ) وقوله تعالى في سورة [القصص:٤٦] : (لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) والمعنى: لتنذر قوما لم يُنذر آباؤهم ، والمقصود بالآباء الأدنون منهم لا الأباعد[٤].

وأجازوا أن تكون (ما) موصولة في قوله تعالى: (فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ)[هود:٦٩] والتقدير : الذي لبثه إبراهيم عليه السلام ، قدر مجيئه ، وأجاز آخرون أن تكون مصدرية ، والتقدير : لبثه مقدار مجيئه ، وهذه التأويلات لاتخلو من تكلفٍ والوجه أنّها نافية[٥].

وفي قوله تعالى: (وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ *إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ)[يس:٢٨-٢٩] قال مكي وابن الأنباري: (((وَما كُنّا مُنْزِلِينَ) (ما) زائدة عند أكثر العلماء ، ولم يشيرا إلى وجه النفي ، وقال بعضهم : هي اسم في موضع خفض

([١]) جامع البيان ١٥٠/٢٢.

([٢]) مشكل إعراب القرآن٥٩٩/٢ والبيان في غريب إعراب القرآن٢٩١/٢.

([٣]) التبيان في إعراب القرآن١٠٧٩/٢.

([٤]) معاني القرآن للفرّاء٣٧٢/٢ ومعاني القرآن للأخفش ٤٤٩/٢ ومعاني القرآن وإعرابه ٢٧٨/٤، وإعراب القرآن للنحّاس ٧٠٩/٢ والبغداديات ص٣٥٦ والكشاف ٤/٤-٥ ومفاتيح الغيب ٤٢/٢٦-٤٣ ومغني اللبيب ٣١٥/١.

([٥]) التبيان في إعراب القرآن٧٠٦/٢.

عطف على جند ، وهو معنى غريب حسن))[1] أي: موصولة والمعنى: ومما كنّا منزلينه على مَنْ قبلهم من حجارة ، أو أمطار أو ريح[2] وذكر العكبري أن (ما) هنا نافية ثم قال: ((ويجوز أن تكون زائدة ، أي: وقد كنّا منزلين))[3] وردَّ أبو حيان على أبي البقاء قوله بجواز الزيادة ووصفه بأنّه ليس بشيء[4] ويبدو أنّه لم يطّلع على كلام مكي وابن الأنباري اللذين قالا بزيادة (ما) قبل العكبري .

ولم يشر العلماء الذين اطلعتُ على تفاسيرهم إلى وجه الزيادة والمشهور عندهم أنّ (ما) نافية ، ذلك أنّ إنزال الجنود لا يكون إلاّ لعظائم ألأمور كإنزالهم يوم بدر ، أمّا هؤلاء فليسوا بأحقّاء بأن يُنَزِّلَ الله عليهم ملائكة لإهلاكهم ، فالأمر أيسر من ذلك تحقيرًا لشأنهم بل أُهْلِكُوا بصيحةٍ واحدة[5].

فالوجه الذي ذكره مكي وابن الأنباري بأنّ (ما) في قوله تعالى : (((وَما كُنّا مُنْزِلِينَ) زائدة عند أكثر العلماء بأنّه قول أكثر العلماء ، فيه نظر ؛ لأنّه يأباه السياق، ولم أجد أحدًا اختاره من النحاة أو المفسرين.

---

(١) مشكل إعراب القرآن٢/٦٠٢، والبيان في غريب إعراب القرآن٢/٢٩٤.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ص٥٨٤.

(٣) التبيان في إعراب القرآن٢/١٠٨٠.

(٤) البحر المحيط٧/٣٣٢.

(٥) جامع البيان٢٣/١-٢،والكشاف٤/١٢ وزاد المسير٧/١٤ ومفاتيح الغيب٢٦/٦٢ والجامع لأحكام القرآن١٥/٢٠-٢١ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٣/٥٦٩ وفتح القدير٤/٣٦٧.

ويترجّح أن تكون (ما) نافيةً إذا عطف عليها بـ(لا) كقوله تعالى: (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ) [ألأحقاف:٢٦] ويؤيد ذلك دخول (مِن) زائدة للتوكيد[١].

الفصل الثالث : (ما) الزائدة

يظن كثير من الأساتذة والباحثين أنّ النحاة منقسمون بشأن الحروف الزائدة في القرآن الكريم ، أنّ هناك من قال بها وهناك من ردّ هذا القول ونزّه كتاب الله من كل حرف زائد لا معنى له.

والحقيقة أنّ النحاة غير منقسمين في هذه المسألة وغير مختلفين إلّا في استعمال المصطلح ، فهم جميعًا أجازوا مجيء حروف زائدة في القرآن الكريم ، وعبّروا عن ذلك بمصطلحات الزيادة واللغو والحشو والصلة والإقحام، والذين قيل عنهم بأنّهم ردّوا من قال بالزيادة ونزّهوا القرآن منها ومن مصطلحاتها ، فإنّ ردهم وتنزيههم هذا كان مقتصرًا فقط على أنّ هذه الحروف ليست زائدة وإنّما تفيد معنى التوكيد ، وهذا هو عين ما صرّح به من قال بالزياده أو اللغو أو الحشو أو الصلة أو الإقحام ، فحين يذكر نحوي أنّ هذه الحروف زائدة إنّما يقصد أنّها لا تفيد معنى أساسيًّا إلّا معنى التوكيد ، فمن قال بأنّها زائدة أراد بأنّها مؤكِّدة ، ومن قال بأنّها مؤكِّدة عنى بأنّها زائدة ، فالزيادة والتوكيد استعملا في النحو العربي مصطلحين مترادفين.

في ضوء هذه الحقيقة نقول فيما يخصّ البحث : إنّه كثر القول بزيادة (ما) حتى قيل : إنّ كُلًّا من (لمّا) الحينية و (لمّا) الجازمة مركبة من (لم) النافية و(ما) الزائدة[٢].

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن ٣٧٢/٢.

(٢) جامع البيان ٢٨٩/٤ وبدائع الفوائد ٩٣/١ والبرهان في علوم القرآن ٣٨١/٤.

ويجمع النحاة والمفسرون على جواز مجيء (ما) زائدة في القرآن الكريم لمعنى التوكيد وشذّ قول أبي علي النحوي الذي أجاز أن تكون ((زائدة لغير التأكيد))[١] وبيّن ذلك بقوله : ((فكما جاز أن يزيدوا الحروف لغير المعاني...كذلك يجوز زيادة هذه الحروف في التنزيل))[٢].

والذين أنكروا القول بزيادة (ما) كالذي نُسِبَ إلى داود الظاهري[٣] (ت٢٧٠هـ) وابن درستويه[٤](ت٣٨٥هـ) وغيرهما[٥] كانوا يعنون إنكار الزيادة لغير معنى واستعمال هذا المصطلح ؛ لذلك دعا الزركشي إلى اجتناب لفظ (الصلة) أو (الزائدة) وأن يستبدل بهما (المؤكِّدة) لأنه ليس في القرآن حرف إلّا وله معنىً والزائد مالامعنى له([٦]).

وإن عرّفوا (ما) الزائدة بأنّها ((تُجْعَلُ صِلَةً في المواضع التي دخولها وخروجها فيها سواء)) كما قال الفرّاء[٧] فهم يعنون أيضًا أنّها لا تفيد معنًى أساسيًّا يضاف إلى الجملة إلّا معنى التوكيد ، فالمعنى الأساسي للجملة لا يتغير، ولا يتأثر بدخول (ما) عليها أو خروجها منها ، وفي هذا يقول الرضي ((إنما سُمِّيَتْ زائدة ؛ لأنّه لا يتغير بها أصل المعنى ، بل لا يزيد بسببها إلّا تأكيد المعنى الثابت وتقويته ، فكأنّها لم تفد شيئًا))[٨].

([١]) البغداديات ص٣٤٤.

([٢]) المصدر نفسه ص٣٤٤-٣٤٥.

([٣]) البرهان في علوم القرآن٢/١٧٨ وترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان٢/٢٥٥.

([٤]) الفهرست لابن النديم ص٩٤.

([٥]) مفاتيح الغيب٢/١٣٥.

([٦]) البرهان في علوم القرآن٢/١٧٨، ٤/٤٠٩.

([٧]) معاني القرآن٢/٣٩٩.

([٨]) شرح الرضي على الكافية٤/ ٤٣٢.

فلا خلاف إذن بين من قال بزيادة (ما) أو أنكرها إلّا في استعمال المصطلح ، وأوجز الهروي (ت٤١٥هـ) هذه المسألة بقوله: ((بعضهم يسميها زائدة وبعضهم يسميها صلةً ، وبعضهم يسميها توكيدًا ، ولا يسميها زائدةً ولا صلةً ؛ لئلا يظنّ ظانٌّ أنّها دخلت لغير معنى البتة))[١].

ومن الدارسين المحدثين مَنْ دعا إلى عدم استعمال لفظ (الزيادة)[٢] ومنهم من لم ير بأسًا في استعمالها[٣].

فمن جهة المعنى أنّ (ما) الزائدة تستعمل للتوكيد، أمّا من جهة اللفظ والإعراب فقد جعلها النحاة على ضربين : زائدة لا تغير إعرابًا ، وزائدة يتغير فيها الإعراب، كدخولها على (إنَّ) وأخواتها، فتكفّها عن العمل[٤].

ومن النحاة من أخرج الضرب الثاني من معنى الزيادة اللفظية ، فرأوا أنه لا ينبغي أن نسميها زائدة من جهة الإعراب ، إذا وقعت كافةً أو مهيئةً أو أفادت معنى الحصر ؛ إذ الزيادة الإعرابية تعني تلك التي لاعمل لها ، ولا تؤثر في عمل غيرها ، فإذا أثّرت فيه لم تكن زائدة[٥].

إلّا أن القول بزيادة (ما) للتوكيد يحتاج إلى تفسير، ويبدو أنّ النحاة لم يقدموا لها تفسيرًا ، وفي ذلك يقول ثعلب : إنَّ البصريين الذين يذهبون إلى أنَّ (ما) زائدة للتوكيد في قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ)

---

(١) الأزهية ص٧٦.

(٢) معجم الجملة القرآنية،الحروف الزائدة/ القسم الأول ص٩٨ ، ١١٢.

(٣) دراسة في حروف المعاني الزائدة،عباس محمد السامرائي ص١٥٥ ، ١٨٧.

(٤) المقتضب٢/٥٤ وكتاب الجمل للزجّاجي ص٣٢١-٣٢٢ وشرح جمل الزجّاجي لابن عصفور ٢/٤٥٧.

(٥) إعراب القرآن للنحّاس٢/٥٦٧ والبغداديات ص٢٩١ والإيضاح في شرح المفصّل٢/٢٢٧-٢٢٨ وشرح الرضي على الكافية ٤/٤٣٥.

[آل عمران:١٥٩] كانوا إذا سُئِلوا ((كيف هي توكيد يقولون : لا ندري))[1]

ويقول الشيخ الدكتور عبد الرحمن التاج في بحثه الذي جعله بعنوان (حروف الزيادة وجواز وقوعها في القرآن الكريم) : إنَّ النحاة الذين قالوا : إنَّ(ما) زائدة للتوكيد ((لم يبينوا من أي طريق كانت إفادة التوكيد)) وبيّن أنّه لا بد من معرفة أصل معناها ، فإن جرّدناها من هذا الأصل ((فإنّها تكون عندئذٍ حشوًا ولغوًا لا تفيد توكيدًا ولا غير توكيد ، إنّها تكون حينئذٍ كالأصوات الساذجة التي لاتدل على معنى ، ومثل هذا لا يقع في الكلام الفصيح ، بل لا يكون في كلام عقلاء يعنون ما يقولون))[2].

تبيّن في الفصل الأول من الباب الأول أَنَّ (الذي) تستعمل في الكلام تعبيرًا عن ذات الموصوف وعن ماهو معرفة ؛ لذلك يصحّ إظهار موصوفها وتستعمل (ما) تعبيرًا عن صفة الموصوف وعمّا هو نكرة عامة لذلك لا يصحّ إظهار موصوفها ، وهذه الفروق الأساسية بينهما تقضي باختلاف أحكامهما.

وقد اتخذت (ما) ثلاث حالات خالفت فيها أحكام (الذي) فنشأ من كل حالةٍ أصلٌ من أُصول القول بزيادتها:

الأولى : ورودها بمعنى صلتها.

الثانية : حذف صلتها.

الثالثة : إفراد صلتها.

وعلى هذه الفروع الثلاثة لأصل (ما) الزائدة بُنيت مباحث هذا الفصل .

---

(١) مجالس ثعلب ص٢٤٩.

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء الثلاثون، شوال ١٣٩٢هـ، نوفمبر ١٩٧٢م، ص٢١-٢٧.

المبحث الأول : (ما) التي بمعنى صلتها

المشـهور عنـد النحـاة أنَّ (إنَّ) وأخواتهـا إذا اتصـلت بهـا (مـا) بطـل عملهـا ، فيرفـع الاسم بعـدها علـى الابتـداء ، ويصـحّ عندئذ دخولهـا علـى الجملـة الفعليـة والاسمية علـى حدّ سواء ، وسموا (مـا) هذه (مغيِّرة) ؛ لأنّهـا غيرت عمل (إنّ) كما سموها (كافّة) ؛ لأنّها كفتها عن العمل ، و(موطِّئة) أو (مهيِّئة) ؛ لأنها هيّأتها للدخول على الجمل الفعلية[1].

و(إنّما) بالكسر تفيد الحصر عند جمهور النحاة[2] وفي تعليل إفادتها هذا الغرض ذهبوا مذهبين، ، فرأى فريق منهم أنَّ (إنّما) لم تفد الحصر ، لأنّه اجتمع فيها توكيدان (إنْ) و(ما) ، وذكروا أنّه لو صحَّ ذلك للزم معنى الحصر في كل تركيب مماثل ، نحو: إنَّ زيدًا لقائمٌ ، ونحو: أحلفُ بالله إنَّ زيدًا لقائمٌ ، فجمع بين ثلاث مؤكدات : القسم، و(إنّ) و(اللام) ، ولا يفيد هذا الحصر باتفاق[3] وذهبوا إلى أنّ (ما) الكافة مع (إنّ) نافية ، وإنّ ذلك سبب إفادتها الحصر ، فلا يجوز أن يتوجها معا إلى شيء واحدٍ، ؛ لأنّه تناقض ، ولا أن يحكم بتوجه النفي للمذكور بعدها ، لأنّه خلاف الواقع ،

---

(1) الكتاب ٢/ ١٣٧-١٣٨ ، ٣/ ٥٧، ١١٦، ٣٣١ ومجالس ثعلب٢/٣٤٣ والموفقي في النحو ، مجلة المورد ص١٢٣ ومعاني القرآن وإعرابه٣/٣٦٧ وشرح اللمع لابن برهان العكبري١/٧٦ والجمل لعبد القاهر الجرجاني ص٣٢٢ والمقتصد في شرح الإيضاح١/٤٦٧ والإيضاح في شرح المفصّل٢/١٦٢-١٦٣ وشرح عمدة الحافظ ص٣٢٢ ورصف المباني ص٣١٧-٣١٨، وتذكرة النحاة ص٦٢٠.

(2) معاني القرآن وإعرابه١/٢٤٣، ودلائل الإعجاز ص٢٥٢-٢٥٣، ومعاني الأدوات والحروف والإعراب المنسوب إلى ابن الحسين البخاري ص٣٧٠ والكشاف٣/١٣٩ والأمالي الشجرية٢/٢٤٣ والتبيان في إعراب القرآن١/٢٩ ومفتاح العلوم للسكّاكي٥١٠-٥١٢ والبرهان الكاشف عن وجوه البيان ص١٦١-١٦٢ وبدائع الفوائد ٢/١٢٨ وتذكرة النحاة ص٥٦٥-٥٦٦.

(3) الأشباه والنظائر٤/١٤٠.

فتعيّن صرفه إلى غير المذكور ، وصرف الإثبات إلى المذكور ، فجاء الحصر فيكون ((معنى(إنّما) إثباتٌ لما يذكر بعدها ونفيٌ لما سواه))[1] ونسبوا هذا المذهب إلى الكوفيين ، ونُسب أيضًا إلى جماعة من الأصوليين[2] وذكر ابن هشام أنّ مذهبهم هذا مبنيٌّ على مقدمتين باطلتين بإجماع النحاة :

الأولى : أنّ (إنَّ) ليس للأثبات وإنّما لتوكيد الكلام إثباتًا ، نحو : إنَّ زيدًا لَقائم ، أو نفيًا، نحو : إنَّ زيدًا ليسَ بقائمٍ.

والثانية: أنّ (ما) ليست للنفي[3].

وقد جهَّلَ أبو حيان القائلين بهذا الوجه ووصفه ((بأنه قول من لم يقرأ النحو ولا طالع قول أئمّته))[4].

ورأى الفريق الثاني أنَّ (إنّما) أفادت الحصر ؛ لأنّ (إنَّ) للتوكيد و(ما) للتوكيد فضاعف تأكيدها ، وذكروا أنّ معنى الحصر ليس إلا تأكيدًا للحكم على تأكيد ، واتهموا الذين ذهبوا الى أنّ (ما) للنفي بأنّهم لاعلم لهم بالنحو[5].

وخلاصة ماتقدم من كلام الفريقين : أنّ الذين ذهبوا إلى أنَّ (إنَّما) للحصر ؛ لأن (إنَّ) للإثبات و(ما) للنفي ، أثبتَ غيرهم عدم صحة ذلك بما يجمع عليه النحاة ، وكذلك الذين ذهبوا إلى أنَّ (إنَّما) أفادت الحصر لاجتماع توكيدين أبطل غيرهم هذا الرأي بما يجمع عليه النحاة أيضًا ، فقد استطاع كل منهما أن يبطل حجة الآخر ، فيكون القول بإفادة (إنَّما)

---

(1) تهذيب اللغة للأزهري١٥/٥٣٥.

(2) مغني اللبيب ١/٣٠٨-٣٠٩.

(3) مغني اللبيب ١/٣٠٨-٣٠٩.

(4) إرتشاف الضرب ٢/١٥٧.

(5) الأشباه والنظائر ٤/١٤١.

الحصر غير مستند إلى دليل صحيح يؤيده ، ولا إلى توجيه مقنع يفسره ؛ لذلك صرح نحاة بأنّ (إنَّما) ليست للحصر[1] وذكر أبو حيان أنّ الحصر لا يفهم من أخواتها ، فلا فرق مثلًا بين: لعلَّ زيدًا قائمٌ ، ولعلّما زيدٌ قائمٌ ، إذ إنَّ (ما) مع (إنَّ) شأنها شأن (ما) مع (كأنَّ) و(لَعَلَّ) فكما أنّها لا تفيد الحصر في التشبيه ولا الحصر في الترجي، فكذلك لاتفيده مع (إنَّ)[2].

فيبدو أنّ(ما) لم تستعمل للحصر ، ولا لإبطال عمل (إنَّ) وأخواتها ، وهذا يعني أنّه لابد أن تكون قد استعملت لمعنًى آخر، وقد تبيّن في الفصل الأول أنّ النحاة أكدوا أنَّ الاسم الموصول يستعمل في الكلام وصلةً لوصف موصوفٍ ما ، بصلته الواقعة جملةً ، إلّا أنّ هذا الموصوف لا بدّ أن يكون المقصود منه عنصرًا من عناصر جملة الصلة ، فقد يكون المقصود منه مثلًا الضمير المضاف إليهِ في نحو: أَقْبَلَ الذي كِتابُهً في يَدِه ، أو الفاعل ، نحو: سَرَّني مَنْ نَجَحَ، أو المفعول به نحو: أَعْجَبَنِي ماصَنَعَهُ زَيْدٌ ، وفي هذا المثال تسمى (ما) موصولةً ، وقد يكون المقصود منه مصدر جملة الصلة ، نحو : أَعْجَبَنِي ما صَنَعَ زَيْدٌ، ، أي : صُنْعُهُ ، وتسمى (ما) حينئذٍ مصدرية ، أو زمانية ، نحو أُصاحِبُكَ ما تَصْدُقُ، فتكون(ما) مصدرية ظرفية ، وقد لا يكون المقصود من هذا الموصوف أحد هذه العناصر بل الصلة نفسها ، بعناصرها جميعها ، فيكون بمعناها ، ولوجوب حذفه نابت (ما) منابه وأخذت حكمه ودلالته ، فصارت عندئذ تعني الجملة التي بعدها ، لذلك لم تحتج الى رابط ؛ لأنّها صارت علاقتها بها علاقة الخبر الذي هو نفس المبتدأ في المعنى نحو : الشجاعةُ أنْ تَقولَ الحقَّ ، وأن تقولَ الحقَّ شجاعةٌ ، ونحو: قولي لا إله إلّا الله ، ، ولا

([1]) شرح اللمع لابن برهان العكبري١/٧٤-٧٥.

([2]) البحر المحيط٥/٨٨، ١٤٢، ٦/٣٤٤، وينظر: دراسات لأسلوب القرآن، القسم الأول١/٥١٤-٥١٥.

إلـه إلّا الله قولي[1] فصـارت إحداهما بمعنـى الأخرى ، وهذا مما جعل(ما) تـدل علـى معنـى الأمـر، أو الشـأن ونحـو ذلـك ، كمعنـى الحقيقـة أو الأمـر الطبيعـي ، أو الحاصـل فـي الواقـع ، فـإذا قلنـا مـثلًا : إنَّمـا زيـدٌ شـاعِرٌ ، عنينا : أنَّ الأمر هو أن زيدًا شاعِرٌ ، كأنّما نريدُ أن نبيّن أنَّ شاعرية زيد حقيقةً من الحقائق.

وتكلم النحاة على(ما) التي بهذا المعنى ، وجعلوها في باب (المعرفة التامّـة) وذكـروا أنّهـا ليسـت موصـولة تحتـاج إلـى صـلـة ، ولا هـي موصـوفة تحتـاج الـى صـفة ، وقـد مثـل لهـا سيبويه بقولـه : ((إِنِّـي مِمّـا أَنْ أَفْعَلَ ذلِكَ كأنّـه قال: إنـي من الأمـر أو مـن الشـأن أن أفعلَ ذلـك ، فوقعت (مـا) هذا الموقع))[2] وقال الأخفش في(ما) في هذا المثال : إنّها ((هاهنا وحدها اسم ، كأنّـه قال : إنـي من الأمر ، ومـن أمـري : صـنيعي كذا وكذا))[3] وجُعِلَ نحو: إن زيدًا مِمّا أن يَكتُبَ ، بمعنـى: ((أنـه مخلـوق من أمر ذلك الأمر، وهـو الكتابـة))[4] وقـال ابـن هشـام فـي (مـا) مـن ((مِمّـا يَقـومُ)) فـي قـول الشـاعر :

أَلِفَ الصُّفونَ فما يزالُ كَأَنَّهُ   مِمّا يقومُ على الثلاثِ كَسِيرًا

إنَّ معنـاه : ((أَلِفَ الصـفونَ علـى الـثلاث ، فـلا يـزال ثانيًـا إحـدى قوائمه حتى كَأنه مخلوقٌ من قيامه على الثلاث))[5] فجعل(ما) هنا بمعنى الحقيقـة أو الأمـر المخلـوق ، أو الواقـع ، وقـد أجـاز نحـاة جعلهـا فـي هـذا البيـت بمنزلـة (الـذي) والتقدير عنـدهم : كأنـه مـن الخيـل الـذي يقـوم علـى

([1]) شرح إبن عقيل ٢٠٤/١.

([2]) الكتاب١٥٦/٣.

([3]) معاني القرآن ٣٨/١.

([4]) الأزهية ص٩٠،ومغني اللبيب ٢٩٨/١.

([5]) مغني اللبيب ٣١٨/١.

الثلاث كسيرًا[١]. وهذا يعني: أنّ هناك خيلًا خُلِقَتْ على هذه الطبيعة ، وأنّ الشاعر يشبه فرسه بها وهذا خلاف الواقع ، فليس هناك خيل بهذه الصفة ؛ لذلك لا يصحّ أن تكون (ما) بمنزلة (الذي) بل هي بالمعنى الذي ذكره ابن هشام.

وذكر ثعلب أنّ نحو : إنَّما قامَ زَيدٌ ، هو بمعنى: إنّه قامَ زيدٌ[٢] فجعل (ما) كضمير الشأن ، وقد نُسِبَ إلى الكوفيين وابن درستويه أنّهم زعموا أنّ (ما) مع (إنَّ) وأخواتها ، اسم مبهم بمنزلة ضمير الشأن في التفخيم والإبهام ، وأنّ الجملة بعده مفسرةٌ ومخبرةٌ بها عنه[٣] وهذا ما ذهب اليه الدكتور الجواري[٤].

وهذا المذهب وإن أنكر صحته ابن هشام [٥] يبدو أنّه أقرب الأقوال إلى الغرض الذي تؤديه (ما) في (إنَّما) وللتقدير الذي ذكره ابن هشام نفسه في الأمثلة التي استشهد بها، إذ إنَّ (ما) أعطت معنى الحقيقة الظاهرة المعلومة التي لا تُنكر.

وقد أوضح عبد القادر الجرجاني هذه المسألة عندما عرض الفرق بين أسلوب (إنَّما) وأسلوب (ما) و(إلاّ) في الكلام ، فقال : ((اعلم وإنّهم وإن كانوا قد قالوا : (إنَّما) بمعنى(ما) و(إلاّ) فإنّهم لم يعنوا في ذلك أنّ المعنى في هذا هو المعنى في ذاك بعينه ، وأنّ سبيلهما سبيل اللفظين يوضعان لمعنى واحد)) وقال: ((إنّما موضوع (إنّما) على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته ، تفسير ذلك : إنّكَ تقول للرجل : إنَّما

---

(١) الأزهية ص٨٥ وشرح شواهد المغني للسيوطي ص٧٢٩-٧٣٠.

(٢) مجالس ثعلب ص٢٧٢.

(٣) دلائل الإعجاز ص٢٥٣ وإرتشاف الضرب١٥٧/٢.

(٤) نحو المعاني ص١٣٣-١٣٤.

(٥) ينظر : ٣٠٧/١ .

هو أخوكَ، وإنَّما هو صاحبك القديم ، ولا تقوله لمن يجهل ويدفع صحته ، ولكن لمن يعلمه ويُقِرُّ بِهِ ، إلّا أنَّك تريد أن تنبّهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب)) وقال: أمّا (ما) و(إلّا) ((فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه ، فإذا رأيت شخصًا من بعيد، فقلت ماهوَ إلاّ زيدٌ ، لا تقوله إلاّ وصاحبك يتوهم أنّه ليس بزيد وأنّه إنسان آخر)) وعلى هذا الأساس فرق الجرجاني بين الآيات القرآنية التي استعملت فيها (إنّما)، وبين التي استعملت فيها(ما) و(إلاّ) فذكر في قوله تعالى: (إِنْ أَنتُمْ إِلّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا)[إبراهيم:١٠] أنّه ((إنّما جاء، والله أعلم، بـ(ما) و (إلاّ) دون (إنّما) فلم يقل: إنّما أنتم بشرٌ مثلنا ؛ لأنّهم جعلوا الرسل كأنّهم بادعائهم النبوة قد أخرجوا أنفسهم من أن يكونوا بشرًا ، ثم جاء الجواب من الرسل : (إِن نَّحْنُ إِلّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ)[إبراهيم:١١])) لأنّه أراد ((أن يعيد كلام الخصم على وجهه ، ويجيء به على هيأته ويحكيه كما هو)) ثم بيّن أنّه استعمل(إنَّما) في قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُم)[الكهف:١١٠] لأنّه ابتداء كلام وليس جوابًا لكلام سابق قد قيل فيه : إن أنت إلّا بشرٌ.

وأجمل الكلام في ذلك بقوله : ((وجملة الأمر أنّك متى ما رأيت شيئًا هو من المعلوم الذي لا يشك فيه الذي حقه أن يِؤدّى بـ(إنَّما) قد جاء بالقرآن الكريم بالنفي(ما) و(إلاّ) ، فذلك لتقدير معنى صار به في حكم المشكوك فيه))[1].

وهذا ما ذكره الزملكاني[2] والعلوي[3] أيضًا وهو أنّ (إنّما) يكون لِما لا يجهله المخاطب ، أو ما ينزل منزلته ، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم

---

(1) دلائل الإعجاز ٢٥٥-٢٥٧.

(2) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ص١٦٣- ١٦٤، ١٦٦_ ١٦٧.

(3) الطراز ٢/ ٢٠١.

قولــه تعــالى (إنّمــا أنــتَ نَــذيرٌ) [هــود: ١٢] وقولــه تعــالى: (إنّمــا أنــتَ مُنذرٌ)[الرعد: ٨] وقولـه تعـالى: (إنّمـا يَخشـى اللهَ مـنْ عبـادهِ العُلمـاءُ)[فاطر: ٢٨] وقد جعل البطليوسـي مـن أنـواع (مـا) مـا يفيـد هـذا المعنـى ، فقـال : ((ومنها التي توصل بـ (إنّ) فتفيد معنى رد الشـيء إلـى حقيقتـه[1] واستشـهد على ذلك بقوله تعالى: (إنّما اللهُ إلهٌ واحدٌ)[النساء: ١٧].

و(ما) هذه التي فصّل الجرجاني معناها وغرض استعمالها سماها النحاة (كافة) ، وقد تحتمل للموصولية ، ففي قوله تعالى: (إنّما هوَ إله واحدُ)[الانعام: ١٩] جاز أن تكون (ما) موصولة اسم (إنّ) وصلتها جملة (هوَ اله) و (واحدٌ) خبر (إنّ) والوجه أنّها كافة ، أي: هي بالمعنى الذي ذكره الجرجاني ، و (هو) مبتدأ و (إله) خبره و (واحد) صفة[2].

ويختلف إعراب (ما) في (إنّما) الداخلة على الجملة الفعلية ، باختلاف إعراب الاسم بعدها، فيلزم فيها معنى الموصولية او المصدرية ولا يصحّ أن تكون كافّة اذا لزم رفع الاسم كالذي في قوله تعالى (إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ)[الانعام: ١٣٤] وقوله تعالى: (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ)[الذاريات: ٥] وقوله تعالى: (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ)[المرسلات: ٧] [3].

وذكر الفرّاء أنّه ينبغي نصب الاسم بعد (إنّما) في نحو: إنّما ضَرَبْتُ أخاكَ ، لأنّه لا يصح الرفع إلّا عند جعل (ما) موصولة ، و(ما) لا تكون للناس ، لذلك وجب أن تكون كافّة ، لكن يجوز الوجهان في نحو : إنّما

---

(١) الحلل في إصلاح الخلل ص ٣٥٠.

(٢) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٤٨٦.

(٣) مجاز القرآن ١/ ١٠٨ والتبيان في إعراب القرآن ١/ ٣١٢- ٣١٣، ١/ ٥٤٠ ومغنى اللبيب ١/ ٣٠٧- ٣٠٨.

سكنت دارك[١] ومن ذلك الحديث النبوي الذي أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه ولفظه : ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه)) فإنّ (ما) هنا كافة لنصب(شفتيه) ولو رفعت لكانت موصولة.

وقد جعلت(مما) بمعنى (ربّما) وقيل : (مِن) للتعليل و(ما) مصدرية بتقدير: ((وكان يعالج أيضًا من أجل تحريك شفتيه)) وقال الكرماني: ((أو(ما) بمعنى(مَن) إذ قد تجيء للعقلاء أيضًا أي: وكان ممن يحرك))[٢] وهذا وجه بعيد ، لأنّه يؤدي إلى أن يكون المعنى : أنّ ثمة أجناسًا من الناس كان من عادتها أو خلقتها تحريك شفاهها وأنّ رسول الله صلى الله وعليه وسلم كان واحدًا منهم ، وهذا مخالف للواقع ولا يصحّ أن يكون هو المراد ، ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ)[البقرة:١٧٣] و(ما) في هذه الآية كافة لنصب(الميتة) ومن قرأها بالرفع ، وهو خلاف المشهور ، جعلها خبر(إنّ) و(ما) موصولة ، ومن قرأ (حُرِّمَ) للبناء للمجهول أو (حَرُمَ) بفتح (الحاء) وضم(الراء) مخففة فجعلها فعلًا لازمًا رفع (الميتة) في الوجهين فتعرب نائب فاعل أو فاعلًا عند جعل(ما) كافة وخبر(إنّ) عند جعلها موصولة والضمير المستتر في (حُرِّم) أو(حَرُمَ) عائد عليها[٣].

---

(١) معاني القرآن١/١٠٢ وقد مر في الباب الأول أنّ الفرّاء وجمهور النحاة أجازوا عود(ما) على العاقل.

(٢) أمالي السهيلي ص٥٢ وصحيح البخاري بشرح الكرماني١/٤٦-٤٧ وفتح الباري١/٣٨-٣٩ وعمدة القاري١/٧٢.

(٣) معاني القرآن للفرّاء١/١٠٢ وجامع البيان٣/٣١٨ والبحر المحيط١/٤٨٦ ومغني اللبيب١/٣٠٨.

ولم يجز الزجاج جعل (ما) موصولة في قوله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[آل عمران:١٨٥] لأنّه يترتب على ذلك الفصل بين(توفون) ومعمولها (يوم القيامة) بـ(أجوركم) وهذا لا يجوز[١]. وذكر مكّي أنّه لم يقرأ أحد برفع (أجوركم) ولو قرأ لكان التقدير: إنَّ الذي توفونه أجورُكم[٢].

وجاز في (ما) في قوله تعالى: (إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ)[طه:٦٩]. الموصولية والمصدرية لرفع (كيد)[٣] ومن أجاز نصبها في الكلام أو لقراءة شاذة جعل(ما) كافة[٤].

وذكر ابن قتيبة أنّ(ما) الموصولة وردت مرة مفصولة عن (إنّ) كقوله تعالى:(إنّ ما توعدون به لآت) ومرة موصولة بها كقوله تعالى: (إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ) وقال: ((وأحبُّ إليّ أن تفرق بين الاسم والصلة بأن تقطع الاسم وتصل الصلة))[٥] ويقصد بالصلة : الزائدة (الكافة) وقال البطليوسي: ((فكأنّ من كتب المصحف إنّما على قراءة من نصب ؛ ولذلك وصلها))[٦].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه١/٤٩٥.

(٢) مشكل إعراب القرآن١/١٨٣.

(٣) مجاز القرآن١/٢٤١، ومعاني القرآن للأخفش١/٢٠٠ن ومعاني القرآن وإعرابه٣/٣٦٧، والأمالي الشجرية٢/٢٣٤ والبيان في غريب إعراب القرآن٢/١٤٨ وشرح شذور الذهب ص٢٨٠ وقطر الندى١٥٢-١٥٣ ومغني اللبيب١/٣٠٨.

(٤) معاني القرآن للفرّاء١/١٠١ ومشكل إعراب القرآن٢/٤٦٩ ومغني اللبيب١/٣٠٨.

(٥) أدب الكاتب ص١٩٤.

(٦) الاقتضاب٢/١١٩.

و(ما) كافة في قوله تعالى: (إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) [طه:٧٢] لنصب(الحياة)[١]ويجوز رفعها في الكلام بجعل(ما) موصولة[٢]ومن قرأ (تقضى) للبناء للمجهول رفع (الحياة) في الوجهين[٣]كالذي مر في قوله تعالى: (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ).

ومثل هذا قالوا في قوله تعالى: (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا) [العنكبوت:١٧][٤] وقوله تعالى: (وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَّوَدَّةَ مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)[العنكبوت:٢٥][٥].

ويجوز جعل(ما) موصولة مع نصب الاسم إذا تقدم على الفاعل ، قال ابن هشام :((وجزم النحويون بأنّ(ما) كافة في (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)[فاطر:٢٨] ولا يمتنع أن تكون بمعنى (الذي) و(العلماء) خبر والعائد مستتر في (يخشى)))[٦] وقد تبيّن أنّ (ما) لا تقع على أشخاص من يعقل ، فلا يصحّ هذا الوجه إلاعند جعل الآية بمعنى : أنّ الجنس الذي يخشى الله من عباده العلماء.

ولم يذكر النحاة والمفسرون عند جعل (ما) كافة في هذه الآيات معنى هذا الوجه ولم يقدروه ، فالمعاني التي يُعبّر عنها بالموصولية يراد بها أنّها أمور غير معلومة لدى المخاطب، فتذكر لتعريفه بها فرفع (كيد)

---

(١) معاني القرآن وإعرابه٣/٣٦٩.

(٢) معاني القرآن للفرّاء٢/١٨٧ ومشكل إعراب القرآن٢/٤٦٩.

(٣) مختصر شواذ القراءآت لإبن خالويه ص ٨٨.

(٤) إعراب القرآن للنحاس٢/٥٦٧.

(٥) معاني القرآن للفرّاء١/١٠٠-١٠١، ٢/٣١٦ وجامع البيان٢/ ١٤- ١٤٢ وإعراب القرآن للنحّاس٢/٥٦٨ ومشكل إعراب القرآن٢/٥٥٢-٥٥٣ والبيان في غريب إعراب القرآن٢/٢٤٢.

(٦) مغني اللبيب١/٣٠٨.

فـي قولـه تعالـى: (إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ) يقضـي بـأنّ السـحر لـم تكـن بعد حقيقتـه ظـاهرة عنـد موسـى عليـه السـلام ؛ إذ لـو كـان كـذلك لمـا فـوجئ بـه وفصّل الله له شأنه ، ويتضح هذا في قولـه تعالـى: (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَـى* قُلْنَـا لَا تَخَـفْ إِنَّـكَ أَنـتَ الْأَعْلَـى* وَأَلْـقِ مَـا فِـي يَمِينِـكَ تَلْقَـفْ مَـا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) [طـه:٦٧-٦٩] فرفـع الاسم فـي هذه الآيـة وجعل(مـا) موصـولة هو المعنـى المراد والملائم للسـياق وواقـع الحـال أوّل الأمـر ، وحـين أدرك موسـى عليـه السـلام هـذه الحقيقة بعد ذلك خاطبهم بها ، قال تعالى: (قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ)[يونس:٨١] والمعـاني التـي يُعبّر عنهـا بـ(مـا) التـي سميت كافة يراد بها أنّها حقائق معلومة لا تُنكر ، أو مما ينبغي أن تكون كذلك، لذلك ورد نصب الاسم بعد(إنّما) في الآيات الأخرى ؛ لأنها تضمنت معاني تـدرك مـع أحكامهـا والحكمـة منهـا بالقلـب والجـوارح قبـل أن تعـرف بالعقـل والعلم ، هذا هو الأصل وإذا وردت في مواطن بمعنى الموصولية فإنّما كان ذلـك لإنـزال منزلـة مـا لا يُنكـر منزلـة مـا يُنكـر مراعـاة للمقـام وأحـوال المخاطبين كما صرح بذلك الجرجاني .

وكمـا وردت (مـا) بمعنـى صـلتها ، أي كافـة كمـا يسـميها النحـاة فـي إنّمـا بالكسـر وردت كـذلك فـي أنّمـا بـالفتح كقولـه تعـالى: (وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ)[ص:٢٤] وفـي (كأنّمـا) فـي قولـه تعـالى: (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ)[الأنفـال:٦] وهـي بهـذا المعنـى فـي (ربمـا) فـي قولـه تعـالى: (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ)[الحجر:٢] فقد أجـاز النحـاة أن تكـون (مـا) هنـا نكـرة بمنزلـة (شـيء) أو زائـدة ، أو مصـدرية ، أو كافـة[1]

---

[1] الكتاب٢/١٠٨-١٠٩، ٣١٥، ومعاني القرآن للأخفش١/ ٣٦-٣٧، ٢/٣٧٨، والبغداديات ص٢٨٧-٢٨٩، والأزهية ص٨٩ والأمالي الشجرية٢/٢٤٤ والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/٦٣ وشرح الرضي٣/٥١.

النحاة من اختار الوجه الأخير، من بينهم أبو علي النحوي ، إلّا أنّ الذين اختاروا هذا الوجه لم يبيّنوا أيضًا معناه ، ولم يقدروه ، فهي في هذه الآية مثل التي تكلم عليها النحاة في باب المعرفة التامة وجعلوها بتقدير: الأمر، أو الشأن ، أو الحقيقة ، أو الأمر المخلوق ، أو الأمر الواقع ، إلّا أنّه لا يصحّ فيها هذا التقدير ؛ لأنّ (رب) لا تدخل إلّا على نكرة وليس المهم معرفة التقدير ، بل المهم معرفة المعنى فهي على أيّة حال ، بالمعنى الذي فصلناه في(إنّما) فقوله تعالى: (رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ) تقديره : إنّما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ، والمعنى أنّ هذا التمني للكافرين حقيقة لا مراء فيه ، أو يُعدّ أمرًا لا بدّ منه بل (ما) لا تكون إلّا بمعنى صلتها (كافة) حيثما وردت في القرآن الكريم متصلة بأداة التشبيه ، فقد أجاز المرادي[1]أن تكون(ما) في (كما) الداخلة على الجملة الفعلية موصولة أو مصدرية أو كافة ، أي : كفتها عن الدخول على المفرد وجرّه كما كانت الحال في(ربما) واختار ابن هشام[2]والسيوطي[3] أن تكون مصدرية ، فقوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ)[البقرة:١٣] تقديره : آمنوا إيمانًا كإيمان الناس، والظاهر أنّها ليست مصدرية ؛ لأنّه ما أريد تشبيه مصدر(آمنوا) بمصدر (آمن الناس) وإنّما أريد تشبيه مضمون قوله تعالى: (آمنوا) بمضمون قوله تعالى: (آمن الناس) فكان التشبيه بين معنيي جملتين لا بين معنيي مفردين ، وربّما يتضح هذا في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ)[البقرة:١٨٣] فقد جعل النحّاس[4]والقرطبي[1](ت ٦٧١هـ) (ما) في هذه

([1]) الجنى الداني٤٤٨-٤٥٠.

([2]) مغني اللبيب ٣١٠/١.

([3]) الإتقان في علوم القرآن٢٩/٢، ومعترك الأقران٥٥٣/٢.

([4]) إعراب القرآن٢٣٥/١.

الآيـة موصـولة صـلتها (كتـب) والضـمير المسـتتر فـي هـذه الصـلة يعـود علـى(مـا) والحقيقـة أنّ(مـا) لا تعـود علـى الصـيام ، والضـمير المسـتتر فـي(كتب) غيـر عائـد عليهـا ؛ لأنّ التقدير: كتب عليكم الصيام كما كتب الصيام على الذين من قبلكم ، فليست(ما) مصدرية ولا موصولة ؛ إذ ليس المراد تشبيه صيام مَن قبلنا بصيامنا ، بل المراد تشبيه ما يدلّ عليه قولـه تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) بما يدلّ عليه قوله تعالى: (كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) والمعنـى: أنّـه كمـا فـرض علـى مَـن قـبلكم أن يصـوموا، فُـرض عليكم أن تصوموا، ولا يتحقق هذا المعنى إلّا بجعل (ما) كافة كما سميت عند النحـاة فتكون فـي هذه الآيـة والتـي قبلهـا قد أدت الغرض الـذي أفادتـه فـي(إنّمـا) ، والدليل علـى ذلك مجـيء (كمـا) فـي كثيـر مـن الأمثلـة مـن دون أن يصـحّ جعلهـا بمنزلـه (الـذي) ولا سبكها بمـا بعدها بمصـدر كقولـه تعـالى: (فَاسْتَقِمْ كَمَـا أُمِرْتَ)[هـود:١١٢][٢] وقولـه تعـالى:(وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَـا كَمَـا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)[الإسراء:٢٤] وكذلك قولـه تعالى: (قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ) [الأعرا ف:١٣٨] ومن ذلك أيضًا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((صلّوا كما رأيتموني أصلّي)) فـ(ما) هنا كافة وليست ، كما ذكر نحويون ، أنّها موصولة أو مصدرية[٣] بل هي بهذا الوجه في كـل موضـع ، فقـد مـرّ أنّ النحـاة جعلـوا (الـذي) مصـدرية فـي قولـه تعـالى:(وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ)[التوبـة:٦٩] والتقـدير: خضـتم كـالخوض الـذي خاضـوا ، وفـي هـذا تشـبيه خوضـهم بخـوض مـن عاشـوا قـبلهم. وإذا استعملت(مـا) بـدلاً مـن (الـذي) فـي الكـلام ، وقيـل: وخضـتم كمـا خاضـوا،

([١]) الجامع لأحكام القرآن٢/٢٧٤.

([٢]) فوائد في مشكل القرآن ١٤٠.

([٣]) البيان في غريب إعراب القرآن ١/٣٧٣ والتبيان في إعراب القرآن١/٥٩٣ وبدائع الفوائد١/١٤٥ وارتشاف الضرب٢/٤٣٧-٤٣٨ والبرهان في علوم القرآن٣/٧٧.

امتنـــع أن يكــون التشــبيه بــين المصــدرين ولــزم أن يكــون بــين مضــمون الفعلين(خضتم) و(خاضوا).

ومـن ذلـك أيضًـا قولـه تعـالى: (وَفِـي السَّمَاء رِزْقُكُـمْ وَمَـا تُوعَـدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ)[الذاريات:٢٢-٢٣].

ذهـب سـيبويه وجمهـور النحـاة الـى أنّ(مـا) فـي هـذه الآيـة زائـدة ، والتقدير عندهم : إنّـه لحق مثل أنّكم تنطقون[1]على حين ذهب الفرّاء إلـى أنّها مصدرية ، وأجاز اجتماعها مع (أنّكم) لاختلاف لفظيهما[2].

لا يظهر لـ(ما) في الآيـة غرض واضـح لذلك عُدّت زائدة للتوكيد ، ولكن يمكن التوصل إليه من خلال ضرب الأمثلة الآتية : فلو قلنا : إنّـي أكرمتُك كأنّك أكرمتني ، أو مثل أنّك أكرمتـي ، لقصدنا وقوع الكرم منّا ولم نقصد وقوع الكرم من المخاطَب ، ولو استعملنا(ما) بدلًا من(أنّ) أو قبلها في المثال نفسه وقلنا : إنّي أكرمتك كما أكرمتـي، أو مثل ما أكرمتـي، أو كمـا أنّـك أكرمتــي، أو مثـل مـا أنّـك أكرمتــي ، لقصــدنا وقـوع الكـرم مـن الجـانبين ، بـل وقوعـه مـن المخاطَـب أسـبق ؛ فيكـون أولـى بالثنـاء ؛ لـذلك يصـحّ أن نقول لأمّي جاهل لا يعلم شيئًا : إنّـي علّمتُك كأنّك علّمتـي ، أو مثل أنّك علمتني ، ولا يصحّ أن نقول فيه : إنـي علّمتك كما أنّك علمتـي ، أو مثل ما أنّك علّمتني.

وقولـه تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) وقوله تعالى: (وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) يفيدان وقوع صيام من قبلنـا وتربيـة والـدينا لنـا ، ولـو جعلناهمـا بتقدير: كتـب علـيكم الصـيام كأنّـه

([1]) الكتاب ٣/١٣٩-١٤٠، ومعاني القرآن للأخفش١ /١٣٥-١٣٦، وإعراب القرآن للنحاس ٣/٢٣٦ -٢٣٧، ومشكل إعراب القرآن٢/٦٨٧، والتبيان في إعراب القرآن٢/ ١١٨٠-١١٨١، وتذكرة النحاة ص٤٤٢-٤٤٣.

([2]) معاني القرآن٣/٨٤-٨٥، والتبيان في تفسير القرآن٩/٣٨٤.

كتب على الذين من قبلكم ، أو مثل أنّه كتب على الذين من قبلكم ، وقل ربي ارحمهما كأنّهما ربياني صغيرًا ، أو مثل أنّهما ربياني صغيرًا، لأفادا عدم وقوع صيام مَن قبلنا ، وتربية والدينا لنا ، وهذا خلاف الواقع والمعنى المراد ، ويعود إليهما معناهما الواردان في نصّ القرآن الكريم لو جعلناهما بتقدير: كتب عليكم الصيام مثل ما أنّه كتب على الذين من قبلكم ، وقل ربي ارحمهما مثل ما أنّهما ربياني صغيرًا.

فلو جعلنا(ما) زائدة والآية بتقدير: إنّه لحق مثل أنّكم تنطقون ، لكان الخطاب موجّهًا إلى أُناس بُكْمٍ ، والمعنى: أنّ هذا الأمر حقٌّ كأمر كلامكم بينكم لو كنتم تتكلمون ، في حين أنّ الآية باستعمال(ما) تعني : كما أنّ أمر نطقكم ، وأنتم تؤدونه ، يُعدّ عندكم حقيقة معلومة واقعة لا شك ولا مراء فيها، وتقرّون بها ولا تنكرونها ولا تدفعون صحتها ، فكذلك ينبغي أن يكون عندكم أمر رزق الله لكم وما يعدكم به ، فالفرق بين المعنيين جليٌّ ، فإذا كان حذف(ما) يغيّر فحوى الآية ، ويقلبها من معنى الإثبات إلى معنى النفي فكيف يصحّ بعد ذلك عدّها زائدة للتوكيد ؟!

و(ما) أدت هذا المعنى الأساسي لأنّها عندما كانت بمعنى صلتها أفادت جعل ما قبلها معادلًا لما بعدها من حيث الدلالة والواقع.

إن(ما) هذه التي فصّلنا غرض استعمالها في هذا المبحث لا يصحّ أن تسمى كافّة، لأنّها لم ترد في الأصل لتكفّ عاملًا عن عمله ، كما أنّ الكافة عُدّتْ أحد قسمي(ما) الزائدة[1] وقد تبيّن أنّها استعملت لغرض لا يمكن الاستغناء عنه وبحذفها يتغير أصل المعنى .

---

(1) مغني اللبيب ١/٣٠٦-٣١٠.

المبحث الثاني : (ما) المحذوفة الصلة :

١-المحذوفة الصلة إبهامًا

ا- الظاهر موصوفها:

تقدم في الباب الأول أنّ (ما) التي سمّاها النحاة (ما) الموصولة لا يصحّ إظهار موصوفها ، لكنّه صحّ إظهار موصوفها في (ما) التي سمّاها النحاة (ما) الزائدة ، فقد أجاز الفراء في (ما) في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا)[البقرة:٢٦] ثلاثة أوجه:

الأول:- أن تكون زائدة.

ثانيا:- أن تكون نكرة بمنزلة (شيء).

والثالث:- أن يكون المعنى: أنّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بين بعوضة إلى ما فوقها ، كما قالت العرب : هي أحسن ما قرنًا فقدمًا ، يعنون ما بين قرنها إلى قدمها ، فلما حذفت (بين) و(إلى) انتصب (قدمًا) كما انتصب (بعوضة) ليدلّ النصب على المحذوف ، وذكر أنّ هذا أحبّ الوجوه إليه[١] وذكر الزجاج أنّ الاختيار عنده وعند ((جميع البصريين أن تكون (ما) لغوًا))[٢] يريد بذلك أنّها زائدة.

والقول بزيادة (ما) في هذه الآية هو القول المشهور لدى جمهور النحاة والمفسرين[٣].

---

(١) معاني القرآن ١/٢١-٢٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١/١٠٤.

(٣) مجاز القرآن ٢/٥٨، ١٦٠، ومعاني القرآن للأخفش ١/٥٣، وجامع البيان ١/٤٠٤ – ٤٠٥، وإعراب القرآن للنحّاس ١/١٥٣ ، والبغداديات ص٢٦٠، ومشكل إعراب القرآن١/٨٣ ، والكشف في نكت المعاني والإعراب ١/ ٢٢ ومجمع البيان في تفسير القرآن ١/ ٦٦ والمفردات في غريب القرآن ص٧٢٧ ، وزاد المسير ١/٥٥ ، وكشف المشكل في النحو ١/٣٤٣ ، وقواعد المطارحة ص٢١٩ ، ومدارك التنزيل

ومنهم من أجاز أن تكون (ما) زائدة على النفي ، نحو: جئت لأمر ما، وتقديره : ما جئت إلّا لأمر ، وهو شبيه بقول العرب : شر أهرَّ ذا ناب ، أي : ما أهرّه الّا شرٌّ[1] ولا يخفى تكلّف هذا الوجه وتكلّف التأويل الذي بُني عليه.

وأشار سيبويه[2]والفرّاء[3] والأخفش[4] وغيرهم[5]، إلى جواز رفع (بعوضة) ونسبوا هذه القراءة إلى رؤبة بن العجاج وناس من بني تميم وأجازوا في (ما) ثلاثة أوجه :

الأول: أنّها زائدة.

والثاني: أنّها صفة ، ورفعت (بعوضة) في هذين الوجهين على أنّها خبر لمبتدأ محذوف ، والتقدير: هو بعوضة.

والثالث: أنّها موصولة بمنزلة (الذي) حذف صدر صلتها ، والتقدير: الذي هو بعوضة ، وحذف هذا الضمير جائز عند الكوفيين وممتنع عند البصريين[6] وقد ضعفه ابن جني لكونه ليس فضلة ، لذلك أجاز أن تكون

٣٥/١ – ٣٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٤/١ ، وإرشاد العقل السليم ٥٨/١ ، وفتح القدير ٥٦/١.

(١) شرح المفصل لابن يعيش ١٣٣/٨.

(٢) الكتاب ١٣٧/٢-١٣٨، ٢٨٦.

(٣) معاني القرآن ٢١/١-٢٢.

(٤) معاني القرآن ٥٣/١.

(٥) قواعد المطارحة، ص٢١٩، والبحر المحيط ١/ ١٢٢- ١٢٣ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٦٤ وفتح القدير ٥٧/١.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ١/ ١٠٤.

(ما) استفهامية في محل رفع على الابتداء ، وبعوضة خبرها[١]. واستحسن الزمخشري هذا الوجه[٢] وأشار إليه غيره ، كالرازي في تفسيره[٣]

وكذلك ذهبوا إلى أنّ (ما) زائدة في قوله تعالى: (جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الأَحْزَابِ)[ص: ١١][٤] ومنهم من ذهب إلى أنّها ((اسم نكرة صفة لـ(جند) لـ(جند) وفيها معنى التحقير)) [٥]

وذهبوا أيضًا إلى القول بزيادة (ما) في قوله تعالى: (فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ)[الانفطار:٨] ومنهم من أجاز أن تكون شرطية والتقدير : في أيّ صورة ما شاء أن يركبك فيها ركبك[٦]

والوجه أن تكون (ما) في هذه الآيات هو الوجه الثاني الذي أشار إليه الفرّاء في الآية الأولى واختارته القلّة من النحاة ، وهو: أن تكون (ما) صفة غير موصوفة ، استعملت لزيادة الإبهام ، أو لغرض التنويع أو التحقير والتقليل أو التعظيم ، واستشهدوا على ذلك بنحو : لأمر ما جدع قصير أنفه، ونحو :

لأمر ما يسود مَن يسود

---

(١) المحتسب ١/ ٦٤، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢/ ٢٥٥.

(٢) الكشاف ١/١١٤-١١٥.

(٣) مفاتيح الغيب ١٣٥/٢.

(٤) معاني القرآن الفراء ٣٩٩/٢، وجامع البيان ١٣/٢٣، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٢٣/٤، والأزهية ص٧٥، ومشكل إعراب القرآن ٦٢٤/٢، والكسشاف ٨٧/٤ والأمالي الشجرية ٢٤٦/٢، ومجمع البيان في تفسير القرآن ٤٦٧/٨، والتبيان في إعراب القرآن ١٠٩٨/٢.

(٥) معترك الأقران ٤١٥/٢.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٦/٥، وإعراب القرآن للنحاس ٦٤٥/٣، والبيان في غريب إعراب القرآن ٤٩٨/٢، والتبيان في إعراب القرآن ١٢٧٤/٢، وإرشاد العقل السليم ١٢١/٩.

أي: لأمر ، أيّ أمر كان ، ونحو : أعطني كتابًا ما ، أي : أيّ كتاب كان ، واضربه ضربًا ما ، أي: أيّ ضرب كان[1] إلّا أنّ الذين اختاروا هذا الوجه لم يفسروا كيف أفادت (ما) معنى الإبهام والتنويع.

يكثر حذف المفرد والجملة في اللغة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف أو لإعمام معناه ، وعدم تحديده ، كحذف المفعول به أو الصلة من قولهم : جاء بعد اللتيا والتي[2] ويحذف موصوف (ما) أو صلتها لأحد هذين الغرضين، والمحذوف منهما لإعمام معناه لا يصحّ إظهاره أو تقديره : لانه نكرة عامة ، ولكن يمكن أن يُعبّر عنه باضافة (كلّ) أو (أيّ) إلى ما يدلّ عليه من الألفاظ ، ويلزم في هذه الحالة إظهار الآخر أو تقديره ؛ لأنّه لم يحذف إلّا لكونه مفهومًا من السياق.

وحذف صلة الاسم الموصول لا يجيزه النحاة ، وهذا الحكم يصحّ تطبيقه على (الذي) وفروعها ؛ لأنّها يراد بها التعيين فلا يلائمها حذف الصلة ؛ لأنّ هذا الحذف يراد به التنكير فيكون مناقضًا لمعناها والغرض من استعمالها ، بخلاف (ما) فإنّ حذف الصلة يلائمها لإبهامها ، فقد جعل العرب هذا المعنى من وظيفتها ، وهذه الوظيفة لا تتحقق إلّا بأحد أمرين : إمّا بحذف موصوفها وهو الغالب أو بحذف صلتها ، فإذا قلنا مثلًا : اقرأ ما

---

(١) الأزهية ص٧٥، والكشاف ١/١١٤-١١٥، والإيضاح في شرح المفصل ٢/٢٢٨، وشرح جعل الزجاجي لابن عصفور ٢/٤٥٦، وتسهيل الفوائد ص٣٦، وشرح الرضي على الكافية ٣/٥٢-٥٣، والبسيط في شرح الكافية ١٢١٥، ورصف المباني ٣١٧، وارتشاف الضرب ١/٥٤٥، والإعراب عن قواعد الإعراب ص٩٩، وهمع الهوامع ١/٣١٨، وأسرار النحو لابن كمال باشا ص١٨٦-١٨٧، ونتائج التحصيل ٢/٧٨٥.

(٢) المثل السائر لابن الأثير الجزري ١/٢٧٥، ٣٠٤، والإيضاح في علوم البلاغة ص١٠٦-١١١.

ينفعك ، كان المراد : أي شيء كان ينفعك ، كتابا أو مجلة أو جريدة ، فلم نحدد نوع الموصوف (المقروء) وإنّما حددنا صفته بأن يكون نافعًا لا ضارًّا فأفادت (ما) في هذا المثال ونحوه إعمام معنى الموصوف ، فكانت وصلة لوصف ما هو مبهم عام بصلتها الظاهرة أو المقدرة ، وإذا قلنا : اقرأ كتابًا ما ، أو كتبا ما ، حددنا أن يكون الموصوف كتابًا لا مجلة أو جريدة أو مما لا ينطبق عليه اسم الكتاب إلّا أنّنا أبهمنا معنى صفته ، فليكن ما يكن نافعا أو ضارًّا او كتابا في اللغة أو التفسير أو التاريخ أو أيّ نوع آخر ، فأفادت ما في هذا المثال ونحوه إعمام معنى الصفة ، فكانت وصلة لوصف موصوفها الظاهر أو المقدر بما هو مبهم عام.

وكما نابت (ما) مناب موصوفها المحذوف الدالّ على العموم فأخذت دلالته وأعربت إعرابه نابت مناب صلتها التي دلت على العموم لحذفها فأخذت دلالتها وأعربت إعرابها صفة نكرة مبهمة ، ومن هنا ، أفادت (ما) معنى الإبهام والعموم والتنويع ، وجعلت بتقدير: أيّ كتاب كان ، وأيّ ضرب كان ، وأي أمر كان ، في الأمثلة التي استشهد بها النحاة ، وهذا هو المعنى المراد من الآيات المذكورة ، فتكون (ما) في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا) نكرة تامة عامّة صفة لـ(مثلًا) والمعنى: مثلًا أيّ مثل كان و(بعوضة) صفة أخرى ، وتكون (ما) صفة لـ(جند) في قوله تعالى: (جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الأَحْزَابِ) والمعنى: جند ، أيّ جند كان ، و(هنالك) و(مهزوم) و(من الأحزاب) صفات أُخَر ، وتكون (ما) في الشاهد الثالث صفة لـ(صورة) في قوله تعالى: (فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ) والمعنى : في أيّ صورة ، أيّ صورة كانت ، و(شاء) و (ركبت) صفتين أخريين.

ومن قرأ (بعوضة) بالرفع وجعل (ما) بمنزلة (الذي) جاز أن تكون (ما) بدلا من (مثلًا) وما جاز أن تكون صفة لها ، لأنّه لا يجوز الجمع بين ذكر موصوفها وذكر صلتها.

ب_ المقدَّر موصوفها:

ثمة موضع في القرآن الكريم وردت فيه (ما) محذوفة الصلة إلّا أنّها لم تُعدّ زائدة ، هو قوله تعالى: (إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ) [البقرة:٢٧١] وقد قيل في إعراب (ما) في هذه الآية أقوال مختلفة والمشهور عند النحاة أنّها نكرة تامة أو معرفة تامة وأنّ في الكلام مضافًا محذوفًا هو المقصود بالمدح والتقدير: نعم الشيء شيئًا إبداؤها ، فحذف الإبداء وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه ؛ لأنّه ليس المراد مدح الصدقات بل مدح إظهارها[١]

والظاهر أنّ (ما) هنا محذوفة الصلة ؛ لذلك سميت تامة[٢] فهي في هذا الموضع كمواضعها في الآيات التي تقدم ذكرها إلّا أنّ موصوفها حذف لكونه مفهومًا من السياق ويقدر بالنكرة (صدقات) لا بالمعرفة بدلالة ظهوره بهذا الوجه في الشواهد السابقة ، نابت (ما) منابه فأخذت دلالته ولزم لوقوعها موقع فاعل (نعم) أن تكون أعمّ من الصدقات المذكورة في نصّ الآية ومن المخصوص (هي) العائد عليها ؛ لذلك حذفت صلتها لإعمام معناها لوصف الموصوف المقدر بهذا العموم ، ولتكون بتقدير : أي صدقات كانت، والمخصوص بالمدح (هي) يعني الصدقات التي نبديها ، فالمراد مدح

---

(١) معاني القرآن وإعرابه١/١٧٣، ٣٥٤ والبغداديات ص ٢٥٩، والكشاف ١/٣١٦، والمقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني ١/٣٧٤، والبيان في غريب إعراب القرآن ١/ ١٧٧–١٧٨، ومفاتيح الغيب ٧/٢٢، وشرح الرضي على الكافية ٣/٥٢، والبسيط في شرح الكافية ص ٧٦٨، والجنى الداني ص ٣٣٦، والبرهان في علوم القرآن ٤/٤٠٥.

(٢) الحلل ص٣٥٢.

الصدقات المتصفة بالإبداء لا مدح الإبداء ، والمعنى: إن تبدوا الصدقات فنعم صدقات ، أي صدقات كانت، الصدقات التي تبدونها.

٢-المحذوفة الصلة إيجازًا :

تلحق (ما) الأسماء (إذ) و (حيث) و (كيف) فتغيرها من أدوات غير شرطية وغير جازمة إلى أدوت شرطية وجازمة ؛ لذلك سميت مغيِّرة أو (مسلِّطة) وهي ضد (الكافة) [١] وعُدت عند نحويين غير زائدة[٢] من جهة الإعراب.

أمّا (أين) و (متى) و(أيّ) فإنّها تكون شرطية من دون (ما) فإذا دخلت عليها كانت زائدة للتوكيد[٣].

وقد علل ابن يعيش صلاح (أين) و (متى) للشرطية من دون (ما) لأنّهما اسمان مبهمان لعدم إضافتهما إلى ما بعدهما ، بخلاف (حيث) فإنها أقلّ إبهامًا للزوم إضافتها إلى المعرفة[٤].

ويبدو أنّ (ما) لحقت أسماء الشرط لا لتأكيد معانيها الخاصّة وإنّما لتأكيد معنى العموم فيها ، وأدت هذه الغرض ؛ لأنّها وقعت وصلة لوصف موصوف دالّ على معنى اسم الشرط بصلتها ، وحذف الموصوف ، لإعمام معناه ، فنابت (ما) منابه فاكتسبت دلالته العامّة ، أمّا الصلة فلم تحذف لهذا الغرض ، وإنّما حذفت استغناء عنها بالشرط المذكور ؛ لأنّ معناها هو معنى

---

(١) الكتاب٥٦/٣، ٢٢١، ٣٣١، ٢٢١/٤ والأُزهية ص٩٧، والاقتضاب ٢/ ١٢٠، والمفردات في غريب القرآن ص٧٢٧، والتبيان في إعراب القرآن ١٢٧/١، والبرهان في علوم القرآن ٤٠٨/٤.

(٢) شرح الرضى على الكافية ٤٣٥/٤.

(٣) الكتاب ٥٨/٣-٥٩، ومشكل إعراب القرآن ٢٠٣/١، والتبيان في إعراب القرآن ٣٧٤/١، وشرح المفصل لابن يعيش ٤٦/٧.

(٤) شرح المفصل ١٣٣/٨.

الشرط نفسه فتكون (ما) في (كيفما) دالة على الحال ، وبمعنى : أيّ حال كان ، فقولنا: كيفما تكن أكن : معناه كيف تكن_ أي حال كان تكون فيه_ أكن ، وهي في (متى ما) دالّة على الزمان ، وبمعنى: أيّ زمان كان ، فقولنا : متى ما تذهب أذهب ، معناه : متى تذهب _ أي زمان كان تذهب فيه_ أذهب ، وهي في (أين ما) دالّة على المكان ، وبمعنى : أي مكان كان ، فيكون قوله تعالى: (وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ)[البقرة :١٤٤_١٥٠] معناه وحيث كنتم_ أي مكان كان كنتم_ فولّوا وجوهكم شطره ، وقوله تعالى: (أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ)[النساء: ٧٨] معناه : أين تكونوا _ أيّ مكان كان تكونون فيه _ يدرككم الموت.

اما مجيء (ما) بعد (أيّ) فقد ذهب جمهور النحاة والمفسرين إلى القول بزيادتها في قوله تعالى: (أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى)[الإسراء: ١١٠][١] وأجاز الفرّاء أن تكون (ما) شرطية وجاز اجتماعها مع (أيّ) الشرطية لاختلاف لفظيهما[٢] وهذا ما ذهب إليه في أدوات أُخَر ، كاجتماع (ما) النافية و(إن) النافية[٣]، وأشار غيره إلى جواز هذا الوجه[٤].

---

(١) الكتاب ٦٠/٣، ومعاني القرآن للأخفش ٣٩٢/٢، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٦٤/٣، والأُزهية ص٧٥، ومشكل إعراب القرآن ٤٣٦/١، ومجمع البيان ٤٤٥/٦ والكشاف ٧٠٠/٢، والتبيان في إعراب القرآن ٨٣٦/٢.

(٢) معاني القرآن ١٣٣/٢.

(٣) المصدر نفسه ١٧٦/١.

(٤) جامع البيان ١٨٣/١٥، والتبيان في تفسير القرآن ٥٣٣/٦، والبيان في غريب إعراب القرآن ٩٨/٢.

وكذلك ذهبوا إلى القول بزيادتها في قوله تعالى: (أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ)[القصص: ٢٨][١] ونُسب إلى ابن كيسان أنّه جعلها نكرة بمنزلة (شيء) [٢] وأشار العكبري إلى هذا الوجه بصيغة التضعيف : (قيل) [٣].

ويبدو أيضًا أنّ (ما) بعد (أيّ) الشرطية ، مثل (ما) بعد أسماء الشرط التي تقدم ذكرها ، استعملت اداة لوصف موصوف دالّ على ما أضيفت إليه (أيّ) ظاهرًا كان أم مقدرًا ، وحذفت صلتها استغناء عنها بذكر الشرط ، فتكون (ما) في الآية الأولى بمعنى: أيّ اسم كان، وفي الآية الثانية بمعنى: أيّ أجل كان ، وقوله تعالى: (قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى) معناه: قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّ الاسمين تدعوا_ أي اسم كان منهما تدعون_ فله الأسماء الحسنى، وقوله تعالى (أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ) معناه: أيّ الأجلين قضيت _ أي أجل كان منهما_ فلا عدوان علي.

ويجمع النحاة والمفسرون على أنّ (ما) بعد (إذا) و(إن) الشرطيتين زائدة للتوكيد[٤].

---

(١) معاني القرآن للفرّاء ٣٠٥/٢، ومجاز القرآن ١٠٢/٢، وجامع البيان ٦٥/٢٠ ومعاني القرآن وإعرابه ١٤٢/٤، وإعراب القرآن للنحّاس ٥٥١/٢، والصاحبي في فقه اللغة ص١٧٤، والأُزهية ص٧٥، والبسيط في شرح الكافية ١٢١٤.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٥٤٣/٢.

(٣) التبيان في إعراب القرآن ١٠١٩/٢.

(٤) معاني القرآن للفراء ٤١٤/١، ومعاني القرآن للأخفش ٦٧/١-٦٨، ومجالس ثعلب ٥٥١/٢، وجامع البيان ٥٤٨/١-٥٤٩، ومعاني القرآن وإعرابه ٣٣٤/٢، والبغداديات ص٣١١، والتبيان في تفسير القرآن ١٧٣/١، والأمالي الشجرية ٢٤٦/٢، والبسيط في شرح الكافية ص١٢٥١، ورصف المباني ص٣١٥.

وذكر الدكتور فاضل السامرائي أنّ قوة احتمال وقوع الشرط يُعدّ سببًا لزيادة (ما) للتوكيد بعد (إذا) و(إن) فقال في قوله تعالى: (فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا)[مريم ٢٦] ((واحتمال الرؤية احتمال قوي فاكّدها)) وقال في قوله تعالى: (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى)[طه: ١٢٣] ((واحتمال إنزال الهدى ، أي : الرسالات السماوية مؤكّدة فأكّده وقد حصل)) وقال في قوله تعالى: (قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ)[المؤمنون: ٩٣] ((واحتمال إراءته ما يوعدون احتمال قوي وقد أراه الله ذلك فيما بعد في بدر وغيرها)) [١]

بيد أنّ المعروف في كتب اللغة ، أنّ التوكيد بعامّة يستعمله المتكلم في المعاني التي يشك فيها المخاطب أو ينكرها لضعفها ، أو لاستبعاد حصولها[٢] وهذا يعني أنّ الذي يحتاج إلى توكيد هو الشرط الذي ضعف احتمال وقوعه وليس الذي قوي احتمال وقوعه.

وذهب ابن خالوية إلى أنّ (ما) بعد (إذا) شرطية في قوله تعالى: (فَأَمَّا الأنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ)[الفجر: ١٥_١٦] وقدّم هذا الوجه على القول بالزيادة[٣].

ومن المعاصرين من ذهب هذا المذهب ، ففسّر توكيدها بعد (إذا) بجعلها شرطية ، فاجتمع شرطان ، وسوّغ اجتماعها مع (إذا) لاختلاف لفظيهما[٤]، وقد مرّ أنّ الفرّاء استند إلى هذه العلّة ، عندما أجاز ان تكون

---

(١) معاني النحو ٤/٤٧٧-٤٧٩.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة ص١٣-١٤.

(٣) إعراب ثلاثين سورة ص٧٩.

(٤) مالك يوسف المطلبي- في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر. ص١١٨، ٢٢٣- ٢٢٤.

(ما) شرطية بعد (أيّ) في قوله تعالى: (أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى) وهذا قد يصحّ إذا لم يكن ثمة فرق أساسي بين الأداتين كاجتماع (إن) النافية مع (ما) النافية لأنّهما حرفان ، واجتماع (ما) الشرطية مع (أيّ) الشرطية لأنّهما اسمان ، إلّا أنّ القول بجواز اجتماع (ما) الشرطية مع (إذا) مذهب بعيد ، لأن بينهما فرقًا أساسيًّا في الماهية ؛ إذ إنّ (إذا) حرف لا يدلّ على شيء ، أمّا (ما) فإنّها اسم يدلّ على شيء ، فهي مثلًا تعني الشيء الذي ينفق في نحو : ما تنفقوا يوفَّ إليكم ، فما الشيء الذي تدل عليه (ما) في نحو: إذا ما تدرس تنجح ؟ فهذا المثال ونحوه إنّما هو موضع (إذا) الشرطية لا (ما) الشرطية ؛ إذ يصحّ أن يقال : اذا تدرس تنجح ، ولا يصحّ أن يقال: ما تدرس تنجح ، فلو كانت (ما) هنا مثل (إذا) الشرطية لصحّ المثال الثاني كما صح المثال الأول ؛ لذلك لا يجوز اجتماعهما شرطيتين ، لأنّ الموضع الذي تصلح له إحداهما لا تصلح له الأخرى.

مرّ الكلام على (ما) الزمانية فنحو : أصاحبك ما صدقت ، معناه : أصاحبك زمانًا تصدق فيه ، ومن النحاة من ذهب إلى أنّ (ما) المتصلة بالأفعال: (قلّ) و(كثر) و(طال) ظرفية ، ((فنحو: طالما يقوم زيد ، هو بتقدير طال زمان يقوم فيه زيد ، ونحو: قلّما يأتينا عمر ، هو بتقدير: قلّ زمان يأتينا فيه عمر ، ثم حذف الضمير فسقط الحرف)) [(١)].

وقد ترد بهذا الوجه في شواهد أخرى كقوله تعالى: (لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ)[التوبة: ١١٧] فالظاهر أنّ (ما) هنا ليست موصولة

---

(١) بدائع الفوائد ١/١٤٤.

أو مصدرية أو كافة كما قيل[1] بل هي زمانية بتقدير: من بعد زمان كاد قلوب فريق منهم فيه.

وذهب كثير من النحاة والمفسرين إلى أنّ (ما) في (كلّما) الشرطية ليست زائدة بل هي دالة على الزمان بمعنى (وقت) أو (حين) وجعلوا قوله تعالى: (كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ)[البقرة:٢٠] بتقدير: كلّ وقت أضاء لهم مشوا فيه، وقوله تعالى: (كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا)[الإسراء:٩٧] بتقدير: في كل وقت خبت زدناهم سعيرا[2].

وأكّد ابن قيّم الجوزية أنّ (ما) في (كلّما) نكرة تامّة ، وهي ظرف في المعنى والتقدير، فقولنا : كلّما يفعل أفعل، تقديره : كل وقت يفعل كذا أفعل كذا ، وأشار إلى أنّ معنى الظرفية فيها واضح ، لا يمكن إلغاؤه[3].

وكما صحّ مجيء (ما) زمانية في (كلّما) الشرطية صحّ مجيئها بهذا المعنى بعد (إذا) و(إن) الشرطيتين ، وتتضح هذه المسألة بأنّه إذا أعرب النحاة (ما) في قوله تعالى: (وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا)[الاسراء: ٧] ظرفية ، ولم يجيزوا بالإجماع ان تكون زائدة للتوكيد ، وجب أن تكون عندهم بهذا المعنى والإعراب إذا قيل في الكلام : ليتبّروا إذا ما علو تتبيرًا ، وإذا أعربوا (ما) في نحو: ولا يأب الشهداء ما دعوا ، ظرفية زمانية ولم يجيزوا بالإجماع أن تكون زائدة للتوكيد ، وجب أن تكون عندهم أيضًا بهذا المعنى والإعراب في قوله تعالى: (وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ)[البقرة: ٢٨٢] ذلك أنّ معنى (ما) بعد (إذا) في هذه الآية والمثال الذي قبلها ، بقي من غير أن يتغير، سوى أنّه أضيف إليه معنى الشرط بدخول (إذا) فيهما واجتماع الشرط والظرفية

---

(١) بدائع الفوائد ١/١٤٤-١٤٦.

(٢) البغداديات ص ٢٧٩-٢٨٠، والأُزهية ص ٩٥-٩٦، وإصلاح الخلل ص٣٥٥، والأمالي الشجرية ٢/٤٤٣، ورصف المباني ص ٣١٤، ومغنى اللبيب ١/٣٠٥.

(٣) بدائع الفوائد ١/ ٤٦.

الزمانية وارد في اللغة والقرآن الكريم كاجتماعهما في (كلّما) وقد مرّ أنّ النحاة قسموا (ما) الشرطية على قسمين : شرطية غير زمانية ، وشرطية زمانية، واستشهدوا على القسم الثاني بنحو : ما تقم أقم ، وبقوله تعالى: (فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ)[التوبة:٧].

ويذكر النحاة أنّ (ما) تزاد بعد (إذا) لغرضين : أحدهما للتأكيد ، والثاني للإبهام فنحو : سأزورك اذا جنّ الليل ، يكون القصد منه على الأرجح ليل ذلك اليوم ولا يتعيّن ذلك اليوم في نحو : سأزورك إذا ما جنّ الليل، بل يحتمل الليالي الأخرى القادمة[١] إلّا أنّ إفادة (ما) بعد (إذا) لمعنى الإبهام يحتاج إلى تفسير، ونقول هنا ما قلناه هناك في (ما) المتصلة بأسماء الشرط من أنّها دلّت على ما ذكر النحاة ؛ لأنّها وقعت وصلة لوصف موصوف دالّ على الزمان بصلتها ، حذف لإعمام معناه ، ثم نابت (ما) منابه فاكتسبت دلالته العامّة ، أمّا الصلة فلم تحذف لهذا الغرض ، بل للاستغناء عنها بذكر الشرط ؛ لانها بتقديره.

فاستعمال (ما) بعد (إذا) الشرطية أريد به ربط الجزاء بالشرط ، بمعنى الشرطية وبمعنى المعية الزمانية العامّة ، وبهذا تفسر شواهدها في القرآن الكريم.

فقد استعملت (ما) في قوله تعالى: (وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ) لأنّه أراد أن يأمر الشهداء بالحضور للشهادة إذا دعوا اليها دون إمهال ؛ لأنّها أمر يتطلب التعجيل في تنفيذه ، ودلالة (ما) على هذا الغرض في قوله تعالى: (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ)[المائدة: ٩٣] يوضحه ويدل عليه سبب نزول هذه الآية ، أنّه حين أنزل الله آية تحريم الخمر ، قال رجل : يا رسول الله ،

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٩٨/٤، ومعاني النحو ٤٧٢/٤.

فما ترى فيمن مات وهو يشربها فأنزل الله: (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ)[١].
والمعنى لا جناح على الذين شربوا الخمر في أيّ وقت ، كان الخمر فيه لم يحرم شربه ، إذا كانوا في ذلك الوقت يؤمنون بالله ويتقونه ويعملون الصالحات.

وكذلك استعملت لهذا المعنى في قوله تعالى: (لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ)[التوبة: ٩١-٩٢] فقوله تعالى: (وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ) تقديره : ولا على الذين إذا أتوك في أيّ وقت كان ، قلت لهم وقت إتيانهم لا أجد ما أحملكم عليه ، فعبارة (في أي وقت كان) تقدير لدلالة عمومها وعبارة (وقت إتيانهم) تقدير لمعنى المعية الزمانية فيها ، فقد أريد باستعمال (اذا) و(ما) إعمام هذه الحالة الخاصّة وإعمام حكمها لتشمل كل من أشبه حالهم حال هذا النفر ، لتدخل ضمن الحالات العامّة الثلاث التي ذكرت في الآية التي سبقتها.

واستعمل (ما) في قوله تعالى: (أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُم بِهِ آلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ)[يونس:٥١] لأنّ المشركين لا يؤمنون إلّا وقت وقوع العذاب عليهم ؛ لذلك قال (الآن) وقوله تعالى: (وَيَقُولُ الأنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا)[مريم: ٦٦] تعني بذكر (ما) أنّ الإنسان غير المؤمن بالله يصعب عليه أن يصدّق أن يحيى في وقت هو في ظنه وقت موت وفناء ، لا وقت بعث وحياة ، وكذلك ذُكرت في قوله تعالى: (وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاء إِذَا مَا يُنذَرُونَ)[الأنبياء: ٤٥] لأنّ المراد أنّ عدم استجابتهم للحق كان وقت ندائهم

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩٤/٢.

وإنذارهم ، لا قبله أو بعده ، ليدلّ هذا على شدة كفرهم ، وليس الأمر كذلك في قوله تعالى: (وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) [النمل: ٨٠] إذ هذا الإدبار لا يتحقق إلّا عند فوات أوان سماعهم لنداء الحقّ ، فيكون عند غيابهم عنه لا عند شهودهم له ، واستعمل (ما) في قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[فصلت:٢٠] ليكون المعنى أنّهم إذا جاؤوها في أيّ وقت كان ، شهدت عليهم وقت مجيئهم ، جوارحهم من دون أن يكون هناك إمهال لحسابهم ، فقد أُمهلوا في الدنيا ، والله اليوم سريع الحساب.

وقد تتضح دلالة (ما) هذه في قوله تعالى: (فَأَمَّا الأنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ)[الفجر: ١٥-١٦] فهذه هي طبيعة الإنسان لا يشعر بأنّ الله قد أكرمه إلّا وقت إنزال النعمة عليه وتمتعه بها وهو يظهر سخطه وشعوره بأنّ الله قد أهانه وقت ابتلائه بالفقر.

وتتضح هذه الدلالة أكثر في قوله تعالى في المنافقين: (وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ)[التوبة: ١٢٤-١٢٥] فزيادة الإيمان يكون وقت نزول الآية ، ثم يستقر بعد ذلك حتى نزول آية أخرى ، أمّا قلوب المنافقين فتزداد رجسًا فوق رجسهم ، وكذلك كان قوله تعالى: (وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ)[التوبة:١٢٧] فنظر المنافقين بعضهم إلى بعض، إنّما يكون وقت نزول الآية ، أو وقت سماعهم لها ، فالمرء تثار مشاعره عندما يسمع ويرى ما يثيره أوّل وهلة ، ثم يهدأ بعد ذلك ، ولهذا الغرض الأساسي ذكرت في قوله تعالى: (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ)[الشورى: ٣٧] فاغلب الناس يعفون عمن أساء إليهم وأغضبهم بعد أن تهدأ سورة غضبهم

بزمن يطول أو يقصر، فلو قال جل شأنه : وإذا غضبوا هم يغفرون ، لاحتمل وصف المؤمنين بهذه الصفة التي يتصف بها الأكثرون، وهو خلاف المراد من سياق الآية التي كانت لبيان ثناء الله سبحانه، على صفوة مختارة خاصة تحلّت بأسمى الخلق الذي قلّما يتحلّى به الناس ؛ لذلك كان المراد من الآية أن يصفهم الله بأنّهم يغفرون ويعفون عن الناس ساعة وقوع الإساءة منهم، والمعنى: واذا غضبوا في أي وقت كان ، فهم وقت غضبهم يغفرون، يؤيد ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ليس الشديد بالصُّرَعة ، إنّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) [(١)].

وكذلك كان هذا هو الغرض من استعمال (ما) بعد (إن) الشرطية كقوله تعالى: (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)[البقرة: ٣٨] وقوله تعالى: (فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى) [طه: ١٢٣] لأنّه أراد اقتران إنزال الرسالات السماوية أو بقائها نقية غير محرفة بالحث على اتباع هداها ، وإلّا فلا.

واستعمل (ما) في قوله تعالى (وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ)[يونس: ٤٦] لأنّه أراد أن يكون المعنى أنّ قضية رجوعهم إلى الله حقيقة قائمة في زمن كل حالة.

وقد يجب العمل بمعناها كالذي في قوله تعالى: (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ)[الأعراف: ٢٠٠] ففي هذه الآية أمر بالاستعاذة من الشيطان وقت نزغه لا بعده ، ونظيره قوله تعالى: (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)[الأنفال:٥٧] فالله سبحانه ، يأمر رسوله الكريم أن ينكل بأعدائه ليعتبر مَن سواهم[(٢)] وأن يفعل ذلك وقت

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، الترغيب والترهيب، ٧٠٤/٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٢٠/٢.

الحرب والظفر بهم لا بعده ؛ لأنّهم بعد ذلك يُعدّون أسرى لا يحلّ أذاهم، وفي قوله تعالى: (فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا)[مريم: ٢٦] لو جاء النص بغير (ما) وقال: وإن ترين ، لجاز لمريم ، عليها السلام أن تبقى ساكتة وأن تؤخّر إجابة من يسألها في شان ابنها عيسى ، عليه السلام ، مدة تختارها وأن تجيبهم في الساعة التي ترغب فيها لكنّه ، جل شانه ، لمّا قال (فَإِمَّا تَرَيِنَّ) أصبح عدم تأخير الجواب أمرًا، وتأخيره معصية وإثمًا.

أمّا (ما) في (إذما) فقد مرّ أنّ النحاة جعلوها مثل (ما) في (حيثما)، غيّرت (إذا) من أداة غير شرطية ، وغير جازمة إلى أداة شرطية وجازمة ، ويبدو أنّ (إذ ما) هي (إذا) الشرطية وقعت بعدها (ما) الظرفية الزمانية ويدل على ذلك أنّها عند النحاة مركبة من (إذ) و (ما) وهي أداة شرطية تجزم فعلين ، حرف عند سيبويه واسم عند المبرد وابن السراج وأبي على النحوي[1].

وهذا الاختلاف جاء فيما يبدو لكون (إذما) أصلها (إذا) الشرطية و (ما) الظرفية الزمانية فمن لحظ الجزء الأول من هذا الأصل جعلها حرفًا بمنزلة (إن) الشرطية ومن لحظ الجزء الثاني جعلها اسمًا بمعنى الظرف.

ويدل على ذلك أيضًا ما ذكره ابن يعيش ، فقد قال مالفظه ((فإن قيل (إذ) ظرف زمان ماض والشرط لا يكون إلّا للمستقبل فكيف يصح المجازاة بها)) [2] وهذا يعني أنّ هناك من يرى أنّ (إذ) في (إذما) أصلها (إذا) التي هي ظرف لِما يستقبل من الزمان متضمنة معنى الشرط ، وليس (إذ) التي هي ظرف لما مضى.

---

(١) الجنى الداني ص ٤٧٢، ومغني اللبيب ١/٨٧.

(٢) شرح المفصل ١/٤٧.

فلعل (إذما) أصلها (إذا ما) التي نحن الآن بصدد تفسير شواهدها في القرآن الكريم ، إلّا أنّ العرب عمدوا في أمثلة معيّنة إلى تقوية شرطية (إذا) بقطع حركة آخرها ليوافقوا بذلك دلالة (ما) على العموم ، فلما قووا الشرط باسكان (إذ) جزمت فصارت مثل (إن) في لفظها وجزمها ، ولم يستعملها القرآن الكريم ؛ لأنه استعمل عوضًا عنها (إن ما) التي ترسم بعد الإدغام (إمَّا) وهي بمعنى (إذما) وأقوى منها أصالة،

والمعية الزمانية التي أفادتها (ما) بعد (إذا) و(إن) الشرطيتين في الشواهد القرآنية السالفة الذكر يمكن أن تؤدى في الكلام باستعمال (أن) على نحو ما بيّناه في قوله تعالى: (وَلَمَّا أَن جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ) [العنكبوت: ٣٣] وقوله تعالى: (مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ) [الفتح: ٢٤] إلّا أنّه لا عموم فيها فلا تكون مثل (ما) ملائمة لمعنى الشرط وقد صلحت من دونها في هاتين الآيتين لأنّهما تتحدثان عن حالتين خاصّتين وقعتا ، وما أريد إعمامهما ولا التعبير عنهما بمعنى العموم.

تبين في هذا البحث أنّ (ما) لكونها استعلمت لإبهام أحد ركنيها بحذف الآخر لا يصحّ الجمع بين ذكر موصوفها وصلتها ولا حذفهما معا للغرض نفسه ، فإذا حذفت صلتها لإعمام معناها لزم إظهار موصوفها وجاز حذفه وتقديره لوجود ما يدل عليه ، وقد ورد ظاهرًا في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع ، بصيغة الإفراد في قوله تعالى (مثلًا ما) وقوله تعالى (في أيِّ صُورةٍ ما) وبصيغة الجمع في قوله تعالى(جند ما) وورد محذوفًا مقدّرًا في موضع واحد هو قوله تعالى (فنعما هي) وإذا حذفت الصلة لوجود ما يدل عليها لزم تقديرها وحذف موصوفها لإعمام معناه وشواهدها في القرآن الكريم (ما) التي لحقت أدوات الشرط : (كلما) و (أين) و (حيث) و(أي) و(إذا) و (إن).

ووردت (ما) ظرفية مكانية ملحقة بـ(أين) الشرطية مرة منفصلة عنها كقوله تعالى: (أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا)[البقرة: ١٤٨] ومرة متصلة بها كقوله تعالى: (فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ) [البقرة: ١١٥] ووردت موصولة بمنزلة (الذي) منفصلة ملحقة بـ(أين) الاستفهامية كقوله تعالى: (قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ) [الأعراف: ٣٧] وقوله تعالى: (ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ)[غافر:٧٣].

المبحث الثالث : (ما) المفردة الصلة :

ذهب النحاة والمفسرون إلى القول بزيادة (ما) في قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ)[آل عمران: ١٥٩] والتقدير: فبرحمة من الله ، وقوله تعالى : (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللّهِ)[النساء: ١٥٥] وقوله تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ)[المائدة: ١٣] والتقدير فيهما : فبنقضهم ميثاقهم[١].

وذهب ابن قيّم الجوزية إلى أنّها تفيد الحصر، والتقدير : فما لنت لهم إلّا برحمة من الله ، وما لعناهم إلّا بنقضهم ميثاقهم[٢]، ورد عليه الدكتور فاضل السامرائي، بأنّ معنى الحصر الذي ذكره متأتٍّ من التقديم لا من زيادة

---

(١) الكتاب ١/١٨٠-١٨١، ٣/٧٦، ٤/٢٢١، ومعاني القرآن للفرّاء ١/٢٤٤-٢٤٥، ومجاز القرآن ١/١٤٢، ومعاني القرآن للأخفش ١/١٣٥، ٢٢٠ ،٢٤١، والمقضب ١/٤٨ ،٣/٥٢، ومعاني القرآن وإعرابه ١/٤٨٢، ٢/١٢٧، ومعاني الحروف للرمّاني ص ١٥٤-١٥٥ والأصول في النحو لابن السراج ٢/٣٤٢، والمحلّى لابن شقير ص ٢٩٠، وإعراب القرآن للنحّاس ١/٣٧٤ ،٤٨٧، وكتاب الجمل للزجاجي ص ٣٢١، وسر صناعة الإعراب ١/٢٦١-٢٦٢ ٢٩٩، والأُزهية ص٧٥، وشرح اللمع لابن برهان العكبري ١/٧٦.

(٢) بدائع الفوائد ٢/١٥١.

(ما) [1]وهو ردٌّ سليم ، وقيل : إنّ (ما) في قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ) للاستفهام التعجبي[2] وهو وجه بعيد ((يردّه ثبوت الألف وإن خفض (رحمة)لا يتّجه)) [3]

وكذلك ذهبوا إلى القول بزيادة (ما) في قوله تعالى: (عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ)[المؤمنون: ٤٠] أي: عن قليل[4] وقوله تعالى: (مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا)[نوح: ٢٥] أي: من خطيئاتهم[5].

والقول بزيادة (ما) في هذه الآيات هو قول الأكثرين ، وحكى الزجاج ان (((ما) بإجماع النحويين صلة)) [6] والمقصود بالصلة : الزيادة ، وحكى الطوسي[7]، والطبرسي[8] أنّها هنا ((زائدة بإجماع المفسرين وجميع أهل التأويل)) وهم يذكرون جميعًا أنّها زائدة لمعنى التوكيد ، إلّا أنّهم لا يفسرون

---

(١) معاني النحو ٣/٩٩-١٠٠.

(٢) التبيان في تفسير القرآن ٣/٣١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٤٢٠. وفتح القدير ٩/٦٢.

(٣) مغنى اللبيب ١/٢٩٩.

(٤) معاني القرآن للفرّاء ١/٢١، ٢٤٤، ٢/١٣٣، ٤٠٠، ومجاز القرآن ٢/٥٨، ٢/١٦٠ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ص ١٩٦، ومعاني القرآن وإعرابه ٤/١٣، والمحلّى لابن شقير ص ٢٩٠، وسر صناعة الإعراب ١/٢٦٢ والأزهية ص٧٦، والكشاف ٤/٨٧.

(٥) معاني القرآن للفرّاء ٣/١٨٩-١٩٠، ومجاز القرآن ٢/٢٧١ وجامع البيان ٢٩/١٠٠، وإعراب القرآن للنحّاس ٣/٥١٧، وسر صناعة الإعراب ١/٢٦٢، ومشكل إعراب القرآن ٢/٧٦٢، والكشاف ٤/٦٢٠، والتبيان في إعراب القرآن ٢/١٢٤٢، والبسيط في شرح الكافية ١٢١٥.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ١/٤٨٢.

(٧) التبيان في تفسير القرآن ٣/٣١.

(٨) مجمع البيان في تفسير القرآن ٢/ ٥٢٦.

كيف أفادت هذا المعنى[١] لذلك آثرت قِلَّة منهم جعلها نكرة بمنزلة (شيء) والتقدير : بشيء رحمة من الله لنت لهم ، وبشيء نقضهم ميثاقهم ، وبزمن قليل ، وبشيء من خطيئاتهم[٢] لأنّ (ما) عندهم كما تقع نكرة موصوفة بالجملة ، تقع نكرة موصوفة بالمفرد نحو: رأيت ما معجبًا لك[٣] وجئت بما خير من ذلك[٤] ونُسب الى ابن كيسان أنّه كان يتلطّف في أن لا يجعل شيئًا شيئًا زائدًا في القرآن ، ويخرج له وجهًا يخرجه من الزيادة ، كالقول بجعل (ما) نكرة بمنزلة (شيء) في هذه الآيات ونحوها[٥] وذكر أحد الباحثين أنّ القول بهذا الوجه أبلغ من القول بالزيادة[٦] غير أنّ أبا البركات بن الأنباري ردّ على القائلين بهذا الوجه ووصفه بأنّه ((ليس بشيء)) وقال ((إنّ زيادة (ما) كثير في كلام العرب ، والقرآن نزل بلغتهم فالأَولى أن تكون حرفًا زائدًا على ما ذهب الأكثرون))[٧] وذكر الشوكاني أنّ القول بالزيادة ((أَولى بقواعد اللغة)) [٨] وقال بعض الدارسين ((إنّه لا معنى في تأويلها بـ(شيء) وهي

---

(١) مجالس ثعلب ص ٢٤٩، والتبيان في إعراب القرآن ٩٥٥/٢، ولسان العرب ٤٧٣/١٥-٤٧٤.

(٢) التبيان في إعراب القرآن، ٩٥٥/٢، ولسان العرب ٤٧٣/١٥-٤٧٤.

(٣) الأُزهية ص ٨٠ وشرح الرضي ٥١/٣.

(٤) معاني الحروف للرمّاني ص ١٥٤.

(٥) مشكل إعراب القرآن ١٧٨/١، ٥٤٣/٢.

(٦) من بلاغة القرآن لأحمد بدوي ص ١٠١- ١٠٢.

(٧) البيان في غريب إعراب القرآن ٢٢٩/١، ٢٧٣، وأسرار العربية ص١٤.

(٨) فتح القدير ٣٩٣/١.

زائدة للتوكيد)) [1] وذهب باحثون إلى أنّ (ما) في هذه الآيات أفادت تفخيم ما دخلت عليه[2].

وكذلك قالوا بزيادة (ما) في قوله تعالى: (وَإِنَّ كُـلاًّ لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ) [هود: ١١١] وقوله تعالى: (وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ) [يس: ٣٢] وقوله تعالى: (وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) [الزخرف: ٣٥] وقوله تعالى: (إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) [الطارق: ٤] فقد قرئت (لَمّا) بالتشديد وقيل في أصلها وفي معناها وإعرابها أقوال شتى ، أشهرها ما ذهب إليه سيبويه وجمهور البصريين وهو أنّ (لَمّا) بمعنى (إلّا) وقرئت (لَما) بالتخفيف فذهب سيبويه وجمهور النحاة إلى أنّ لام (لما) للتوكيد و(ما) زائدة و(إن) مخففة من الثقيلة[3].

والوجه ما ذهب إليه الفرّاء[4] وتبعه الطبري[1]، وهو جعل (ما) في هذه هذه الآيات موصولة عائدة على أجناس الناس ، والمعنى في الآية الأولى:

---

(١) دراسة في حروف المعاني الزائدة ص ١٩٠.

(٢) ينظر من بلاغة القرآن للدكتور أحمد بدوي ص ١٠١-١٠٢، وينظر الجرس والإيقاع في تعبير القرآن للدكتور كاصد ياسر الزيدي، وهو بحث منشور في مجلة آداب الرافدين العدد(٩) لسنة ١٩٧٨ م ص٣٤٠.

(٣) الكتاب ١٣٩/٢، ١٠٩/٣، ومجاز القرآن ١٦٠/٢، ٢٩٤، والمقتضب ٥٠/١ ، ٣٦٣/٢، ومعاني القرآن وإعرابه ٨١/٣-٨٢ ، ٢٨٦/٤ ، ٣١١/٥ ، وإعراب القرآن للنحّاس ١١٤/١-١١٦ ، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٣٩٩- ٣٤٠، والحجة لابن خالوية ص ١٩١ ، ٢٨٧ ،٣٦٨ ، وإعراب ثلاثين سورة ص ٤٢، والبغداديات ص ٣٨٨-٣٨٩، والمحتسب ٣٢٨/١، ٢٥٥/٢، وسر صناعة الإعراب ٣٧٧/١ والكشف عن وجوه القراءات لمكي القيسي ٥٣٧/١ - ٥٣٨، ومشكل إعراب القرآن ٣٧٤/١- ٣٧٦، ٤١٥، ٢٨٣/٢، والكشاف ٤٣٢/٢ ، ١٤/٤، ٧٣٤.

(٤) معاني القرآن ٢٨/٢- ٢٩ ، ٣٧٧، ٢٥٤/٣ - ٢٥٥.

((أنّ كل هؤلاء الذين قصصنا عليك يا محمد قصصهم في هذه السورة ليوفينّهم ربك أعمالهم)) وكذلك تكون (ما) في قوله تعالى: (وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ) وقوله تعالى : (إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) وتكون (ما) موصولة عائدة على زخارف الدنيا في قوله تعالى: (وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) و التقدير: وإن كلّ ذلك للذي هو متاع الحياة الدنيا[٢].

وصلة (ما) جملة في الآية الأولى ، والظاهر أنّها مفرد في الآيات الأُخَر ، ولا يجيز النحاة أن تكون صلة الاسم الموصول مفردًا[٣] وإذا وردت مفردًا مرفوعًا أُوِّل على أنّه خبر لمبتدا محذوف : نحو أكلتُ ما طيِّبٌ ، والتقدير: أكلت الذي هو طيب، وإذا وردت مفردًا تابعًا جعلوا (ما) زائدة أو جعلوها نكرة بمنزلة (شيء) وتكون صلتها المفرد صفة لها ، نحو : أكلت ما طيّبا ، والتقدير أكلت شيئا طيّبا[٤]، والوجه ان تكون (ما) نكرة إلّا أنّها ليست نكرة موصوفة ؛ إذ إنّها وصلتها كالاسم الواحد ؛ لذا لا يصحّ أن توصف بصلتها ، ومن النحاة من صرّح بمنع ذلك ، ونعيد هنا ما قلناه في مبحث النكرة الموصوفة بالجملة من أنّ (ما) لا يصحّ أن تكون بمنزلة (شيء) ، ذلك أنّ نكرة (شيء) تدل على الآحاد والإفراد، ونكرة (ما) تدل على الجميع والعموم ، وقد اكتسبت هذه الدلالة لكونها وصلة لوصف ما هو شيء مبهم عام بصلتها ، ولوجوب حذف هذا الموصوف ، نابت (ما) منابه وأخذت حكمه ومعناه الدالّ على العموم ، وتوضيح ذلك أنّه إذا قيل : مررتُ بخير منك ، احتمل هذا المثال معنى الإفراد والعموم ، إلّا أنّه باستعمال (ما) وقولنا : مررتُ بما خير منك ، يتعيّن المراد الثاني ، وليس المراد بالعموم هنا

---

(١) جامع البيان ١٥/٤٩٨.

(٢) المحتسب ٢/٢٥٥ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/٣٥٤.

(٣) أسرار العربية ص ٣٨١ – ٣٨٢.

(٤) الأزهية ص ٨١.

أن يكون التقدير: مررتُ بكل رجل هو خير منك وإنّما المعنى: أنّ الذين مررتُ بهم جميعهم خير منك وليس ثمة رجل واحد منهم من دون ذلك ، وكذلك إذا قيل : أكلتُ ما طيّبا ، أو أكلتُ ما طيّبٌ ، فليس المعنى أكلتُ كلّ شيء طيب ، فهذا العموم متعذّر حصوله ، بل المعنى أنّ الأشياء التي أكلتها هي جميعها من الطيبات ، وليس ثمة شيء منها غير طيّب.

فموصوف (ما) لا بدّ من تقديره في كل موضع ذلك أنّ هذا الموصوف هو المقصود وليس (ما) وصلتها فحين نقول مثلًا : اقرأ ما ينفعك ، لا يكون المأمور بقراءته هو (ما ينفعك) بل الموصوف بجملة (ينفعك) التي كانت (ما) وصلة لوصفه بهذه الجملة ، وتتضح هذه الحقيقة بما استشهد به النحاة من كلام العرب ، كقولهم : دعْ ما زيدٌ ، فإنّ (ما) هنا تُعدُّ عندهم موصولة بمنزلة (الذي) ، وتُعرب مفعولًا به في محل نصب و(زيد) خبر لمبتدأ محذوف ، والجملة صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب ، والتقدير: دع الذي هو زيد[1] وهذا الإعراب يوهم أنّ (ما) عائدة على زيد ، فتكون عائدة على مفرد عاقل ، كما تبدو في المثال ، ويوهم أيضًا أنّ الذي قُصد أن يدعه المخاطَب هو(زيد) ، وليس الأمر كذلك ؛ لأنّه لو كان هذا هو المعنى المراد لقيل : دعْ زيدًا ، لكنّه عند استعمال (ما) أبعدنا (زيد) من معنى المفعولية ، وجعلناه صفة لموصوف محذوف ، وهذا الموصوف هو المفعول به والمراد تحذير المخاطب من مصاحبته ، فإنّ (ما) في هذا المثال ما أريد أن تعود على زيد بعينه وشخصه ، بل أريد منها أن تعود على أجناس الناس الذين هم على شاكلة زيد بصفاته وأخلاقه ، أي ليس المقصود صلة (ما) بل

---

(1) الكتاب ٢٨٦/٢، والاستغناء في أحكام الاستثناء ص١١٢، والفوائد العجيبة ضمن كتاب نصوص محققة ص٧٧٥.

الموصوف بهذه الصلة ، كأنَّ المعنى : دع المتشبهين بزيد ، واستعملت (ما) لا (من) لأنّه أريد معنى الجنس.

ومن أجل ان نزيد في توضيح هذه المسالة لأهميتها نقول: إنّه إذا قلنا مثلًا: لا تصاحب امرأ القيس ، جعلنا (امرأ القيس) مفعولًا به ويكون هذا المثل غير معقول ؛ لأنّه من غير المعقول أن ننهى المخاطَب عن مصاحبة رجل مات قبل مئات السنين ، لكن هذا المثل يصح إذا قسنا على الشاهد الوارد في كلام العرب واستعملنا (ما) وقلنا : لا تصاحب ما امرؤ القيس ؛ لأنّه باستعمال هذه الأداة لم نجعل (امرؤ القيس) مفعولًا به بل جعلناه صفة للمفعول به الذي تقديره : الناس الذين يعيشون في الوقت الحالي ، وهم الذين حذرنا المخاطَب من مصاحبتهم.

فباستعمال (ما) لا يكون المعنى: لا تصاحب امرأ القيس، الشاعر الجاهلي الذي عاش ومات قبل الإسلام ، بل المعنى: لا تصاحب أجناس الرجال الذين هم الآن مثل امرئ القيس في ضلاله ومجونه.

وكذلك كان المراد من قوله تعالى: (وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ) [الصف: ٢٤].

وتُعدُّ (ما) في هذه الآية زائدة عند جمهور النحاة والمفسرين[١] وأجاز الفرّاء مع هذا الوجه ان تكون مصدرية ، بتقدير: وقليل ما تجدنّهم[٢] ولا يخفى بعد هذا المذهب ، وأجاز الطبري وجها ثالثًا ، هو أن تكون موصولة بمنزلة (الذي) وذكر أنّه روي عن ابن عباس رضي الله عنه، أنّه جعل الآية بمعنى: وقليل الذين هم كذلك[٣].

([١]) معاني القرآن وإعرابه ٤/٣٢٧.

([٢]) معاني القرآن للفرّاء ٢/٤٠٠.

([٣]) جامع البيان ٢٣/١٤٥، ومجمع البيان ٨/٤٧٠.

والقول بزيادة (ما) في هذه الآية اقتضى أن يكون الموصوف بالقلّة هو الضمير (هم) العائد على الذين آمنوا وعملوا الصالحات ؛ لأنّها تكون بتقدير: وقليل هم ، و(هم) مبتدأ و(قليل) خبره ، بل هذا هو المعنى الذي يجمع عليه النحاة والمفسرون حتى عند جعل (ما) موصولة[١].

على حين أنّ هذا الضمير أريد منه باستعمال (ما) أن يكون صفة لموصوف محذوف ، وهذا الموصوف هو الموصوف بالقلّة ، وقد تبيّن من الشاهدين السابقين ، أنّ العرب أجازوا باستعمال (ما) الوصف بالضمير والعلم ، فباستعمال هذه الأداة لا تكون الآية بالمعنى الذي ذكرته كتب الإعراب والمعاني والتفسير، فهي ليست بمعنى : قلّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات، بل هي بمعنى : قل المتصفون والمقتدون بهم ، أي : قلّ أمثالهم.

ولم يظهر هنا عدم صحة المعنى الذي اقتضاه القول بالزيادة ، لكون صلة (ما) وردت ضميرًا ، عائدا على جماعة الغائبين ، فصحّ وصف معناه بالقلّة ، إلّا أنّه كما جاز الوصف بهذا الضمير ، جاز الوصف بالضمير العائد على المفرد الغائب أو المخاطَب، وأن يقال مثلًا في الكلام ؛ وقليل ما هو ، وقليل ما زيد ، لمن نريد مدحه، ومعناه : وقليل أمثاله ، وإذا قلنا : وكثير ما أنتَ ، وكثير ما عمرو ، فقد أردنا ذمّه ، ومعناه : وكثير أمثالك ، وكثير أمثاله ، فعندئذ يظهر عدم صحة القول بالزيادة ؛ لأنّه يمتنع المعنى الذي يقتضيه ، إذ لا يصح وصف الذات المفردة بأنّها قليل أو كثير، بل هو وصف الموصوفين بها ، وهم الناس.

---

(١) جامع البيان ١٤٥/٢٣، والكشاف ٨٧/٤-٨٨ والكشف عن نكت المعاني والإعراب ٤٨٥/٢. وزاد المسير ١٢٢/٧، ومفاتيح الغيب ١٩٧/٢٦ والجامع لأحكام القرآن ١٧٩/١٥ ومدارك التنزيل ٣٩/٤. وأنوار التنزيل وأسرار التاويل (تفسير البيضاوي) ص٦٠١.

فالقول بزيادة (ما) يمنع القياس عليها ، والقول بأنّها وصلة لوصف موصوف محذوف دالّ على العموم ، كما هي الحقيقة، يفتح باب هذا القياس فتحيا بذلك هذه الآية باستعمال نظائرها في الكلام ، وهو أسلوب جميل في إنشاء المدح أو الذم.

وكذلك الأمر في قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ) فإنّه لا يصحّ أن تكون (ما) زائدة ؛ لأنّه ما قصد أن يكون المعنى: أنّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لان لقومه بالرحمة المذكورة في نصّ الآية بل بما هو موصوف بها ، وهذا الموصوف دالّ على معنى العموم ، والمراد به أعماله وأخلاقه وسيرته ، فباستعمال هذه الأداة تحققت دلالتان هما : عموم معنى الرحمة ، والممارسة العملية لمعناها، فهو صلى الله عليه وسلم ، لانَ لقومه بهذه الرحمة بدلالتيها هاتين.

فبهذا المعنى لا تكون (ما) زائدة بتقدير: فبرحمة من الله لنت لهم ، ولا نكرة موصوفة بمنزلة (شيء) بتقدير: فبشيء رحمة من الله لنت لهم ، بل هي بدلالة موصوفها نكرة عامة بتقدير: فبكل شيء يصحّ أن يوصف بأنّه رحمة لنت لهم.

فقد أريد باستعمال (ما) استغراق أنواع الرحمة ومعانيها ، لتكون الآية بمعنى: أنّه صلى الله عليه وسلم لان لقومه برحمة عظيمة واسعة مارس سلوكا وسيرة كلّ نوع من أنواعها وكل معنى من معانيها.

وقرنت (رحمة) بالرفع وهي قراءة شاذة على جعل (ما) بمنزلة (الذي) و (رحمة) خبرًا لمبتدأ محذوف، بتقدير: فبما هو رحمة من الله لنت لهم.

ومعنى (ما) في القراءتين واحد، والجر أكثر ملاءمة من حيث اللغة ؛ لأنّ الصفة تتبع الموصوف في الإعراب ، وأكثر ملاءمة من حيث المراد ؛ لان الباء أفادت معنى السببية ، وهو أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لانَ لقومه بذاته ، وإنّما كان ذلك بعموم الرحمة الممنوحة له من الله سبحانه

، فرفع (رحمة) يقلل من قوة هذا المعنى ، والجر يزيدها توكيدًا ، وجعل (رحمة) نكرة يزيد من إعمام معنى (ما) وهو المقصود في الآية.

وكذلك قوله تعالى: (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ) فقد أريد إعمام هذا النقض وليس إفراده.

وقد تبين في الفصل الأول أنّ العائد على (ما) الموصولة لم يرد جمعًا إلّا في موضعين ، ولا يكون ذلك إلّا لوجه بلاغي، وكذلك الحال في (ما) هنا المفردة الصلة ، فإنّها تعبّر عن معنى الجمع والعموم بصلة تكون بصيغة الإفراد، إلّا أنّها قد وردت في موضع واحد بصيغة الجمع ، وهو قوله تعالى: (مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا)[نوح: ٢٥] واستعمال صيغة الجمع في هذه الآية كان لتأكيد أنّهم أُغرقوا لكثرة خطاياهم، وهذا ما يتناسب والعقاب الذي حلّ بهم ، وهو الطوفان الذي غطى الأرض جميعها فغمرها بالمياه ، فالعقاب كان عامًّا وشاملًا ، ولم ترد صلة (ما) بصيغة الجمع في قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ) لأنّه أريد من إفرادها أنّ الرحمة التي اتصف بها ، وإن تنوعت ، هي في الأصل رحمة واحدة يحكمها ويحركها قلب واحد.

تبين في هذا الفصل أنّ (ما) التي عدّها النحاة والمفسرون زائدة إنّما هي في الحقيقة أداة استعملت للوصف، إلّا أنّ كتب النحو التعليمية القديمة والحديثة لم تعامل (ما) حتى التي سميت موصولة على أنّها وصلة للوصف بالجملة بل عاملتها على أنّها اسم لا يختلف عن الأسماء الأخرى ، ففي قولنا مثلًا: أعجبني ما صنعتَه ، تعرب (ما) عند النحاة فاعلًا ، و (صنعته) صلة لا محل لها من الإعراب، وهذا الإعراب لا يظهر أنَّ في هذه الجملة صفة وموصوفًا ، والحقّ أنّ الفاعل ليس (ما) بل الموصوف المحذوف ، وأنّ (صنعته) ليست جملة لا محلّ لها من الإعراب بل هي الصفة لهذا الموصوف ، و (ما) ليست إلّا مجرد أداة استعملت للربط بينهما ، أي : إذا كانت (الذي) الموصولة استعملت وصلة لوصف المعرفة بالجملة ، كما

صرح بذلك النحاة ، فإنَّ (ما) الموصولة استعملت وصلة لوصف ما هو مبهم عام بالجملة ، بل قد تبين أنَّ هذا الغرض في (ما) عامٌّ يشمل الوصف بالجملة وبالمفرد ويشمل معانيها المختلفة ما عدا التعجبية والنافية ، بل وجدت هذا الغرض فيها أصيلًا حتى إنّها استعملت للوصف بالمفرد الجامد كالوصف بالمصدر والضمير والعلم.

١-الخاتمة ونتائج البحث :

نختم هذا البحث بذكر ما توصلنا إليه من نتائج ، نجملها فيما يأتي:

١-تبين أنّ معنى (ما) الموصولة هو أكثر معاني (ما) استعمالًا وورودًا في القران الكريم ، ومعنى (ما) الزائدة أشدهاّ إشكالًا ، لذلك تميز الفصلان اللذان تضمنا هذين المعنيين بطولهما بالقياس إلى الفصول الأُخَر.

٢-تبين أنّ النحاة لمّا جعلوا (ما) موصولة معرفة لزم عندهم أن يكون موصوفها معرفة ، فجعلوا نحو: أعجبني ما صنعته ، بتقدير: أعجبني الشيء الذي صنعته، فتكون (ما) عندئذ وصلة لوصف المعارف بالجمل، وهذا خلاف ما صرّحوا به بأن هذا الغرض هو ما اختصت به (الذي) وفروعها من دون (ما).

٣-لا يصحّ ان تكون (ما) بمنزلة (مَن) ؛ لأنّ (من) مختصة بالعاقل و (ما) غير مختصة بجنس معين ، ولا يصحّ أن تكون بمنزلة (شيء) لأنّها تدلّ على الجميع ولا تدلّ على الإفراد ، ولا يصحّ أن تكون بمنزلة (الذي) العهدية أو الجنسية ؛ لأنّها لا تدلّ على فرد بعينه ولا على جنس بعينه ، وما صحّ أن تكون معرفة عامّة إلّا في موضع واحد ، هو الموضع الذي سميت فيه (كافة) وصحّ ذلك ؛ لأنّها بمعنى الصلة ، فهي دالّة على صلتها وصلتها دالّة عليها ، فكانت كشأن الخبر الذي هو نفس المبتدأ في المعنى وهذه المعرفة العامة ، وإن قُدِّرت بلفظ المعرّف بـ(ال) الجنسية ، إلّا أنّها لا تعني جنسًا معيّنًا فتكون دالة على الإفراد ، بل تعني الأجناس جميعها مما

جعلها معادلة لمعنى النكرة العامّة ، فهي في معانيها جميعها اسم مبهم في غاية الإبهام كما قالوا، بل لم أجد في اللغة أداة أعمّ من معناها.

٤-تشمل (الذي) الجنسية أفراد الجنس في الأعم الأغلب أمّا (ما) فتشمل أفراد الجنس على وجه الاستقصاء ، وهذا المعنى أبلغ من الأول وأدلّ على قدرة الله على الإحاطة بخلقه ؛ لذلك وردت الآيات المعبرة عن هذا المعنى باستعمال (ما) لا باستعمال (الذي).

٥-يكثر احتمال (ما) الموصولة لمعاني (ما) الأُخَر ، وأكثر المعاني التي تحتملها معنى المصدرية ، ويترجح معنى الموصولية من السياق ويتحدد بعود الضمير عليها.

٦-تستعمل (ما) لغير العاقل ، ولا تستعمل لأعيان العاقلين وأشخاصهم ، بل للمعاني العائدة عليهم مما يعامل معاملة غير العاقل كمعنى الجنس أو الشيء.

٧-(ما) التي سُمِّيت نكرة موصوفة هي (ما) الموصولة نفسها ، لا فرق بينهما في المعنى ، إذ كلتاهما نكرة عامّة.

٨-ورد حذف (ما) النكرة في القرآن الكريم في حالتين: إحداهما: حالة كون صلتها ظرفًا والثانية حالة عطفها على (ما) نكرة قبلها بشرط أن تكون صلتهما شبه جملة (جارًّا ومجرورًا) ولم ترد صلة (ما) المعطوفة إلّا مع لفظين ، هما : (الأرض) في عدة مواضع ، و(البحر) في موضع واحد ، وإذا ذُكرتْ لا يصحّ أن يعد ذكرها تكرارًا ؛ لأنها غير (ما) المعطوفة عليها ؛ لذلك يجب عند حذفها إضمارها وتقديرها

٩-(ما) اسم مبهم عام تستعمل دائمًا للتعبير عن المعاني العامّة إلّا أنّه يلزم أن يكون الضمير في صلتها العائد عليها مفردًا ، ولم يرد في اللغة مثنى إلّا شذوذًا وفي شاهد واحد ، ولم يرد جمعًا في القرآن الكريم إلّا في موضع واحد لسبب اقتضاه المقام.

١٠-ذهب النحاة إلى أنّ (ما) التعجبية في صيغة (ما أفعله) اسم ؛ لأنّ في (أفعل) فاعلًا مستترًا يعود على (ما) ، إلّا أنّه تبيّن أنّ منصوب هذه الصيغة الظاهر هو الفاعل ، وليس ثمة فاعل مستتر، فلا تكون (ما) التعجبية هذه عندئذ اسمًا لعدم ما يدلّ على اسميتها ، بل هي حرف أو أداة استعملت لمعنى التعجب.

١١-جعل النحاة كلًّا من (ما) الاستفهامية والشرطية نكرة متضمنة معنى الحرف، فالأولى متضمنة معنى همزة الاستفهام ، والثانية متضمنة معنى (إن) الشرطية ، أي: أنّ كُلًّا من هذين المعنيين ليس أصيلًا في (ما) بل هو حادث بالاستعمال عن طريق التضمين ، والظاهر أنّ كُلًّا منهما هي في الأصل (ما) التي سميت موصولة التي حدّد النحاة غرض استعمالها بأنّها وصلة لوصف ما هو مبهم عام بصلتها ؛ ولهذا ذكروا أنّ (ما) صلحت لمعنى الاستفهام والشرط لإبهامها. وتُعرَب كلٌّ من الاستفهامية والشرطية حسب ما بعدها ، وتُعرب الموصولة حسب ما قبلها.

١٢-يكثر احتمال (ما) الشرطية لمعنى الموصولية ، ويتعين الوجه الأول بجزم الفعل ، أو بربط الجواب بالفاء ، و(ما) الشرطية ، وإن بقيت على أصل لفظها إلّا أنّه قوي معناها بالشرط فكان الجزم لقوة المعنى ، شأنها في ذلك شان (لا) النافية فإنّها لا تجزم الفعل المضارع بعدها إلّا إذا قوى معناها بالنهي جزمت.

١٣-أكثر المعاني التي تحتملها (ما) الاستفهامية المفردة معنى النفي ومردّه في الأغلب خروجها إليه مجازًا ، والأصل والأكثر في ألفها أن تحذف عند جرها بحرف الجر أو بالإضافة ، أمّا (ماذا) الاستفهامية المركبة ، فقد تبين أنّها لم تستعمل إلّا لمعنى الاستفهام الحقيقي أو المجازي.

١٤-تدخل (ما) النافية على الجملة الاسمية ، وتكون مهملة بلغة بني تميم، وعاملة بلغة أهل الحجاز ، وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، إلّا

أنّ خبرها ورد مجرورًا في الأعم الأغلب ، ولم يرد منصوبًا إلّا في ثلاثة مواضع

١٥–تبيّن أنّ النحاة فرقوا بين (ما) الموصولة و(ما) المصدرية بأنّ الأولى ما عاد عليها الضمير ظاهرًا أو مقدّرًا، والثانية ما لم يعد عليها ضمير لا ظاهر ولا مقّدر، ومعنى (ما) الموصولة هو أكثر معاني (ما) ورودًا في القران الكريم، وشاع حذف الضمير العائد عليها ، حتى إنّ ذكره كان في مواضع معدودة ، وجاز في أكثر هذه المواضع تقدير هذا الضمير وجاز عدم تقديره ؛ لذلك كثر احتمال (ما) لهذين الوجهين ، ويترجّح أحدهما بالمعنى المفهوم من السياق، أو قد يلزم القول به عند امتناع الوجه الآخر لعدم صحة معناه.

١٦–في جملة الصلة عناصر ظاهرة ، هي : الفاعل والمفعول به والمجرور بالإضافة أو بحرف الجر، وعناصر غير ظاهرة ، وهي: مصدر الجملة وزمان حدوثها ومكانه ، ولكون (ما) الموصولة تمثل عنصرًا ظاهرًا من عناصر صلتها وجب أن يعود عليها ضمير هذا العنصر ظاهرًا أو مستترًا أو مقدّرًا محذوفًا ، وهذا هو السر في تجرّد (ما) المصدرية الظرفية وغير الظرفية من الضمير العائد عليها ، كونها تمثل عنصرًا غير ظاهر، أمّا (ما) التي سميت كافة فقد تجرّدت من الضمير العائد ؛ لأنّها بمعنى صلتها بعناصرها كافّة فشانها شأن المبتدأ الذي لا يحتاج إلى رابط إذا كان خبره بمعناه.

١٧–ذكر النحاة أنّ (ما) المصدرية مثل (أن) المصدرية استعملت في الكلام لتسبك بما بعدها بمصدر ، والظاهر أنّ العرب لم يستعملوا هاتين الأداتين لهذا الغرض ، فهم لم تكن لهم حاجة في أداة للتعبير عن هذا المعنى ؛ لأنّهم إذا أرادوه استعملوا المصدر الصريح ، فأمّا (ما) التي سميت مصدرية فقد أريد باستعمالها وصف ما دلّ على معنى المصدر بصلتها

ولوجوب حذفه نابت (ما) منابه فاكتسبت دلالته ، وأمّا (أن) التي سميت مصدرية ، فالغرض الأساسي من استعمالها أن تكون مهيئة لتسليط المعنى على الجملة الفعلية الذي لا يمكن تسليطه عليها من دونها ، فحقها أن تسمى مهيِّئة لا أن تسمى مصدرية.

١٨–سمى النحاة (ما) زائدة ؛ لأنّه لا يتغير بذكرها أو حذفها أصل المعنى ، وقصدوا بمصطلح الزيادة أينما استعملوه الزيادة المعنوية والمرادفة لمعنى التوكيد ، وجعلوا (ما) الزائدة بصفة عامة قسمين : كافّة وغير كافّة ، فالكافّة ما أثّرت في عمل غيرها ، فهي زائدة من حيث المعنى لا من حيث الإعراب ، أمّا التي لم تمنع إيصال عمل ما قبلها بما بعدها فقد سموها غير كافة فتكون زائدة من حيث الإعراب والمعنى.

١٩–تبيّن أنّ (ما) التي سُمِّيت عند النحاة زائدة ليست زائدة ، وإنّما هي في الأصل (ما) التي حدد النحاة غرضها بأنّها تستعمل في الكلام وصلة لوصف موصوف مبهم عام بصلتها ، فهي إذن لا تفترق في الأساس عن (ما) التي سميت موصولة أو نكرة موصوفة أو مصدرية وإنّما تفترق عن معاني (ما) هذه في نوع صلتها في حالتين: في حذفها وفي ورودها مفردة لا جملة ، وتفترق عنها أيضًا بدلالة موصوفها ، فقد يرد بمعنى الصلة بعناصرها جميعها لا بمعنى عنصر من عناصرها.

٢٠–تبيّن من كلام النحاة أنّ (الذي) أداة اختصت بتعريف الجملة ، ولهذا لزم أن تكون صلتها جملة وامتنع أن تكون مفردًا ، ومن المعروف أنّ (ال) أداة اختصت بتعريف المفرد ؛ ولهذا لزم أن تكون صلتها مفردًا وامتنع أن تكون جملة ، أمّا (ما) فقد تبيّن من كلامهم أنّها لم تستعمل للتعريف ، لا لتعريف الجملة ولا لتعريف المفرد ، فهي لم تختص بأحدهما ؛ لذلك جاز أن تكون صلتها جملة أو مفردًا وجاز في مواضع حذفها.

٢١–تنوب (ما) في الإعراب مناب موصوفها فتأخذ حكمه ، وهذا الموصوف تختلف دلالته حسب السياق والمعنى المراد فلتعدد دلالة موصوفها وتنوع صلتها تعددت واختلفت معانيها ، فنشأ من ذلك أغلب اقسام (ما) الاسمية والحرفية التي ذكرت في كتب النحو ، وهي : الموصولة والنكرة الموصوفة والمصدرية والظرفية والشرطية والاستفهامية والزائدة ، فمعاني (ما) هذه تشترك جميعها بمعنى الموصولية ، أي : أنّ كُلًّا منها وصلة للوصف. وخرجت من هذا الغرض العام : النافية والتعجبية ، وقد جعل النحاة كُلًّا من (ما) الموصولة و(ما) المصدرية بمنزلة المفرد ؛ لكون الأولى تؤول مع صلتها باسم الفاعل أو المفعول ، والثانية بالمصدر الصريح ، والذي تبين أنّ كلتيهما صحّ جعلها بهذه المنزلة لكونها نابت مناب موصوفها الذي لا يكون إلّا مفردًا.

٢٢–تبين من البحث أنّ (ما) لا تصحّ أن تكون بمنزلة (مَن) لأنّ (مَن) مختصة بالعاقل و(ما) غير مختصة بجنس معيَّن ، ولا تصحّ أن تكون نكرة موصوفة بمنزلة (شيء) لأنّ نكرة شيء تدلّ على الإفراد ونكرة (ما) تدل على الجميع والعموم ، ولا تصحّ ان تكون بمنزلة الذي العهدية أو الجنسية ؛ لأنّها لا تدلّ على فرد بعينه ولا على جنس بعينه ، بل لم أجد في اللغة أداة أعمّ من معناها ، وإذا بدت (ما) في آيات من القرآن الكريم عائدة على معرفة أو شيء يدل على الإفراد فإنّا لم نحلّ هذا الإشكال بجعلها كذلك كما تبدو فتشذ (ما) عن حقيقتها ودلالتها الأصلية ، بل عالجنا هذه المسألة بجعل هذين المعنيين قد قُصد أن يُعبَّر عنهما بدلالة الإبهام والعموم لوجه من الوجوه البلاغية ولغة القرآن نحو وبلاغة.

٢٣–قد تبين أنّ الموصولة والنكرة الموصوفة كلتيهما بمعنى واحد لا فرق بينهما، وأنّ التي سميت زائدة هي في الأصل الموصولة مِمّا يستوجب دمج هذه الأقسام الثلاثة بتسمية الأخيرة فتجعل قسمًا واحدًا، نكرة عامّة،

ويمكن توحيدها باسم (ما) الموصولة ، ويبدو أنّ هذه التسمية متأتِّية من غرضها العام الذي بيّناه ، وهو وصل الموصوف بصلته ، وقد عُرِّف الاسم الموصول بأنّه أسم مفعول من وصل الشيء بغيره ، أمّا (ما) في أقسامها الأُخَر باستثناء النافية والتعجبية فقد استعملت لهذا الغرض العام نفسه ، أي: هي موصولة أيضًا ، إلّا أنّها سميت بدلالة الموصوف بصلتها ، لكونه يدلّ على معنى خاص ، فإذا دلّ على معنى المصدرية سميت مصدرية ، وإذا دلّ على معنى الزمان سميت ظرفية زمانية ، وقد تبيّن أنّ هناك الظرفية المكانية والحالية ، وإذا تضمّن موصوفها معنى الاستفهام ، سميت استفهامية ، وإذا تضمّن معنى الشرط سميت شرطية ، فيمكن بعد هذا كلّه تقسيم معاني (ما) على قسمين: موصولية وتشمل: الموصولة والمصدرية والظرفية والاستفهامية والشرطية ، وغير موصولية ، وتشمل: النافية والتعجبية، وفي ضوء هذه الدراسة النحوية أو على أساسها درسنا (ما) وفسّرنا معانيها المختلفة في القرآن الكريم ، ومما تقدم تفصيله تكون النتيجة العامة التي توصلنا إليها هي: أنّ (ما) استعملت في القرآن الكريم لثلاثة معان رئيسة، هي: الوصف، والنفي، والتعجب.

المصادر والمراجع

الرسائل الجامعية (غير المنشورة)

-ركن الدين الأسترباذي وكتابه البسيط في شرح الكافية (ت٧١٥ أو ٧٢٤هـ) تحقيق حازم مرزة الحلبي بإشراف الأستاذ إبراهيم الوائلي أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

-قواعد المطارحة لابن أياز النحوي (ت٦٨١هـ) تحقيق علي الفضلي بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الحميد السيد طلب رسالة ماجستير، دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م-١٩٧٣م.

-الكشف في نكت المعاني والإعراب وعلل القراءات المروية عن

الأئمة السبعة، لأبي الحسن علي بن الحسين ، الضرير الجامعي النحوي الأصبهاني (ت٥٤٣هـ) تحقيق عبد القادر عبد الرحمن أسعد السعدي بإشراف الأستاذ الدكتور عدنان محمد سلمان أطروحة دكتوراه ، كلّية الآداب، جامعة بغداد، ١٤٠٧هـ=١٩٨٦م.

–اللباب في علل البناء و الإعراب لأبي البقاء العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق خليل نبهان الحسون بإشراف الأستاذ الدكتور سيد يعقوب بكر والأستاذ الدكتور محمود حجازي ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م.

–المختصر في النحو لموهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي (ت٥٤٠هـ) تحقيق محرم جلبي ، بإشراف الدكتور أحمد ناجي القيسي، رسالة ماجستير، كلّية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٠م.

–معاني الأدوات والحروف والإعراب المنسوب إلى الحسن بن الحسين البخاري المتوفَّى في القرن الخامس للهجرة تحقيق عبدالله عبد الرحمن أسعد السعدي بإشراف الدكتور طه محسن رسالة ماجستير كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤١٠هـ = ١٩٨٩م.

–المفضّل في شرح المفصّل لعلم الدين السخاوي (ت٦٤٣هـ)، تحقيق عبد الكريم جواد كاظم بإشراف الأستاذ الدكتور عبد العظيم علي الشناوي أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

–الموشح في شرح الكافية لشمس الدين محمد بن أبي بكر محمد الخبيصي (ت٧٣١هـ) تحقيق محمد أمين عواد الكبيسي، رسالة ماجستير بإشراف الدكتور عبد الحسين الفتلي، كلية الآداب، جامعة بغداد ١٤١٠هـ=١٩٨٩م.

الكتب المطبوعة:

– الإتقان في علوم القرآن: السيوطي (ت٩١١هـ) جلال الدين، عبد

الرحمن بن أبي بكر، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، مصر، ١٩٧٤.

– أحكام القرآن: ابن العربي (٥٤٣هـ) أبو بكر محمد بن عبد الله تحقيق محمد علي البجاوي، مصر ١٩٧٤م.

– أدب الكاتب: ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) أبو محمد عبد الله بن مسلم، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٧٧هـ= ١٩٥٨م.

– ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) أثير الدين محمد بن يوسف، تحقيق الدكتور مصطفى أحمد النمّاس، الطبعة الأولى، مطبعة النسر الذهبي ومطبعة المدني، القاهرة ١٤٠٤هـ =١٩٨٤م.

– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : أبو السعود العمادي (ت٩٥١هـ) محمد بن محمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان (د–ت).

– الأُزهية في علم الحروف: الهروي (ت٤١٥هـ)، علي بن محمد، تحقيق عبد المعين الملوحي، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٩١هـ =١٩٧١م.

– أساليب النفي في القران، للدكتور أحمد ماهر البقري الإسكندرية، ١٩٨٩م.

– الاستغناء في أحكام الاستثناء : (القرافي ت٦٨٢هـ)، شهاب الدين، تحقيق الدكتور طه محسن، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

– أسرار التكرار في القرآن : الكرماني (توفي في الأرجح في النصف الثاني من القرن السادس للهجرة) محمود بن حمزة بن نصر، تحقيق الدكتور عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الأولى، دار بو سلامة للطباعة، تونس (د–ت).

– أسرار العربية : أبو البركات بن الأنباري (ت٥٧٧هـ) عبد الرحمن

بن محمد بن أبي سعيد، تحقيق محمد بهجت البيطار، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٧٧هـ= ١٩٥٧م.

- أسرار النحو: ابن كمال باشا (ت٩٤٠هـ) شمس الدين أحمد بن سليمان، تحقيق الدكتور أحمد حسن حامد، دار الفكر، عمّان (د–ت).

- الأشباه والنظائر في النحو: للسيوطي، تحقيق طه عبد الرؤوف سعيد شركة الطباعة الفنية، القاهرة، ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م.

- الأصول في النحو: ابن السراج (ت٣١٦هـ) أبو بكر محمد بن السري تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي ج١، مطبعة النعمان، النجف الاشرف ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م، ج٢ مطبعة الأعظمي، بغداد، ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.

- إعراب ثلاثين سورة من القرآن: ابن خالويه (ت٣٧٠هـ)، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة ١٣٦٠هـ= ١٩٤١م.

- الإعراب عن قواعد الإعراب: ابن هشام (ت٧٦١هـ) جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله الأنصاري، تحقيق الدكتور علي فودة نيل، الرياض، ١٩٨١م.

- إعراب القران: النحّاس (ت٣٣٨هـ) أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ، تحقيق زهر غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م.

- إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج: تحقيق إبراهيم الأبياري، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر – القاهرة، ١٣٨٤هـ=١٩٦٥م.

- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب : ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ) أبو محمد عبد الله بن محمد، تحقيق مصطفى السقا والدكتور حامد عبد الحميد، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣م.

- أمالي السهيلي: السهيلي (ت ٥٨١هـ) عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي، تحقيق محمد إبراهيم البنّا، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٩٠هـ= ١٩٧٠م.

- الأمالي الشجرية: ابن الشجري (ت ٥٤٢هـ) أبو السعادات هبة الله، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت (د –ت).

- الأمالي النحوية : ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) أبو عمرو عثمان بن عمر، تحقيق الدكتور عدنان صالح مصطفى، الطبعة الأولى ١٤٠٦. = ١٩٨٦م.

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات بن الأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦١م.

- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) ناصر الدين أبو سعيد عبد الله عمر، المطبعة العثمانية، ١٣٠٥هـ.

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، ١٩٨٠م.

- الإيضاح في شرح المفصّل: لابن الحاجب، تحقيق الدكتور موسى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٢– ١٩٨٣م.

- الإيضاح في علل النحو: الزجاجّي (ت ٣٤٠هـ)، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، تحقيق الدكتور مازن المبارك الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٩٣هـ– ١٩٧٣م.

- الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني (ت ٧٣٩هـ) جلال الدين بن قاضي القضاة سعد الدين محمد بن عبد الرحمن، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ١٣٨٥هـ= ١٩٦٦م.

- البحر المحيط: لأبي حيان للاندلسي، مطبعة السعادة، مصر،

١٣٢٨هـ.

- بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) أبو عبد الله محمد بن ابي بكر الدمشقي، إدارة الطباعة المنزلية، مصر.

- البرهان في علوم القرآن: الزركشي (ت٧٩٤هـ) بدر الدين بن محمد بن عبد الله، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، دار المعرفة، بيروت (د- ت).

- البرهان في وجوه البيان: ابن وهب للكاتب (ت ق٤هـ) أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان، تحقيق الدكتور أحمد مطلوب، والدكتورة خديجة الحديثي، الطبعة الأولى، بغداد، ١٣٨٧هـ= ١٩٦٧م.

- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن: ابن الزملكاني (ت ٦٥١هـ)، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم، تحقيق الدكتورة خديجة الحديثي والدكتور أحمد مطلوب، الطبعة الأولى، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) مجد الدين محمد بن يعقوب، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار وعبد الحليم الطحاوي، القاهرة: ١٩٦٤م- ١٩٧٣م.

- البهجة المرضية شرح الألفية: للسيوطي، دار المطبعة المحمودية التجارية، مصر (د - ت).

- البيان في غريب إعراب القرآن: لأبي البركات بن الأنباري: تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، الهيئة المصرية للكتاب العربي، القاهرة ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م.

- تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) أبو محمد عبد الله بن مسلم، تحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الثانية، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.

– التبيان في إعراب القرآن: العكبري (ت٦١٦هـ) أبو البقاء عبد الله بن الحسين، تحقيق محمد علي البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر ١٩٧٦.

– التبيان في تفسير القرآن: الطوسي (ت٤٦٠هـ) أبو جعفر محمد بن الحسن، تحقيق أحمد حبيب العاملي المطبعة العلمية، النجف الأشرف، ١٩٥٧-١٩٦٩م.

– التدريب في تمثيل التقريب: لأبي حيّان الأندلسي، تحقيق نهاد فليح ، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٧م.

– تذكرة النحاة : لأبي حيّان الأندلسي، تحقيق الدكتور عفيف عبد الرحمن، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

– الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: الإمام الحافظ المنذري (ت٦٥٦هـ) زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي، تحقيق محمد خليل، هراس دار الاتحاد العربي للطباعة، القاهرة ١٣٨٩هـ=١٩٦٩م.

– تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ابن مالك (ت٦٧١هـ) جمال الدين أبو عبد الله محمد، تحقيق محمد كامل بركات دار الكتب العربية للطباعة، مصر ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م.

– التعبير القرآني، للدكتور فاضل مهدي صالح السامرائي، جامعة الموصل ١٣٨٦هـ=١٩٨٧م.

– تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مكتبة الملاح للطباعة والنشر، دمشق ١٣٨٩هـ= ١٩٦٩م.

– تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (ت٧٧٤هـ) عماد الدين أبو الفداء إسماعيل الدمشقي، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.

– التفسير القيّم: ابن قيم الجوزية، جمعه محمد أويس الندوي، وحققه

محمد حامد الفقي، دار الفكر، بيروت ١٩٤٨.

- التلخيص في علوم البلاغة: القزويني (ت٧٣٩هـ) جلال الدين بن قاضي القضاة سعد الدين أبو محمد عبد الرحمن تحقيق الأستاذ عبد الرحمن البرقوني، دار الكتاب العربي، بيروت.

- تهذيب اللغة : الأزهري (ت٣٧٠هـ) محمد بن أحمد، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار القومية العربية للطباعة، مصر ومطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٤-١٩٦٧م.

- تيجان البيان في مشكلات القرآن: لمحمد أمين العمري، تحقيق حسن مظفر الرزو، الطبعة الأولى مطابع جامعة الموصل، الموصل ١٩٨٥م.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن : الطبري (ت٣١٠هـ) أبو جعفر محمد بن جرير، تحقيق محمود محمد شاكر الأجزاء(١-١٤) الطبعة الثانية مطبعة مصطفى البابي بقية الأجزاء مصر ١٣٧٣هـ =١٩٥٤م.

- الجامع الصغير لابن هشام، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.

- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (ت٦٧١هـ) محمد بن أحمد الأنصاري، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٣هـ=١٩٦٧م.

- الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي (ت٧٤٩هـ) حسن بن قاسم، تحقيق طه محسن، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م.

- جوهر الكنز (تلخيص كنز البراعة في إدراك ذوي اليراعة) ابن الأثير الحلبي (ت٧٣٧هـ) نجم الدين أحمد بن إسماعيل، تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام، الإسكندرية، مصر (د- ت).

- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: ابن قيم الجوزية، تحقيق محمود حسن ربيع، الطبعة الرابعة، مطبعة محمد علي صبيح، مصر ١٣٨١هـ=١٩٦٢م.

- حاشية الصبّان على شرح الأشموني على ألفية بن مالك: محمد بن علي الصبّان (ت١٢٠٦هـ) مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر ١٣٦٦هـ=١٩٤٧م.

- حاشية محمد الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك: الخضري (ت١٢٨٧هـ) محمد بن مصطفى بن حسن، دار إحياء الكتب العربية، مصر، القاهرة ١٩٤٠.

- الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، الطبعة الثانية، دار الشروق، القاهرة ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م.

- الحروف: أبو الحسين المزني (ت ق٣هـ) تحقيق الدكتور محمود حسين والدكتور محمد حسن عواد، الطبعة الأولى، دار الفرقان للنشر، عمّان الأردن ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.

- الحروف: أبو نصر الفارابي (ت بعد ٣٢٠هـ) تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بيروت (د-ت).

- حروف المعاني: الزجاجي، تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد، الطبعة الأولى، دار الأمل، إربد، الأردن ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

- الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل لابن السيد البطليوسي، تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٠.

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية لعبد القادر بن عمر البغدادي، الطبعة الأولى والثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة: ١٤٠٢هـ=١٩٨١م-١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

- الخصائص: ابن جني (ت٣٩٢هـ) أبو الفتح عثمان، تحقيق محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٥-١٩٥٦.
- خطى متعثرة على طريق تجديد النحو العربي، للدكتور عفيف دمشقية، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.
- دراسات في الأدوات النحوية للدكتور مصطفى النحّاس، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- دراسات لأسلوب القران: محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، مصر ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.
- دراسة في حروف المعاني الزائدة: عباس محمد السامرائي، الطبعة الأولى، مكتبة دار الشرق، بيروت.
- درة التأويل وغرّة التنزيل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز: الخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ) برواية أبي الفرج ، الطبعة الأولى، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.
- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١ او ٤٧٤هـ) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دار المعرفة، بيروت، لبنان ١٣٩٨هـ =١٩٧٨م.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي (ت٧٠٢هـ) أحمد بن عبد النور، تحقيق أحمد محمود الخرّاط ، مطبوعات مجمع اللغة العربية، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م.
- الروض الأُنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: السهيلي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار النصر للطباعة القاهرة ١٩٦٧م.
- زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) أبو الفرج البغدادي، الطبعة الأولى، دمشق ١٣٨٤هـ=١٩٦٥م.
- سر صناعة الإعراب: لابن جنِّي، تحقيق الدكتور حسن هنداوي،

الطبعة الأولى، دار العلم، دمشق ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م.
- السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.
- شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك: ابن عقيل (ت٧٦٩هـ) بهاء الدين عبد الله، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة عشرة، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م.
- شرح ألفية ابن مالك: ابن الناظم (ت٦٨٦هـ) بدر الدين محمد بن محمد بن عبد الله ، مطبعة القدس، بيروت ١٣١٢هـ.
- شرح التصريح على التوضيح: الأزهري (ت٩٠٥هـ) خالد بن عبد الله الجرجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٤٠٣هـ=١٩٨٤م.
- شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور الإشبيلي (ت٦٦٩ت) على بن مؤمن، تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح، إحياء التراث الإسلامي، بغداد ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م- ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.
- شرح الحدود النحوية: الفاكهي (ت٩٧٢هـ) عبد الله بن أحمد بن علي، تحقيق الدكتور فهمي الآلوسي.
- شرح ديوان الفرزدق، شرح ايليا حاوي، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني ١٩٨٣.
- شرح ديوان المتنبي، شرح الواحدي، برلين ١٨٩١م، وشرح عبد الرحمن البرقوقي، بيروت، لبنان.
- شرح الرضي على الكافية: الرضي الأسترباذي (ت٦٨٦هـ) محمد بن الحسن، تحقيق يوسف حسن عمر، بيروت ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة التاسعة، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٢هـ=١٩٦٣م.

- شرح شواهد المغني للسيوطي تحقيق أحمد ظاهر كوجان، دمشق ١٩٩٦م.
- شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي، الطبعة الأولى، مطبعة الأمانة، القاهرة ١٩٧٥م.
- شرح عيون الإعراب: المجاشعي (ت٤٧٩هـ) علي بن فضّال، تحقيق الدكتور حنّا جميل حدّاد، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، الزرقاء، الاردن ١٤٠٦هـ=١٩٨٥م.
- شرح قطر الندى وبلّ الصدى لابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، مطبعة السعادة مصر، ١٣٨٣هـ=١٩٦٣م.
- شرح الكافية: ابن جماعة (ت٧٣٣هـ) أحمد بن إبراهيم بن سعد الدين، تحقيق محمد عبد النبي مجيد، الطبعة الأولى، مطبعة دار البيان، مصر ١٤٠٨هـ=١٩٨٧م.
- شرح الكافية الشافية لابن مالك، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي، الطبعة الأولى، مكة المكرمة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.
- شرح اللمحة البدرية في علم العربية: لابن هشام ، تحقيق الدكتور هادي نهر، مطبعة الجامعة، بغداد ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م.
- شرح اللمع لابن جنِّي: ابن برهان العكبري (ت٤٥٦هـ) تحقيق الدكتور فائز فارس، الطبعة الأولى، الكويت ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.
- شرح المفصّل: نشره جوستاف ياهن، ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي، القاهرة ١٣٨٦هـ.
- شرح الوافية نظم الكافية: ابن الحاجب، تحقيق الدكتور موسى بناي علوان العليلي، مطبعة الآداب النجف الأشرف ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.
- شفاء العليل في إيضاح التسهيل (السلسبيلي ت٧٧٠هـ) أبو عبد

الله محمد بن عيسى، تحقيق الدكتور الشريف عبد الله علي الحسيني البركاني، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ابن فارس (ت٣٩٥هـ) أبو الحسين أحمد تحقيق الدكتور مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت ١٣٨٢هـ=١٩٦٣م.

- صحيح البخاري بشرح الكرماني، مطبعة مؤسسة المطبوعات الاسلامية، القاهرة.

- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: العلوي (ت٧٤٩هـ) يحيى بن حمزة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.

- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري: البدر العيني (ت٨٥٥هـ) بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد، إدارة الطباعة المنيرية، مصر.

- الغرّة المخفية لابن الخباز (ت٦٣٩هـ) في شرح الدرّة الألفية لابن معط (ت٦٢٨هـ) تحقيق حامد محمد العبدلي، الطبعة الأولى، مطبعة العاني، بغداد ١٤١١هـ=١٩٩١م.

- فاتحة الإعراب في إعراب الفاتحة : الفاضل الأسفراييني (ت٦٨٤هـ)، تاج الدين محمد بن محمد بن أحمد، تحقيق الدكتور عفيف عبد الرحمن ١٤٠٠هـ=١٩٨١م.

- الفاخر : لأبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم (ت٢٩١هـ) تحقيق عبد العليم الطحاوي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٨٠هـ=١٩٦٠م.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) الحافظ شهاب الدين أبو الفضل ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٧٨هـ=١٩٥٩م.

- فتح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد

بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٤٩هـ=١٩٦٤م.

– فعلتُ وأفعلتُ : السجستاني (ت٢٥٥هـ) سهل بن محمد بن عثمان تحقيق الدكتور خليل إبراهيم العطية، مطابع جامعة البصرة ١٩٧٩م.

– الفعل زمانه وأبنيته للدكتور إبراهيم السامرائي مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٦هـ=١٩٦٦م.

– فقه اللغة العربية، للدكتور كاصد ياسر الزيدي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

– فقه اللغة وأسرار العربية، الثعالبي (ت٤٢٩هـ) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، دار مكتبة الحياة، بيروت (د–ت).

– الفهرست لابن النديم (٣٨٥هـ) محمد بن إسحاق دار المعرفة بيروت ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.

– الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب: الجامي (ت٨٩٨هـ) نور الدين عبد الرحمن، تحقيق أسامة طه الرفاعي، مطبعة وزارة الأوقاف بغداد، ١٤٠٣هـ=١٩٨٤م.

– الفوائد العجيبة في إعراب الكلمات الغريبة، لابن عابدين ضمن كتاب نصوص محققة في اللغة والنحو للدكتور حاتم صالح الضامن بغداد، ١٩٩١م.

– فوائد في مشكل القرآن: عزّ الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ) تحقيق الدكتور سيد رضوان علي الندوي، الطبعة الثالثة، دار الشروق، جدة.

– في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر: مالك يوسف المطلبي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١م.

– في النحو العربي، قواعد وتطبيق للدكتور مهدي المخزومي،

الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٦هـ=١٩٦٦م.
- في النحو العربي، نقد وتوجيه للدكتور مهدي المخزومي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٦٤م.
- القطع والائتناف لأبي جعفر النحّاس، تحقيق الدكتور أحمد خطاب العمر، الطبعة الأولى، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.
- كاشف الخصاصة عن ألفاظ الخلاصة: ابن الجزري (ت٨١٣هـ)، شمس الدين أبو الخير محمد بن الخطيب، تحقيق الدكتور مصطفى النحاس، مطبعة السعادة، مصر، ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
- الكتاب: سيبويه (ت١٨٠هـ) أبو بشر عمرو بن عثمان: تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، دار القلم، القاهرة ١٩٦٦م.
- كتاب الإقناع في القراءات السبع : ابن الباذش (ت٥٤٠هـ) أبو جعفر أحمد بن خلف الأنصاري، تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش، الطبعة الأولى، مطبعة ركابي، دمشق ١٤٠٣هـ.
- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي الكلبي (ت٧٤١هـ) محمد بن أحمد، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى محمد، مصر، ١٣٥٥هـ.
- كتاب الجمل للزجاجي، تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد، الطبعة الرابعة، دار الأمل، إربد، الأردن، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- كتاب السبعة في القراءات: ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ) أبو بكر أحمد بن موسى، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، مصر ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.
- كتاب الفصول في العربية : ابن المبارك الدهّان النحوي (ت٥٦٩هـ) أبو محمد سعيد، تحقيق الدكتور فائز فارس، الطبعة الأولى، إربد، الأردن، ١٤٠٩هـ=١٩٨٨م.
- كتاب الواضح : الزبيدي (ت٣٧٩هـ) محمد بن عبد الله بن بشر،

تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التاويل: الزمخشري (ت٥٢٨هـ) جار الله محمود بن عمر، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: القيسي (ت٤٣٧هـ) مكّي بن أبي طالب، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان دمشق ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.
- كشف المشكل في النحو: الحيدرة اليمني (ت٥٩٩هـ) علي بن سليمان، تحقيق الدكتور هادي عطية مطر، الطبعة الأولى، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.
الكنّاش في النحو والصرف : أبو الفداء الملك المؤيد (ت٧٣٢هـ) عماد الدين إسماعيل بن علي، تحقيق الدكتور علي الكبيسي والدكتور صبري إبراهيم الدوحة، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.
- لسان العرب: ابن منظور (ت٧١١هـ) جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر بيروت، ١٣٧٦هـ=١٩٥٦م.
- اللمع في العربية لابن جني، تحقيق الدكتور حسين محمد محمد شريف، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.
- ليس في كلام العرب لابن خالويه ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير الجزري (ت٦٣٧هـ) ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني، الجزء الأول، تحقيق الدكتور أحمد الحوفي، والدكتور بدوي طبانة، الطبعة الأولى، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٧٩هـ=١٩٥٩م.
- مجاز القرآن: أبو عبيدة (ت ٢١٠هـ) معمر بن مثنى، تحقيق

محمد فؤاد سركين، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧٤هـ= ١٩٥٤م- ١٣٨١هـ = ١٩٦٢م.

- مجالس ثعلب: ثعلب (ت ٢٩١هـ) أبو العباس أحمد بن يحيى، تحقيق عبد السلام محمد هرون، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر ١٩٥٦م- ١٩٦٠م.

- مجالس العلماء للزجاجي، تحقيق عبد السلام محمد هرون، الطبعة الثانية، مطبعة المدني، مصر ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

- مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي (ت٥٤٨هـ) أبو علي الفضل بن الحسين تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث، بيروت (د.ت).

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جنِّي، تحقيق علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م.

- المُحلّى (وجوه النصب): ابن شقير (ت ٣١٧هـ) أبو بكر أحمد بن الحسن، تحقيق الدكتور فائز فارس، الطبعة الأولى، دار الأمل، إربد، الأردن، ١٤٠٨هـ= ١٩٨٧م.

مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه، تحقيق برجشتراسر، المطبعة الرحمانية لجمعية المستشرقين الألمانية بمصر، ١٩٣٤م.

مدارك التنزيل وحقائق التأويل: النسفي (ت٧١٠هـ) عبد الله بن أحمد محمود، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

-المرتجل في شرح الجمل للجرجاني: ابن الحشاب (ت ٥٦٧هـ) أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن نصر، تحقيق علي حيدر منشورات دار الحكمة، دمشق، ١٣٩٢هـ= ١٩٧٢م.

-المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات: أبو علي النحوي (ت ٣٧٧هـ) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان، تحقيق صلاح الدين عبد الله السنكاوي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٨م.

-المشكاة الفتحية على الشمعة المضية للسيوطي، تحقيق هشام سعيد محمود، مطبعة وزارة الأوقاف، بغداد، ١٤٠٣هـ= ١٩٨٣م

مشكل إعراب القرآن لمكي القيسي، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م.

-المطالع السعيدة في شرح الفريدة للسيوطي، تحقيق الدكتور نبهان يس حسين، مطبعة الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٧٧م.

معاني الحروف: الرمّاني (ت ٣٨٤هـ) علي بن عيسى، تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع، القاهرة، ١٩٧٣م.

-معاني القرآن: الأخفش (ت٢١٥هـ) سعيد بن مسعدة المجاشعي، تحقيق الدكتور فائز فارس، الطبعة الثانية، دار الأمل، ١٤٠١هـ+ ١٩٨١م.

-معاني القرآن: للفرّاء (ت٢٠٧هـ) أبو زكريا يحيى بن زياد، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، الطبعة الثانية، عالم الكتب ، بيروت، ١٩٨٠م.

-معاني القرآن وإعرابه: الزجاج (ت٣١١هـ) أبو إسحاق إبراهيم بن السري، تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٧٣م ١٩٧٤م.

-معاني النحو للدكتور فاضل صالح مهدي السامرائي، بغداد، ١٣٨٦هـ = ١٩٨٧م، ١٩٩٠م.

-معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي، تحقيق محمد علي البجاوي، طبع دار الفكر العربي، مصر، ١٩٦٩م.

-معجم الأدوات النحوية للدكتور محمد التونجي، الطبعة الخامسة، بنغازي، ١٩٧٤م.

-معجم الجملة القرآنية، القسم الأول، الحروف الزائدة في ضوء الدراسات القرآنية، للدكتور طالب محمد إسماعيل الزوبعي، بغداد.

-المعجم الوسيط قام بإخراجه : إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار ، وأشرف علي طبعه عبد السلام هرون، المكتبة العلمية، طهران.

-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة.

مفاتيح الغيب في تفسير القرآن أو التفسير الكبير للرازي (ت ٦٠٦هـ) الإمام فخر الدين، المطبعة البهية، ١٣٥٣هـ = ١٩٣٤- ١٣٥٧هـ = ١٩٣٨م.

-مفتاح العلوم: السكاكي (ت٦٢٦هـ) أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي، تحقيق أكرم عثمان يوسف، الطبعة الأولى، مطبعة دار الرسالة، بغداد، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

-المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصبهاني (ت٥٦٥هـ) على الأرجح) الحسين محمد ، تحقيق الدكتور محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

-المقتصد في شرح الإيضاح لعبد الله القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ أو ٤٧٤هـ)، تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٢م.

-المقتضب: المبرد (ت٢٨٥هـ) محمد بن يزيد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٥م.

-المقرّب لابن عصفور، تحقيق الدكتور أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري، الطبعة الأولى، بغداد، ١٣٩١هـ= ١٩٧١م.

-من بلاغة القرآن للدكتور أحمد بدوي، الطبعة الثالثة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٣٧٠هـ = ١٩٥٠م.

-نحو المعاني للدكتور أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.

-النحو الوافي: عباس حسن، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣هـ= ١٩٦٦م.

-نظم الفوائد وحصر الشرائد : المهلبي (ت٥٨٣هـ) مهدي الدين مهلب بن حسن بن بركات، تحقيق الدكتور عبد الرحمن العثيمين، الطبعة الأولى، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

-النكت في تفسير كتاب سيبويه: الأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ) يوسف بن سليمان بن عيسى، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م.

-همع الهوامع شرح وجمع الجوامع للسيوطي، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، دار البحرين العلمية، الكويت ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م.

-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (ت٦٨١هـ) تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٣٦٨هـ = ١٩٧٢م.

البحوث :

-التعجب بين البصريين والكوفيين للدكتور محيي الدين توفيق ، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العدد الخامس، ١٩٧٤م.

-الجرس والإيقاع في تعبير القرآن للدكتور كاصد ياسر الزيدي، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العدد التاسع ١٩٧٨م.

-حروف الزيادة وجواز وقوعها في القرآن الكريم للدكتور عبد الرحمن تاج، مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء الثلاثون، ١٣٩٢هـ نوفمبر ١٩٧٢م.

-فعل الشرط دلالته وزمنه للدكتور فاضل السامرائي، مجلة الضاد،

الجزء الأول، بغداد ، جُمادى الآخرة، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
–الموفقي في النحو لابن كيسان، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، والدكتور هاشم طه شلاش، مجلة المورد، المجلد الرابع ، العدد الثاني، ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م.

المحتويات

السيرة العلمية

-الاسم : عبد الجبار فتحي زيدان ذنون صوفي علي الحمداني .

-محل وتاريخ الولادة : الموصل/١٩٤٧م ، محلة الشفاء ، قرب دورة قاسم الخياط .

-أنهيتُ دراستي الابتدائية ، في المدرسة القحطانية ، سنة ١٩٦٢ .

-أنهيتُ دراستي المتوسطة ، في متوسطة الحرية ، سنة ١٩٦٥م .

-أنهيتُ دراستي الإعدادية ، في الإعدادية المركزية ، القسم العلمي ، سنة ١٩٦٧م

-خريج كلية التربية الملغاة / قسم اللغة العربية /جامعة بغداد ، حصلتُ على شهادة البكالوريوس في هذه الكلية بدرجة جيد جدًّا ، سنة ١٩٧٢م .

-عُيِّنتُ مدرسًا في ثانوية قيّارة في ١٩٧٣/١٠/٩م ، ثم نُقلتُ بعدها إلى متوسطة كَرَمْلِيسْ ، ثم ثانوية قره قوش ، ثم متوسطة المثنى ، فمتوسطة أبي بكر الصديق ، وبعد حصولي على شهادة الماجستير، تم نقلي إلى معهد إعداد المعلمات سنة ١٩٨٩م .

-حصلتُ على شهادة الماجستير في اللغة العربية ، بدرجة جيد جدًّا عالٍ برسالتي الموسومة (المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي) بتاريخ ١٩٨٨/١٢/٢٠م جامعة الموصل / كلية الآداب ، بموجب الأمر الجامعي المرقم ٣١٩/١١/٣ في ١٩٨٩/١/٩م

-حصلت على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية ، بدرجة امتياز ، بأطروحتي الموسومة ((ما) في القرآن الكريم /دراسة نحوية) في ١٩٩٧/٨/٢٦م ، بموجب الأمر الجامعي العدد ٢/١١/٣ع٧٢ بتاريخ ١٩٩٧/٩/١٦م

-تم نقل خدماتي إلى وزارة التعليم العالي ، وباشرتُ التدريس بكلية المعلمين في ١٩٩٧/٣/١٩م ، التي هي كلية التربية الأساسية حاليا

-كُلِّفتُ بالخطابة من لدن وزارة الأوقاف ، وكان عدد الجوامع التي صعدتُ فيها على منابرها ، خمسة عشر جامعًا ، وأول خطبة خطبتها كانت في جامع الطالب/حي الرفاعي ، في الأسابيع الأولى من افتتاحه ، سنة ١٩٨٧م ، وأكثر خطبي كانت في جامع يونس النحوي المعروف بجامع شيخ الشط ، وآخرها كانت في جامع العطاش/كوكجلي ، ثم تركتُ المنبر سنة ٢٠٠٠م

-بقيت أعمل تدريسيًّا بكلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل ، ومحاضرًا في الدراسات العليا ، ومناقشًا ومشرفًا لرسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه . في قسم اللغة العربية في الكلية المذكورة ، حتى أُحلتُ إلى التقاعد بتاريخ ٢٠١٢/٦/٥م .

-ترقيتُ إلى الأستاذية بتاريخ ٢٠١٢/٦/٣م

موبايل : ٠٧٧٠٢٠٥٠٠٥٠

فايبر : ٠٧٧٠٢٠٥٠٠٥٠

فيسبوك : البروف النحوي

للمؤلف

١–الله والتقدم المادي عند الإنسان سنة ١٩٧٧ .

٢–اغتنم شبابك في طاعة الله ، الطبعة الأولى ، مطبعة أسعد بغداد ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م ، رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد٢٩٩ لسنة ١٩٨٥م .

٣–فضل الصلاة وحكم تاركها في الكتاب والسنة ، أو رسالة إلى تارك الصلاة ، الطبعة الأولى ، مطبعة أسعد ، بغداد ١٩٨٥م رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٥٦٦ لسنة ١٩٨٦م .

وهذه الكتب الثلاثة نفدت نسخها ولم أُعد طبعها ؛ لأنَّها لم تكن وقتئذ مسجلة على قرص ، أو مخزونة في حاسبة .

٤–إعجاز القرآن الكريم . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد٨٠٢/ لسنة ٢٠٠٩م وهو كتاب منهجي كنتُ أدرِّسه لطلاب المرحلة الرابعة في قسم التربية الإسلامية / كلية التربية الأساسية / جامعة الموصل / أعددتُه حسب المنهج الذي قرّرتْه عمادة الكلية المذكورة .

٥–مواعظ إسلامية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٣ لسنة ٢٠٠٩م

٦–دروس إسلامية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٤ لسنة ٢٠٠٩م

٧–بين الماضي والحاضر / قصائد إسلامية . وهي من نظمي وشعري ، يضمّ ثماني قصائد ، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٥ لسنة ٢٠٠٩م وقد غيّرتُ عنوانه إلى : صيحاتي بأمَّتي السَّبيَة في ثماني قصائد إسلامية .

٨–المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي . رقم

الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٦ لسنة ٢٠٠٩م

٩-(ما) في القرآن الكريم / دراسة نحوية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٧ لسنة ٢٠٠٩م

١٠-دراسات في النحو القرآني . . رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/٨١١ لسنة ٢٠٠٩م

١١-من مزاعم النحاة . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٨ لسنة ٢٠٠٩م

١٢-النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين ، رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/ ١٧٣٢ لسنة ٢٠١٠م .

١٣-(ظنَّ) وأخواتها والتضمين في القرآن الكريم . وقد دمجتُ هذا الكتاب في السابق .

١٤- الوجوه الدخيلة في كتب الوجوه والنظائر ، لفظ (الذكر) نموذجًا ، مع بحث صغير بعنوان : لغة القرآن فوق نحو النحاة رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ١٧٩٨ لسنة ٢٠١١م

وقد جعلتُ الموضوع الأول من هذا الكتاب ضمن أحد مواضيع التمهيد في كتابي : لا وجوه ولا نظائر ، تحت عنوان دراسة نموذجية ، وجعلتُ كلامي في الموضوع الثاني ضمن التمهيد في كتابي : من مزاعم النحاة .

١٥-لا وجوه ولا نظائر في كتب الوجوه والنظائر . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٢ لسنة ٢٠١٤م

١٦-اختلاق الأوجه والمعاني في كتب حروف المعاني . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٣ لسنة ٢٠١٤م

١٧-طرائق اختلاق الوجوه في كتب الوجوه . . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٤ لسنة ٢٠١٤م

١٨- الأضداد في القرآن الكريم

ملاحظة : هناك خطأ شائع جدًّا ، يتعلّق برسم الكلمة ، وهو وضع تنوين الفتح والنصب على الألف ، والصحيح وضعها على الحرف قبلها ، فمن ذلك مثلًا رسم الكلمات : مثلاً–سميعاً–كتاباً ، والصحيح : مثلًا–سميعًا–كتابًا ، ومن الخطأ الشائع أيضًا وضع رسم الشدة على الألف نحو : إلاّ–ألاّ–كلاّ والصحيح إلّا–ألّا–كلّا ، وقد استدركتُ في مؤلفاتي هذا الخطأ الذي يتعلّق بالرسم في كثير من المواضع ، وفاتتني مواضع كثيرة أخرى